



# حليّة الصائم



تأليف :

فضيلة الشيخ الدكتور : محمد بن عبدالعزيز بن محمد اللحيدان

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

# حليّة الصائم

تأليف

فضيلة الشيخ الدكتور

محمد عبد العزيز محمد اللحيان

محمد عبدالعزيز محمد اللحيدان ، ١٤٣٥ هـ (ح)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

اللحيدان، محمد عبدالعزيز محمد

حلية الصائم / محمد عبدالعزيز محمد اللحيدان -

الرياض، ١٤٣٥ هـ

٣٦٠ ص، ١٧×٢٤ سم

ردمك: ١-٥٣٩٦-٠١-٦٠٣-٩٧٨

أ- العنوان

١- الصوم

١٤٣٥ / ٥٤٨١

ديوى ٢٥٢.٣

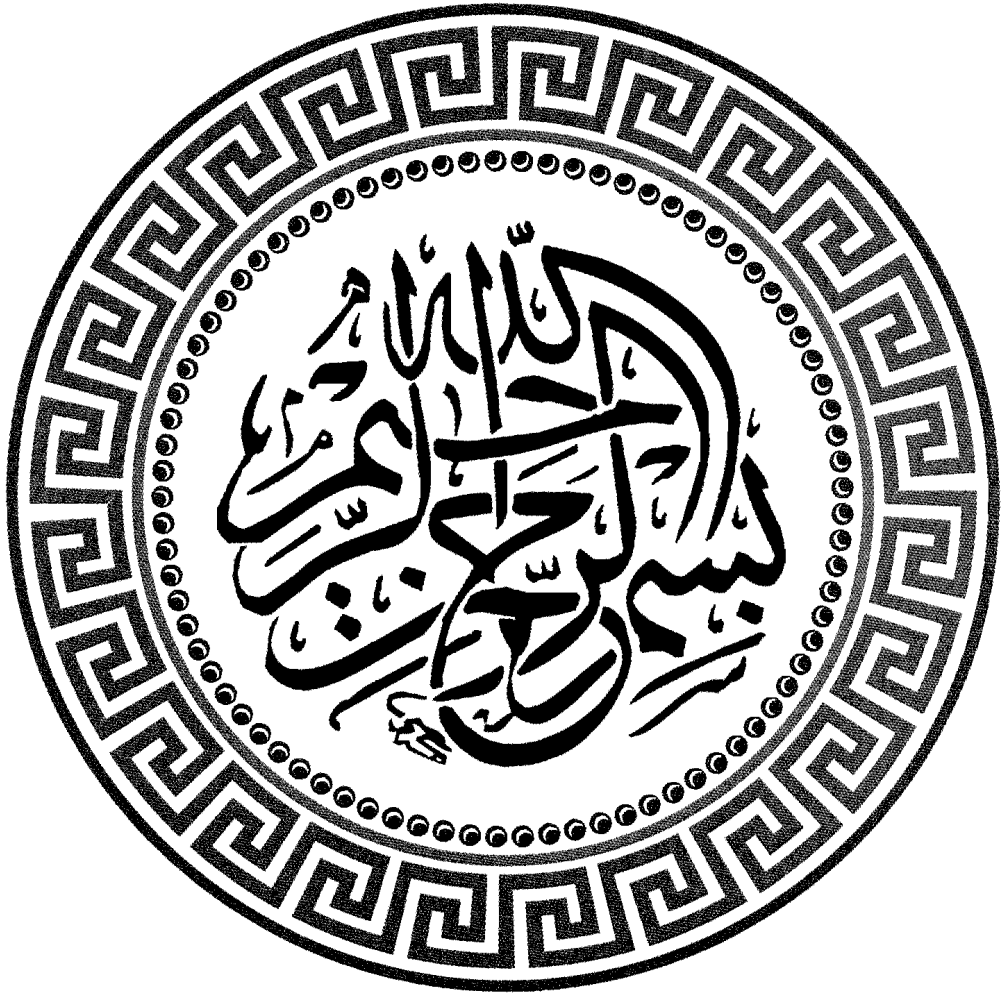
رقم الإيداع: ١٤٣٥ / ٥٤٨١

ردمك: ١-٥٣٩٦-٠١-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ





## مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي منّ على عباده بمواسم الخيرات، ليغفر لهم الذنوب، ويجزل لهم الهبات، وفق من شاء لاغتنامها فأطاعه واتقاه، وخذل من شاء فأضاع أمره وعصاه.

أحمده وأشكره، أكمل لنا الدين، وأتمّ علينا النعمة، رضي لنا الإسلام ديناً، وشرع لنا الأعمال الصالحة، ووفق للقيام بها، ورتّب عليها الأجر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، أما بعد . . .

فإن الله جل وعلا ما شرع عبادة من العبادات إلا لتطهير وتزكية نفوس العباد، فبطاعة الله تسمو الأخلاق وترتقي بما يخالجهما من الأحاسيس في لذة العبادة التي هي سر في شرع الله.

ومن تلك العبادات التي يتغير فيها خلق المسلم: عبادة الصيام، حيث إن الصائم يكتسب من صيامه فوائد كثيرةً وحِكماً عظيمةً، منها: تطهير النفس وتهذيبها وتزكيتها من الأخلاق السيئة والصفات الذميمة، كالأشر والبطر والبخل، وتعويدها الأخلاق الكريمة، كالصبر والحلم والجود والكرم ومجاهدة النفس فيما يرضي الله ويقرب لديه.

ويعرف العبد نفسه وحاجته وضعفه وفقره لربه ويذكره بعظيم نعم الله عليه، ويذكر -أيضاً- حال صومه بحاجة إخوانه الفقراء، فيوجب له ذلك شكراً لله سبحانه والاستعانة بنعمه على طاعته ومواساة إخوانه الفقراء والإحسان إليهم.

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذا التغيير في سلوك وأخلاق المرء حال صيامه في قوله - عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٣]، فأوضح سبحانه أنه كتب علينا الصيام لتتقيه سبحانه، فدل ذلك على أن الصيام وسيلة للتقوى، والتقوى هي طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر، وترك ما نهى عنه، من إخلاص لله - عز وجل - ومحبة ورغبة ورهبة، وبذلك يتقي العبد عذاب الله وغضبه.

فالصيام شعبة عظيمة من شعب التقوى، وقربة إلى المولى - عز وجل - ووسيلة قوية إلى التقوى في بقية شؤون الدين والدنيا.

إن الصائم يتعلم ويتربى بالصيام على الطهر والعفاف، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك في قوله: (يا معشر الشَّبَابِ، من استَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ) <sup>(١)</sup>.

فبين النبي ﷺ أن الصوم وجاء للصائم، ووسيلة لطهارته وعفاه، وما ذاك إلا لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، والصوم يضيّق تلك المجاري، ويذكر بالله وعظّمته، فيضعف سلطان الشيطان، ويقوى سلطان الإيمان، وتكثر بسببه الطاعات من المؤمنين وتقلّ به المعاصي.

من هذا المنطلق قررت أن أجمع مادة في ما ينبغي للصائم أن يتحلّى به من أخلاق؛ لينال من الصيام ثمرته وفائدته، وقد عنونت لهذا الموضوع بـ "حلية الصائم".

أسباب اختياري لهذا الموضوع: وقد تم اختياري لهذا الموضوع بناء على عدة أسباب، منها:

(١) صحيح البخاري: ١٩٥٠/٥، صحيح مسلم: ١٠١٨/٢.



أولاً: لتعلّقه بركن من أركان الإسلام، ألا وهو صيام رمضان.  
 ثانياً: أن هذا الموضوع "حلية الصائم"، وحسب علمي القاصر لم يتم  
 التطرق إليه من قبل في بحث مستقل منشور، بهذا الشكل.  
 ثالثاً: جهل كثير من الصائمين بكيفية اغتنام أيام وساعات هذا الشهر  
 العظيم، مما يوقع كثيراً منهم في بعض الأخطاء عند صومهم، فينقص من  
 أجورهم.

وقد راعيت في كتابة هذا الموضوع الأمور التالية:

الأول: حرصت على الإقلال من الخوض في المسائل الفقهية؛ لأن محلها  
 كتب الفقه، وليست كتب الآداب والأخلاق.

الثاني: لم أعز كل فقرة أو عبارة إلى مرجعها؛ خشية الإطالة في الحواشي، مع  
 إثبات كل المراجع في نهاية الكتاب.

الثالث: خرّجت الأحاديث النبوية بعزوها إلى مصادرهما، فإذا كان الحديث  
 في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت به، ولا أذكر غيره غالباً، أما إذا كان في  
 غيرهما فإني أعزوه إلى السنن في الغالب، كما عزوت الآثار المروية عن الصحابة أو  
 التابعين.

الرابع: قسّمت الأخلاق إلى قلبية وقولية وعملية، وجعلت كل قسم في  
 فصل مستقل، مع تخصيص الفصل الأول للحديث عمّا يتعلق بالصيام واستعداد  
 المسلم لصيام رمضان، وختمت الفصول بما ينبغي للصائم بعد رمضان.

خطة البحث: وقد سرت وفق خطة مرسومة مدروسة، وهي على النحو  
 الآتي:

المقدمة: وهي التي بين أيدينا

❖ **الفصل الأول: ما يتعلق بصيام رمضان واستعداد المسلم له، وفيه عدة مباحث:**

- المبحث الأول: فرضية صيام شهر رمضان
- المبحث الثاني: فضائل الصيام
- المبحث الثالث: حِكم الصيام
- المبحث الرابع: خصوصية الصيام
- المبحث الخامس: التوبة
- المبحث السادس: الدعاء ببلوغ شهر رمضان
- المبحث السابع: شكر الله على بلوغ الشهر
- المبحث الثامن: سؤال الله العون على الصيام
- المبحث التاسع: العزم على اغتنام شهر الصيام
- المبحث العاشر: الاعتقاد بأن صيام رمضان أداء لفريضة عظيمة
- المبحث الحادي عشر: تعظيم شعيرة صوم رمضان
- المبحث الثاني عشر: تعلّم أحكام الصيام
- المبحث الثالث عشر: الإكثار من الصيام في شهر شعبان
- المبحث الرابع عشر: عدم تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين
- المبحث الخامس عشر: ترائي هلال رمضان
- المبحث السادس عشر: البشارة بقدم شهر رمضان

❖ **الفصل الثاني: أخلاق الصائم القولية، وفيه مباحث:**

- المبحث الأول: تلاوة القرآن الكريم

- المبحث الثاني: الإكثار من الذكر والتسبيح
- المبحث الثالث: القيام بواجب الدعوة
- المبحث الرابع: التحصن من الشياطين
- المبحث الخامس: الإكثار من الدعاء

### \* الفصل الثالث: أخلاق الصائم القلبية ، وفيه مباحث:

- المبحث الأول: إخلاص نية الصوم لله
- المبحث الثاني: تبييت النية
- المبحث الثالث: التلبس بلباس التقوى
- المبحث الرابع: مراعاة حُكْم الصيام ومقاصده
- المبحث الخامس: رقة القلب
- المبحث السادس: شكر النعم
- المبحث السابع: التحلي بالصبر
- المبحث الثامن: الحلم وكظم الغيظ
- المبحث التاسع: تعلق القلب بالمساجد
- المبحث العاشر: التفكير في نعم الله
- المبحث الحادي عشر: الحذر من الفتن وتقلب القلوب
- المبحث الثاني عشر: الزهد في الدنيا
- المبحث الثالث عشر: الحذر من الظلم
- المبحث الرابع عشر: تذكر الموت
- المبحث الخامس عشر: تحقيق التوكل

## \* الفصل الرابع: أخلاق الصائم العملية، وفيه مباحث:

- المبحث الأول: السحور
- المبحث الثاني: تعجيل الفطور
- المبحث الثالث: الفطر على رطبات
- المبحث الرابع: قيام الليل
- المبحث الخامس: الجلوس في المسجد حتى طلوع الشمس
- المبحث السادس: حفظ الجوارح عن الآثام
- المبحث السابع: حسن المعاملة
- المبحث الثامن: الإكثار من البر والصدقة
- المبحث التاسع: السواك
- المبحث العاشر: تفتير الصائمين
- المبحث الحادي عشر: نفع المسلمين
- المبحث الثاني عشر: المحافظة على الصلاة والخشوع فيها
- المبحث الثالث عشر: الاقتصاد وعدم الإسراف
- المبحث الرابع عشر: التخلي عن فضول المخالطة
- المبحث الخامس عشر: غض البصر
- المبحث السادس عشر: احترام الوقت
- المبحث السابع عشر: الزهد والتواضع
- المبحث الثامن عشر: الأخذ بالرخص الشرعية المتعلقة بالصيام
- المبحث التاسع عشر: الابتعاد عما يفسد الصوم أو يجرحه

- المبحث العشرون: تربية الأولاد على الصلاة والصيام
- المبحث الحادي والعشرون: الجمع بين الصيام وغيره من الفضائل
- المبحث الثاني والعشرون: الحرص على البقاء على طهارة
- المبحث الثالث والعشرون: الاجتهاد في السنن
- المبحث الرابع والعشرون: بر الوالدين
- المبحث الخامس والعشرون: العدل والإنصاف
- المبحث السادس والعشرون: العمرة في رمضان
- المبحث السابع والعشرون: المسارعة إلى الخير
- المبحث الثامن والعشرون: صلة الأرحام
- المبحث التاسع والعشرون: ترك المحرمات
- المبحث الثلاثون: إخفاء الطاعات ما أمكن
- المبحث الحادي والثلاثون: الحذر من استصغار الذنوب
- المبحث الثاني والثلاثون: تزكية النفس

#### \* الفصل الخامس: العشر الأواخر، وفيه مباحث:

- المبحث الأول: إحياء العشر الأواخر من رمضان
- المبحث الثاني: الاعتكاف
- المبحث الثالث: تحري ليلة القدر
- المبحث الرابع: أداء زكاة الفطر
- المبحث الخامس: أداء سنن وصلاة العيد
- المبحث السادس: التكبير في عيد الفطر

## \* الفصل السادس : ما بعد رمضان ، وفيه مقدمة ومباحث :

- المقدمة: وداع شهر رمضان
  - المبحث الأول: كثرة الاستغفار
  - المبحث الثاني: قضاء رمضان لمن لم يصمه
  - المبحث الثالث: الصيام عمّن مات وعليه صيام
  - المبحث الرابع: صيام الست من شوال
  - المبحث الخامس: الاجتهاد في النوافل
  - المبحث السادس: الاستقامة بعد رمضان
  - المبحث السابع: الدعاء بقبول الصيام
  - الفهارس: وتحتوي على فهرسة الموضوعات
- وفي الختام: لا يسعني وأنا أضع يدي عن شبة قلمي إلا أن أشكر الله جل وعلا على ما منَّ عليَّ به من إتمام بحث هذا الموضوع، وأسأله أن يجعل عملي صالحاً ولوجهه خالصاً، وأن ينفع به، ثم أزجي الشكر والدعاء لكل من أعانني على إخراج هذه المادة، كتابةً ومراجعةً وتصحيحاً، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم..

وكتبه

أ.د. محمد بن عبد العزيز اللحيidan

ص . ب (١٠٠٩٤٩) الرياض / ١١٦٤٥

## الفصل الأول

ما يتعلق بصيام رمضان واستعداد المسلم له ، وفيه عدة  
مباحث:

المبحث الأول: فرضية صيام شهر رمضان

المبحث الثاني: فضائل الصيام

المبحث الثالث: حكم الصيام

المبحث الرابع: خصوصية الصيام

المبحث الخامس: التوبة

المبحث السادس: الدعاء ببلوغ شهر رمضان

المبحث السابع: شكر الله على بلوغ الشهر

المبحث الثامن: سؤال الله العون على الصيام

المبحث التاسع: العزم على اغتنام شهر الصيام

المبحث العاشر: الاعتقاد بأن صيام رمضان أداء لفريضة عظيمة

المبحث الحادي عشر: تعظيم شعيرة صوم رمضان

المبحث الثاني عشر: تعلم أحكام الصيام

المبحث الثالث عشر: الإكثار من الصيام في شهر شعبان

المبحث الرابع عشر: عدم تقديم رمضان بصوم يوم أو يومين

المبحث الخامس عشر: تراني هلال رمضان

المبحث السادس عشر: البشارة بقدم شهر رمضان

## المبحث الأول فرضية صيام رمضان وجوبه

### تعريف الصيام

الصيام في اللغة: مجرد الإمساك، يُقال: صام النهار، إذا وقف سير الشمس، ويقال للساكت: صائم لإمساكه عن الكلام، ومنه قوله - تعالى - عن مريم - رضي الله عنها - : ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [سورة: مريم، آية: ٢٦] أي صمتاً؛ لأنه إمساك عن الكلام، ويقال للفرس الممسك عن السير: صائم، قال الشاعر:

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعَبَاجِ وَأُخْرَى تَعْلُكُ اللَّجْمِ<sup>(١)</sup>

والصوم في الشرع: إمساك بنية عن أشياء مخصوصة، من شخص مخصوص، بشرائط مخصوصة<sup>(٢)</sup>.

وصوم رمضان واجب وفرض من فرائض الإسلام العظيمة، وهو أحد أركان الإسلام الخمسة، والأصل في وجوبه: الكتاب والسنة والإجماع، والأدلة

(١) البيت للنابغة الذبياني، كما في الصحاح للجوهري: ١٩٧٠/٥، وانظر المصباح المنير: ٣٥٢/١، والمغرب للمطرزي: ص ٢٤٧. ويعني بالصائمة: الممسكة عن الصَّهْل. وفي القاموس: ص ١٤٦٠ "صام صوماً وصياماً واصطاماً: أمسك عن الطعام والشراب والكلام والنكاح والسير، وانظر المغرب للمطرزي ص ٢٤٧.

وفي المصباح المنير: ٣٥٢/١، قيل هو مطلق الإمساك في اللغة ثم استعمل في الشرع في إمساك مخصوص، وقال أبو عبيدة: كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم "المصباح المنير، دار المعارف. وفي الصحاح: ١٩٧٠/٥، الصوم قيام بلا عمل، والصوم الإمساك عن الطعام، وصام: الفرس صوماً أي قام على غير اعتلاف، وصام النهار صوماً إذا قام قائم الظهر واعتدل، والصوم: ركود الريح ١. هـ. الصحاح للجوهري، دار العلم للملايين.

(٢) المغني لابن قدامة ٤ / ٣٢٣، الروض المربع شرح زاد المستقنع ١ / ٤١٠، شرح النووي على صحيح مسلم ٧ / ١٨٦.



على وجوبه وفرضيته ظاهرة واضحة معلومة لعامة المسلمين فضلاً عن خاصتهم، وفُرض صوم رمضان في السنة الثانية من الهجرة، فصام رسول الله ﷺ تسع رمضان إجماعاً، وأجمع المسلمون على وجوب صوم رمضان.

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٣-١٨٥].

وثبت في الصحيحين عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ: عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحُجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ) (١).

ففي هذا الحديث الشريف أن الإسلام بني على دعائم خمس، وأن صيام رمضان هو الدعامة الرابعة، والركن الرابع من الأركان التي يقوم عليها الإسلام.

وثبت في صحيح البخاري أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَائِرَ الرَّأْسِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي مَاذَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: (الصَّلَوَاتِ الْخُمْسَ إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ شَيْئًا)، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي بِمَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الصِّيَامِ؟ فَقَالَ: (شَهْرَ رَمَضَانَ إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ شَيْئًا)، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الزَّكَاةِ؟

(١) صحيح البخاري: ١٢/١، صحيح مسلم: ٤٥/١.

فقال: فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ، قَالَ: وَالَّذِي أَكْرَمَكَ لَا أَتَطَوَّعُ شَيْئاً. وَلَا أَنْقُصُ مِمَّا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ شَيْئاً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ، أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ) <sup>(١)</sup>.

فهذا الحديث فيه دليل على أن من أدى الواجبات والفرائض، وترك المحرمات فهو ناج، وهو من أهل الجنة لقوله ﷺ: (أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ، أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ) بعد قوله: (لَا أَتَطَوَّعُ شَيْئاً، وَلَا أَنْقُصُ مِمَّا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ شَيْئاً). وهؤلاء هم المقتصدون، وهم الأبرار، فإن تطوع مع ذلك بفعل النوافل، والرواتب - نوافل الصلاة والصوم والصدقة والحج والجهاد وغيرها - كان من السابقين، وهم المقربون، وهم أهل الدرجات العالية، فإن قصر في بعض الواجبات، أو ترك بعضها، أو فعل بعض المحرمات فهو ظالم لنفسه، وهو من أهل الجنة، وإن أصابه قبل ذلك شدة وأهوال وعذاب في القبر، أو في النار.

وهؤلاء الأصناف الثلاثة هم المصطفون أهل الجنة الذين أورثهم الله الكتاب، قال الله - تعالى - ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤَاءٌ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [سورة: فاطر، آية: ٣٢-٣٣] نسأل الله الكريم من فضله.

ومن أدلة فرضية صوم رمضان: ما ثبت في الصحيح عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: (صَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَاشُورَاءَ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تُرِكَ) <sup>(٢)</sup>، ومعنى ترك أي ترك: صوم عاشوراء وجوباً وبقي استحباباً.

(١) صحيح البخاري: ٢/٦٦٩.

(٢) صحيح البخاري: ٢/٦٦٩.

وفي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أن قریشاً كانت تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية، ثم أمر رسول الله ﷺ بصيامه حتى فرض رمضان، وقال رسول الله ﷺ: (من شاء فليصمه، ومن شاء أفطر) (١).

ومن الأدلة على فرضية الصيام: حديث جبريل المشهور الذي رواه مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب ﷺ مطوّلاً، ورواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ مختصراً في سؤال جبريل للنبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأشراطها، ولما سأله عن الإسلام أجابه النبي ﷺ: (الإسلام: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحْجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ) (٢) الحديث.

فمن أنكر فرضية الصوم ووجوبه فهو كافر مرتد عن الإسلام؛ لأنه أنكر فريضة عظيمة وركناً من أركان الإسلام، وأمرأ معلوماً من الدين بالضرورة، ومن أقر بوجوب صوم رمضان، وأفطر عامداً من غير عذر، فقد ارتكب كبيرة عظيمة يُفسق بها، ولا يُكفر في أصح قولي العلماء، ويلزم بالصوم، ويعزّره الحاكم الشرعي بالحبس، أو الجلد، أو كليهما.

وقال بعض أهل العلم: إذا أفطر رمضان من غير عذر كفر.

\*\*\*\*

(١) صحيح البخاري: ٢/٦٧٠، صحيح مسلم: ٢/٧٩٢.

(٢) حديث عمر - رضي الله عنه - في صحيح مسلم: ١/٣٧، وحديث أبي هريرة في صحيح البخاري:

١/٢٧، صحيح مسلم: ١/٣٩.

## المبحث الثاني فضائل الصيام

للصوم فضائل كثيرة، منها:

١- أن الصيام جنةٌ وسُترةٌ للصائم من الآثام ومن النار، كما في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الصَّيَامُ جُنَّةٌ، فَلَا يَرُفُثُ، وَلَا يَجْهَلُ، وَإِنْ أَمْرٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إني صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ) <sup>(١)</sup>.

٢- أن رائحة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، كما في حديث أبي هريرة السابق، فإن في آخره: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي) <sup>(٢)</sup>. فهي أطيب عند الله من ريح المسك، وإن كانت مستكرهة في مشام الناس في الدنيا، لكونها ناشئة عن طاعة الله وابتغاء مرضاته.

٣- أن الله أضاف الصيام إليه من بين سائر الأعمال، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَامَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) <sup>(٣)</sup>.

ولفظ مسلم: (كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي.. وَأَنَا أَجْزِي.. بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي).

(١) صحيح البخاري: ٢/٦٧٠، صحيح مسلم: ٢/٨٠٦.

(٢) صحيح مسلم: ٢/٨٠٧.

(٣) صحيح البخاري: ٢/٦٧٣، صحيح مسلم: ٢/٨٠٧، فتح الباري: ٤ / ١١٨، شرح النووي على

صحيح مسلم: ٨ / ٣١.

قال الحافظ ابن رجب - رحمه الله - في وظائف شهر رمضان<sup>(١)</sup>: فعلى هذه الرواية يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة، فتكون الأعمال كلها تضاعف بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام، فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد، بل يضاعفه الله عز وجل أضعافاً كثيرة بغير حصر عدد، فإن الصيام من الصبر، وقد قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة: الزمر، آية: ١٠] ولهذا ورد عن النبي ﷺ أنه سمي شهر رمضان: (شَهْرُ الصَّبْرِ)<sup>(٢)</sup>، وفي حديث آخر عنه، ﷺ قال: (الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ)<sup>(٣)</sup>.

والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة، وتجتمع الثلاثة في الصوم، فإن فيه صبراً على طاعة الله، وصبراً عما حرم الله على الصائم من الشهوات، وصبراً على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش وضعف النفس والبدن، وهذا الألم الناشئ من أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبه، كما قال الله - تعالى - في المجاهدين: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة: التوبة، آية: ١٢٠] وفي حديث سلمان المرفوع الذي أخرجه ابن خزيمة في صحيحه في فضل شهر رمضان: (وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة)<sup>(٤)</sup>. اهـ كلامه رحمه

(١) من كتاب لطائف المعارف: ص ١٥٠.

(٢) صحيح البخاري: ٢/٦٧٣، صحيح مسلم: ٢/٨٠٧، فتح الباري: ٤ / ١١٨، النووي على مسلم: ٣١ / ٨.

(٣) سنن أبي داود: ٢/٣٢٢، سنن ابن ماجه: ١ / ٥٥٤.

(٤) صحيح ابن خزيمة: ٣ / ١٩١.

الله. ولفظ رواية البخاري: (قال الله: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب - رحمه الله - في وظائف شهر رمضان<sup>(٢)</sup>: قد كثر القول في معنى ذلك، فإن الله خص الصيام بإضافته إلى نفسه من بين سائر الأعمال، وذكرها فيه وجوهاً كثيرة، ومن أحسنها وجهان:

أحدهما: أن الصيام مجرد ترك حظوظ النفس وشهواتها الأصلية التي جُبلت على الميل إليها لله ﷻ، ولا يوجد ذلك في عبادة أخرى غير الصيام؛ لأن الإحرام إنما يترك فيه الجماع ودواعيه من الطيب دون سائر الشهوات من الأكل والشرب، وكذلك الاعتكاف مع أنه تابع للصيام، وأما الصلاة فإنه وإن ترك المصلي فيها جميع الشهوات إلا أن مدتها لا تطول، فلا يجد المصلي فقد الطعام والشراب في صلاته، بل قد نُهي أن يصلي ونفسه تتوق إلى طعام بحضرته حتى يتناول منه ما يسكن نفسه، ولهذا أمر بتقديم العشاء على الصلاة... إلى قوله - وهذا بخلاف الصيام فإنه يستوعب النهار كله، فيجد الصائم فقد هذه الشهوات، وتتوق نفسه إليها خصوصاً في نهار الصيف لشدة حره وطوله - إلى قوله - فشكر الله تعالى له ذلك، واختص لنفسه عمله هذا من بين سائر أعماله.

الوجه الثاني: أن الصيام سر بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره؛ لأنه مُركَّب من نية باطنة لا يطلع عليها إلا الله، وترك لتناول الشهوات التي يُستخفى بتناولها في العادة، ولذلك قيل: لا تكتبه الحفظة. وقيل: إنه ليس فيه رياء، كذا قاله الإمام أحمد وغيره - إلى قوله - فإن من ترك ما تدعوه نفسه إليه الله ﷻ بحيث لا يطلع عليه غير من أمره أو نهاه دَلٌّ على صحة إيمانه، والله تعالى يحب من عباده أن

(١) صحيح البخاري: ٦٧٣/٢، صحيح مسلم: ٨٠٧/٢.

(٢) من كتاب لطائف المعارف: ص ١٥٢.

يعاملوه سرّاً بينهم وبينه، وأهل محبته يحبون أن يعاملوه سرّاً بينهم وبينه بحيث لا يطلع على معاملتهم إياه سواه. اهـ كلامه رحمه الله.

٤- ومن فضائل الصوم: أن الصيام - وكذا الصلاة والصدقة - كفارة لفتنة الرجل في أهله وماله وجاره فيما يقع من الكلام مع أهله، أو جاره مما لا يليق من نزاع، أو كلام، أو غضب، أو سبّ، أو نحوه، وكذا ما يحصل له من الانشغال بالمال.

كما ثبت في صحيح البخاري ومسلم عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: قال عمر رضي الله عنه: من يحفظ حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم في الفتن؟ قال حذيفة: أنا سمعته يقول: (فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ، وَمَالِهِ، وَجَارِهِ، وَتُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ، وَالصِّيَامُ، وَالصَّدَقَةُ) قال: ليس أسأل عن هذه، إنما أسأل عن التي تموج كما يموج البحر، قال: وإنّ دون ذلك باباً مغلقاً. قال: فيفتح، أو يكسر؟ قال: يكسر، قال: ذاك أجدر أن لا يعلّق إلى يوم القيامة <sup>(١)</sup>.

٥- ومن فضائل الصوم: أن في الجنة باباً للصائمين يقال له: الريان يدخلون منه دون غيرهم، كما ثبت في الصحيحين عن سهل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنّ في الجنة باباً يقال له: الرّيان، يدخل منه الصّائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، يُقال: أين الصّائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق فلم يدخل منه أحدٌ) <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>.

وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أنفق زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ

(١) صحيح البخاري: ٢/٦٧٠، صحيح مسلم: ١/١٢٨

(٢) صحيح البخاري: ٢/٦٧١، صحيح مسلم: ٢/٨٠٨.

(٣) فتح الباري: ٤/١١٥، شرح النووي على صحيح مسلم: ٨/٣٢.

من أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيٍّ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيٍّ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيٍّ مِنْ بَابِ الرِّيَانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيٍّ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ<sup>(١)</sup>.

٦- ومن فضائل الصوم: أن صائم رمضان عن إيمان واحتساب يغفر له ما تقدم من الذنوب، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه<sup>(٢)</sup>)<sup>(٣)</sup>.

وصيام رمضان من أسباب مغفرة الذنوب، لكن المغفرة مقيدة بهذا الشرط: (إيماناً واحتساباً) أي إيماناً بالله ورسوله، وتصديقاً بشريعته، واحتساباً للأجر والثواب، بأن يصومه إخلاصاً لوجه الله بنية، لا رياءً، ولا تقليداً، ولا تجلداً لئلا يخالف الناس، أو لغير ذلك من المقاصد، ويضاف إلى هذا الشرط شرط آخر لا بد منه في مغفرة الذنوب للصائم، أو القائم، وهو أداء الواجبات، وترك المحرمات، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم: (الصَّلَوَاتُ الْخُمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ)<sup>(٤)</sup>، ولقول الله - تعالى -: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [سورة: النساء: آية: ٣١] فهذا شرطان لمغفرة الذنوب.

٧- ومن فضائل الصوم: أن الصائم إذا لقي ربه فرح بصومه كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ

(١) صحيح البخاري: ٦٧١/٢، صحيح مسلم: ٧١١/٢.

(٢) صحيح البخاري: ٦٧٢/٢.

(٣) فتح الباري: ١١٥/٤، شرح النووي على صحيح مسلم: ٤٠/٦.

(٤) صحيح مسلم: ٢٠٩/١، سنن البيهقي: ١٨٧/١٠.



بيده لَخْلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ<sup>(١)</sup>.

أما فرح الصائم بقاء ربه فلما يراه من جزائه وثوابه، وترتب الجزاء الوافر عليه بقبول صومه الذي وفقه الله له.

وأما فرح الصائم عند فطره فسيبه تمام عبادته وسلامتها من المفسدات، وما يرجوه من ثوابها، حيث تم صومه وختمت عبادته وأبيح له الفطر الملائم لطبيعته فزال جوعه وعطشه.

\*\*\*\*

(١) صحيح البخاري: ٦٧٣/٢، صحيح مسلم: ٨٠٧/٢، فتح الباري: ١١٨/٤، النووي على مسلم:

## المبحث الثالث حِكْمُ الصِّيَامِ

إن الله سبحانه وتعالى ما شرع هذا الصيام لأجل مس الجوع والظمأ، وما شرع هذا الصيام لأجل أن نعدّب أنفسنا، بل لا بد من حِكْم وفوائد لهذا الصيام، قد تظهر وقد تخفى على الكثير، ومن هذه الحِكْم والفوائد، ما يلي:

أولاً: أن الصوم عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه: بترك محبوباته المباحة على محبّتها، من طعام وشراب ونكاح، لينال بذلك رضا ربه والفوز بدار كرامته، فيتبين بذلك إثارة لمحوبات ربه على محبوبات نفسه، وللدار الآخرة على الدنيا.

ثانياً: أنه سبب لحصول التقوى: والتقوى هي: توقي عذاب الله، وتوقي سخطه، وأن يجعل العبد بينه وبين معصية الله حاجزاً، ووقاية، وسترأ منيعاً.

ويكون الصيام سبباً للتقوى إذا قام الصائم بواجب صيامه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٣]. فجعل التقوى مترتبة على الصيام.

فالصائم مأمور بتقوى الله - عز وجل - وهي امتثال أمره، واجتناب نهيه، وذلك هو المقصود الأعظم بالصيام، وليس المقصود تعذيب الصائم بترك الأكل والشرب والنكاح؛ قال النبي ﷺ: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ، وَشَرَابَهُ).<sup>(١)</sup>، وقول الزور: كل مُحَرَّم من الكذب والغيبة والشتم، وغيرها من الأعمال المحرّمة. والعمل بالزور: العمل بكل فعل مُحَرَّم من العدوان على الناس، بخيانة، وغش، وضرب الأبدان، وأخذ الأموال،

ونحوها، ويدخل فيه: الاستماع إلى ما يحرم الاستماع إليه من الأغاني المحرّمة، والمعازف: وهي آلات اللهو. والجهل: هو السفه، وهو مجانبة الرشد في القول والعمل، فإذا تمسّى الصائم بمقتضى هذه الآية والحديث كان الصيام تربية لنفسه، وتهذيباً لأخلاقه، واستقامة لسلوكه، ولم يخرج شهر رمضان إلا وقد تأثر تأثراً بالغاً يظهر في نفسه وأخلاقه وسلوكه.

ولكن متى تحصل التقوى للصائم؟

لا شك أن الصيام من أسباب حصول التقوى، ذلك أن الإنسان ما دام مسكاً في نهاره عن هذه المفطرات - التي هي الطعام والشراب والنساء - فإنه متى دعت نفسه في نهاره إلى معصية من المعاصي رجع إلى نفسه فقال:

كيف أفعل معصية وأنا متلبس بطاعة الله؟!

بل كيف أترك المباحات وأفعل المحرمات؟!

ولهذا ذكر العلماء أنه لا يتم الصيام بترك المباحات إلا بعد أن يتقرب العبد بترك المحرمات في كل زمان؛ والمحرمات مثل: المعاملات الربوية، والغش، والخداع، و كسب المال الحرام، وأخذ المال بغير حق، ونحو ذلك كالسرقة، والنهب، وهذه محرمة في كل وقت، وتزداد حرمتها مع أفضلية الزمان كشهر رمضان.

ومن المحرمات كذلك: محرمات اللسان؛ كالغيبة، والنميمة، والسباب، والشتم، واللعن، والقذف، وما إلى ذلك. فإن هذه كلها محرمات في كل حال، ولا يتم الصيام حقيقة، ويثاب عليه إلا مع تركها.

روى الإمام أحمد في مسنده عن عبيد مولى رسول الله ﷺ: (أَنَّ امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا، وَإِنْ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَهُنَا امْرَأَتَيْنِ قَدْ صَامَتَا، وَإِنَّمَا قَدْ كَادَتَا أَنْ

تَمُوتَا مِنَ الْعَطَشِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، أَوْ سَكَتَ، ثُمَّ عَادَ وَأَرَاهُ، قَالَ: بِأَلْهَا جِرَةً، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّمَا وَاللَّهِ قَدْ مَاتَتَا، أَوْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا، قَالَ: اذْعُمْهُمَا، قَالَ: فَبَجَاءَتَا، قَالَ: فَجِئْ بِقَدَحٍ، أَوْ عُسٍّ، فَقَالَ: لِإِحْدَاهُمَا قَيْئِي فَقَاءَتْ قَيْحًا، أَوْ دَمًا صَدِيدًا، وَلَحْمًا حَتَّى قَاءَتْ نِصْفَ الْقَدَحِ، ثُمَّ قَالَ: لِلْأُخْرَى قَيْئِي فَقَاءَتْ مِنْ قَيْحٍ وَدَمٍ، وَصِيدٍ، وَلَحْمٍ عَبِيطٍ، وَغَيْرِهِ حَتَّى مَلَأَتْ الْقَدَحَ، ثُمَّ قَالَ: إِنْ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ، وَأَفْطَرْتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمَا، جَلَسْتُ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى فَجَعَلْتَا يَأْكُلَانِ لِحُومِ النَّاسِ<sup>(١)</sup>.

و لأجل ذلك ورد في الحديث الشريف قول النبي ﷺ: (إِنَّ الصِّيَامَ لَيْسَ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ فَقَطْ إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ)<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ: (رُبَّ صَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ، وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ)<sup>(٣)</sup>.

و قال بعضهم شعراً<sup>(٤)</sup>:

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّمْعِ مِنِّي تَصَاوُنٌ      وَ فِي بَصْرِي غَضٌّ وَ فِي مَنْطِقِي صُمْتُ  
فَحَظِّي إِذْنٌ مِنْ صَوْمِي الْجُوعُ وَالظَّمْأُ      وَ إِنْ قُلْتُ إِنِّي صُمْتُ يَوْمِي فَمَا صُمْتُ

فلا بد أن يحفظ الصائم جوارحه عن المحرمات.

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٤٣١/٥.

(٢) المستدرک علی الصحیحین: ٥٩٥/١، صحیح ابن حبان: ٢٥٥/٨، سنن البيهقي: ٢٧٠/٤.

(٣) سنن ابن ماجه: ٥٣٩/١، صحیح ابن خزيمة: ٢٤٢/٣، سنن البيهقي: ٢٧٠/٤، مسند أحمد بن حنبل: ٣٧٣/٢.

(٤) معجم الشعر لأبي طاهر السلفي: ص ٥٠.

روي عن جابر رضي الله عنه أنه قال: "إذا صمت فليصم سمعك وبصرك  
ولسانك عن الغيبة والنميمة، ودع أذى الجار، وليكن عليك سكينه ووقار، ولا  
تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء<sup>(١)</sup>."

فالذي يفعل الحرام وهو صائم لا شك أنه لم يتأثر بالصوم، فمن يصوم ثم  
يرتكب الآثام فليس من أهل التقوى، فقد ورد في الحديث قوله ﷺ: (من لم يدع  
قَوْلَ الزُّورِ: وَالْعَمَلِ بِهِ، وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ، وَشَرَابَهُ)<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: حفظ الجوارح عن المعاصي: ومن حِكْمِ الصيام وفوائده أن الإنسان  
يحفظ وجدانه، ويحفظ جوارحه عن المعاصي، فلا يقربها، حتى يتم بذلك صيامه،  
وحتى يتعود بعد ذلك على البعد عن هذه المحرمات دائماً.

فالإنسان إذا دعت نفسه إلى أن يتكلم بالزور، أو بالفجور، أو يعمل منكراً:  
من سب، أو شتم، أو غير ذلك، تذكر أنه في عبادة، فقال: كيف أتقرب بهذه  
العبادة، وأضيف إليها معصية؟!

ليس من الإنصاف أن يكون في وقت واحد وفي حال واحدة جامعاً بين  
الأمرين: الطاعة والمعصية! إن معصيته قد تفسد طاعته، وتمحو ثوابها. فالإنسان  
مأمور أن يكون محافظاً على الطاعة في كل أوقاته، ولكن في وقت الصيام أشد.

وكم من الناس وقوا أنفسهم في شهر رمضان ثلاثين يوماً، أو تسعة  
وعشرين يوماً عن المحرمات، فوقاهم الله بقية أعمارهم منها.

وكم من الناس كانوا يشربون الخمر، أو الدخان، وما أشبه ذلك، ثم قهروا  
أنفسهم في هذا الشهر، وغلبوها، وفطموها عن شهواتها، وحمتهم معرفتهم بعظم

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: ٢/ ٢٧١ رقم ٨٨٨٠، وانظر لطائف المعارف لابن رجب: ١٥٥.

(٢) تقدم تخرجه.

هذه العبادة ألا يجمعوا معها معصية، واستمروا على ذلك الحال، محافظين على أنفسهم، إلى أن انقضت أيام الشهر وكان ذلك سبباً لتوبتهم وإقلاعهم واستمرارهم على ذلك الترك لهذه المحرمات، فكان لهم في هذا الصيام فائدة عظيمة.

وهكذا أيضاً إذا حافظ العبد على قيامه، واستمر عليه، حمه ذلك على الإكثار من تلك العبادة فإذا تعبد الإنسان بترك المفطرات، والصيام لله تعالى، دعاه إيمانه، ودعاه يقينه، وقلبه السليم إلى أن يتقرب بغيرهما من العبادات.

فتجده طوال نهاره يحاسب نفسه: ماذا عملت؟ وبماذا تزودت؟

تجده طوال يومه محافظاً على وقته لئلا يضيع بلا فائدة؛ فإذا كان جالساً وحده انشغل بقراءة، أو بذكر، أو بدعاء، أو بتذكر آلاء الله وآياته.

وإذا كان في وقت صلاة، صلى ما كُتب له من ليل أو نهار، وإن دخلت الصلاة أقبل عليها بقلبه وقالبه، وأخذ يتأمل ويتفكر ما يقول فيها؛ فيكون الصيام بذلك سبباً في كثرة الأعمال والقربات كما يكون سبباً للامتناع من المحرمات.

رابعاً: حمية للبدن: من حكمة الله تعالى في الصيام أن فيه حمية للبدن عن الفضلات، ولا شك أن الحمية من أقوى أنواع الأدوية والعلاجات، فالصيام يُكسب البدن المناعة والقوة، ويطهر البدن من الأخلاط الرديئة، ويكسبه صحة وقوة، اعترف بذلك كثير من الأطباء وعالجوا به كثيراً من الأمراض، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ بْنِ آدَمَ أَكَلَاتُ يُقْمَنُ صَلْبُهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتَلْتُ لِبَطْعَامِهِ، وَتَلْتُ لِشَرَابِهِ، وَتَلْتُ لِنَفْسِهِ)<sup>(١)</sup>، وهذا الحديث الصحيح يدل على أن الإسراف في الأكل والتوسع فيه

(١) سنن ابن ماجه: ١١١١/٢، سنن الترمذي: ٥٩٠/٤، مسند أحمد بن حنبل: ١٣٢/٤.

أمر غير مرغوب فيه، بل وخطير، بحسب ابن آدم ما يقيم صحته ويقيم صلبه من اللقيحات التي تناسبه صباحاً ومساءً وفي غير ذلك من الأوقات التي يحتاج فيها إلى الطعام والشراب.

فالصيام بذلك يساهم مساهمة كبيرة في إراحة الجهاز الهضمي ويجلب للإنسان كثيراً من الفوائد الصحيّة الناتجة عن تقليل الطعام.

خامساً: تذكر الفقراء والذين يموتون جوعاً: من الحكم الجليلة التي شرع لها الصيام: أن يشعر الإنسان بالجوع فترة الصيام فيعرف قدر نعمة الله عليه بالغنى حيث إن الله - تعالى - قد يسّر له الحصول على ما يشتهي، من طعام، وشراب، ونكاح مما أباح الله شرعاً، ويسّره له قدرأً، فيشكر ربه على هذه النعمة، ويتذكر أهل الجوع دائماً من المساكين و الفقراء، ليرأف بهم، و يرحمهم، ويتصدق عليهم.

فالصيام شرع لأجل أن يتضرّع الإنسان - إذا ما أحسّ بالجوع - فيدعو ربه، كما ورد في الحديث: عن النبي ﷺ قال عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا قلت: (لَا يَا رَبِّ، وَلَكِنْ أَشْبِعُ يَوْمًا، وَأَجُوعُ يَوْمًا، وقال: ثَلَاثًا أَوْ نَحْوَ هَذَا فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ، وَذَكَرْتُكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ، وَحَمِدْتُكَ) (١).

فذكر أن الجوع سببٌ للتضرّع والذكر. فالإنسان إذا أحس بالجوع تضرع إلى الله.

ومن الحكم في الصيام: أن الإنسان يقلل من الطعام حتى يحس بأثر الجوع، فيتضرع ويدعو الله، ويتواضع له، و يكون ذاكرأً له، مقبلاً عليه، متواضعأً بين يديه.

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن، انظر: سنن الترمذي: ٥٧٥ / ٤.

ونلاحظ أن كثيراً من الناس لا يحسون بأثر هذا الجوع في هذه الأزمنة، وذلك أنهم عند الإفطار يجمعون من المأكولات والمشتريات ما يملؤون به بطونهم، ويستمرون في الأكل طوال ليلهم، متلذذين بأنواع المأكولات، حتى إذا ما أتى النهار وقد مُلئت بطونهم مكثوا طوال نهارهم في راحة، أو في نوم أو ما أشبه ذلك إلى أن يأتي الليل فلا يحس أحدهم بأنه صائم، ولا يظهر عليه أثر الصوم.

ومن المعلوم أن هذا الحال لم يكن من الصحابة والسلف الأولين، فإنهم كانوا يقللون من المأكل في إفطارهم وفي سحورهم، ولا يأكلون إلا ما يقتاتون به ويقىم أصلابهم، كما أنهم كانوا طوال نهارهم منشغلين في أعمالهم الدينية والدنيوية، ولذلك لا بد وأن يظهر عليهم أثر الجوع والتعب، ولكنهم يحتسبون ذلك عند الله. فينبغي للمسلم ألا يكون همه المأكل، وأن يعمل حتى يكون للصوم آثاره وفوائده.

سادساً: تخفيف حدة الشهوة: وقد جعل النبي ﷺ الصوم للشباب وجاءَ أي: مخففاً من حدة الشهوة كما في قوله ﷺ: (يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، من اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فإنه أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فإنه له وَجَاءٌ) (١).

وكثير من الناس الآن يصومون، لكنهم لا يجدون لهذا الصيام أثراً لتخفيف حدة الشهوة، وذلك أنهم لم يذوقوا ألم الجوع و العطش و التعب، بل ظلت نفوسهم متعبة بالشهوات، وأتى لهم أن يتركوها وقد أضافوا إلى صومهم كل ما تعف النفس عن رؤيته من أفلام خليعة و مسلسلات ماجنة.



سابعاً: التمرُّن على ضبط النفس والسيطرة عليها: حتى يتمكّن من قيادتها لما فيه خيرها وسعادتها في الدنيا والآخرة، ويتعدّد عن أن يكون إنساناً بهيمياً لا يتمكن من منع نفسه عن لذّتها وشهواتها، لما فيه مصلحتها.

\*\*\*\*

## المبحث الرابع خصوصية الصيام

إن الصيام عبادة بدنية قوامها ترك المفطرات المعروفة، ولما كان ترك هذه المفطرات سرّاً بين العبد وبين ربه، فإنه مما لا شك فيه أنه متى تم هذا العمل فيما بين الإنسان وبين الله كان ذلك أعظم لأجره، وأجزل لثوابه. وقد ذكر ذلك كثير من العلماء، فقالوا: إن الصيام سر بين العبد وبين الله. وقالوا: إن الملائكة الحفظة لا تكتبه، لأن الإنسان إذا صام لا يطلع عليه إلا الله.

فإذا صمت فمن الذي يراك في كل حركاتك، وفي كل أوقاتك؟!

إن من يغفل عن مراقبة الله له يمكنه أن يفعل ما يريد، فيتناول طعامه وشرابه دونما خوف من الله عز وجل. ولكن العبد المؤمن يعلم أن معه من يراقبه، ويعلم أن ربه يراه، قال تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [سورة: الشعراء، آية: ٢١٨-٢١٩].

فإذا كان العبد يؤمن بأن الله تعالى هو المطلع عليه وحده، كان ذلك مما يحمله على أن يخلص في عمله، كما يحمله على الإخلاص في كل الحالات، ويبقى معه في كل شهور السنة.

فإذا راقبت الله تعالى، وحفظت صيامك، في سرّك وجهرك، في الأسواق وفي البيوت، ولم تتناول ما يفسد صومك، وعرفت أن الله يراقبك، فلماذا تعود إلى هذه المعاصي بعد رمضان، وقد حرّمها الله عليك؟!

إذا كان الله تعالى قد حرم علينا الكذب، والقذف، وسائر المحرمات من محرمات اللسان، ومحرمات الفرج، ومحرمات اليد، وما سواها. فلماذا نُقدّم عليها في غير رمضان؟!

أليس الذي يراقبنا في رمضان هو الذي يراقبنا في سائر الأوقات؟

فيجب على المسلم أن يستحضر مراقبة ربه دائماً، فإنه عليه رقيب يعلم ما تكنه نفسه، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [سورة: ق، آية: ١٦].

\*\*\*\*

## المبحث الخامس التوبة

لا شك أن الإنسان في هذه الحياة معرض للمخاطر والوقوع في المزالق، وكثيراً ما يقع المسلم في الخطأ والزلل بارتكاب محظور أو ترك مأمور، وقد يأنس العبد بالمعصية زمناً ثم يفيق من سكرته ويراجع نفسه، فيجد أنها قد ابتعدت عن الصراط المستقيم وتباعدت عن التوبة، يقف على مفترق الطرق يتساءل مع نفسه: حتى متى ظلم النفس والتعدي على حق الله سبحانه وتعالى؟ ما أحلمه، خيره إلينا نازل وشرنا إليه صاعد.

وإن خير ما يمكن أن يستقبل به شهر رمضان هو التوبة، لأن رمضان موسم عظيم للتوبة والعفو، صح عن رسول الله ﷺ أنه قال (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) (١).

متى يتوب من لم يتب في رمضان؟ متى يعرف الطريق إلى الله من لم يعرفه في شهر المغفرة والرحمة؟.

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة: النور، آية: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [سورة: هود، آية: ٣].

ولا بد لكل عبد من توبة، فإن الإنسان لا يخلو من معصية أو تقصير في طاعة الله تعالى، والتوبة كما تكون من فعل السيئات تكون من ترك الحسنات المأمور بها.

(١) صحيح مسلم: ٤/٢١١٣.

فعلى المسلم أن يستقبل شهره بالتوبة إلى الله تعالى، والإنابة إليه، فيفعل ما يحبه مولاه، ويترك ما لا يرضاه، ويستدرك ما فات من خير، ويقف بباب خالقه موقف العبد الذليل، الخائف المنكسر بين يديه.

والتوبة واجبة على الفور، لا يجوز تأخيرها، سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة، لأن الإنسان لا يدري متى يفجؤه الموت؛ ولأن السيئات تجر أخواتها. وذلك إصرار على المعصية، يوجب قسوة القلب، وبعده عن الله تعالى، كما يوجب ضعف الإيمان؛ لأنه يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان.

وللتوبة النصوح التي أمر الله بها شروط خمسة وهي:

أولاً: الإخلاص: بأن تكون توبته خالصة لوجه الله تعالى، لا يريد بها شيئاً من أغراض الدنيا ولا تزلفاً عند مخلوق، بل يتوب من الذنب طاعة لله عز وجل، ومحبة له وتعظيماً، راجياً ثوابه، خائفاً من عقابه.

ثانياً: أن يكف ويترك المعصية التي كان متلبساً بها، فإن كانت فعل محرم أقلع عنه في الحال، وإن كانت ترك واجب يمكن قضاؤه بادر بأدائه، كالزكاة والحج. وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي؛ بأن كان مالاً رده إلى صاحبه إن كان حياً، أو إلى ورثته إن كان ميتاً، وإن كان لا يعرف صاحبه تصدق به عنه. وإن كان الحق غيبية استحله منها إن كان قد علم بغيبته إياه، أو خاف أن يعلم بها، وإلا استغفر له، وأبدل غيبته بمدحه والثناء عليه في المجلس الذي اغتابه فيه، فإن الحسنات يذهبن السيئات.

ثالثاً: أن يندم على فعل المعصية ويتمنى أن لم يفعلها لأجل أنه يورث له ذلك ذللاً وانكساراً بين يدي الله تعالى.

رابعاً: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً، وهذه ثمرة التوبة، وهي الدليل على صدق صاحبها.

خامساً: أن تكون التوبة في وقتها المقدر، فإن كانت بعد نهايته لم تقبل، وقد دل على ذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ (مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ) (١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يَغْرُغِرْ) (٢) أي: ما لم تبلغ روحه حلقومه، فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به المريض.

فالبدار البدار إلى التوبة قبل فوات الأوان، والحذر الحذر من التسويف، فالكل لا يدري متى الموت؟

ومما يجب التنبيه عليه أن بعض الصائمين قد يجتهد في رمضان، ويتوب إلى الله سبحانه وتعالى مما سلف من ذنوبه، ثم بعد خروج رمضان يعود إلى أعماله السيئة، وفي ذلك خطر عظيم، فالواجب على المسلم أن يحذر وأن يعزم عزمًا صادقًا على الاستمرار في طاعة الله وترك المعاصي، كما قال عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [سورة: الحجر، آية: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة: آل عمران، آية: ١٠٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفَامُوا تَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [سورة: فصلت، آية: ٣٠-٣٢].

(١) صحيح مسلم: ٢٠٧٦/٤، صحيح ابن حبان: ٣٩٦/٢.

(٢) صحيح ابن حبان: ٣٩٥/٢، سنن ابن ماجه: ١٤٢٠/٢، سنن الترمذي: ٥٤٧/٥، مسند أحمد بن حنبل: ١٣٢/٢. من طريق علي بن عياش عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان. وعبد الرحمن قال عنه في التقريب: ٣٨٢٠، "صدوق يخطئ". فالإسناد حسن، كما قال الترمذي. ووقع عند ابن ماجه (عبد الله بن عمرو) وهو وهم، كما قال المزي في تحفة الأشراف (٣٢٨/٥).

فيا معشر الصائمين: حاسبوا أنفسكم وتوبوا إلى ربكم واستغفروه واحذروا معصيته، وأعدوا العدة قبل نزول الموت، واعتبروا بما أصاب غيركم من المصائب بأسباب الذنوب والمعاصي، واعلموا أن الله يتوب على التائبين ويرحم المحسنين ويحسن العاقبة للمتقين، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة: هود، آية: ٤٩].

إن الذنوب سبب حرمان العبد من خيري الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [سورة: الشورى، آية: ٣٠]، ولا مصيبة أعظم من الحرمان من الأعمال الصالحة، ولهذا شرع في كثير من الأعمال الصالحة استفتاحها بالاستغفار، كدخول المسجد وكالدخول في الصلاة: (اللَّهُمَّ بَاعِدْ)<sup>(١)</sup>، وكخطبة الحاجة في استفتاح خطبة الجمعة والعيدين وعقد النكاح وغيرها: (إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ)<sup>(٢)</sup> كما شرع أيضًا ختمها بالاستغفار إظهارًا للافتقار وأن العبد مهما عمل فهو لا يزال في تقصير.

\*\*\*\*

(١) صحيح البخاري: ٢٥٩/١، صحيح مسلم: ٤١٩/١، من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، ولفظ البخاري: (اللهم بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقِّي الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالْتَّلْجِ وَالْبَرَدِ).

(٢) صحيح مسلم: ٥٩٣/٢، سنن النسائي: ١٢٧/٦، سنن ابن ماجه: ٦٠٩/١، سنن الدارمي:

١٩١/٢، انظر للتفصيل: خطبة الحاجة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

## المبحث السادس الدعاء ببلوغ شهر رمضان

مما ينبغي للمسلم أن يتحلى به دعاء الله تبارك وتعالى أن يبلغه رمضان، ويعينه على صيامه وقيامه، وهذا هو هدي الرسول ﷺ، وهدي السلف من بعده، لما رواه أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ كان يدعو ببلوغ رمضان، فكان إذا دخل شهر رجب قال: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ، وَشَعْبَانَ، وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ) (١).

وروى الطبراني عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: "كان المسلمون يدعون عند حضرة شهر رمضان: اللهم أظل شهر رمضان وحضر، فسلمه لي وسلمني فيه وتسلمه مني، اللهم ارزقني صيامه وقيامه صبراً واحتساباً، وارزقني فيه الجد والاجتهاد، والقوة والنشاط، وأعدني فيه من السامة والفترة والكسل والنعاس، ووقفني فيه ليلية القدر، واجعلها خيراً لي من ألف شهر" (٢).

وقال مُعَلَّى بن الفضل: "كانوا يدعون الله -عز وجل- ستة أشهر أن يبلغهم شهر رمضان، ويدعون الله ستة أشهر أن يتقبل منهم" (٣)، وقال الأوزاعي: "كان يحيى بن أبي كثير يدعو حضرة شهر رمضان: اللهم سلمني لرمضان وسلم لي رمضان وتسلمه مني مُتَقَبِّلاً" (٤) (٥).

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٢٥٩/١، رواه الطبراني في الأوسط (رقم: ٣٩٣٩)، ورواه أحمد بلفظ: (وبارك

لنا في رمضان) بدل: (وبلغنا رمضان)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم: ٤٣٩٥).

(٢) رواه الطبراني في الدعاء (رقم: ٩١٤).

(٣) رواه الأصبهاني كما في الدر المنثور للسيوطي (١/٤٥٤).

(٤) حلية الأولياء (٣/٦٩).

(٥) انظر: المناهل الحسان في دروس رمضان، عبد العزيز السلطان، (ص: ٦).



## المبحث السابع شكر الله على بلوغ الشهر

ينبغي للمسلم أن يستقبل هذا الشهر بشكر الله -عزَّ وجلَّ- على ما منَّ به عليه من إدراك هذا الشهر العظيم، وبلوغه هذا الموسم الكريم، وتلقيه بنية صادقة، وعزم على الرشد ورغبة واستبشار، وتلقيه بنفس متهيئة لاستقباله بالتوبة الصادقة النصوح، والعزم على فعل الفضائل ومجانبة الرذائل؛ وذلك بالعزم على صومه حسياً باجتناب المفطرات، ومعنوياً باجتناب المآثم والمنكرات، وبالتأسي فيه برسول الله ﷺ الذي كان أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة.

فقد روى الشيخان -رحمهما الله- من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*

(١) صحيح البخاري: ٢٢/١، وفيه زيادة: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه..» مع تقديم وتأخير، صحيح مسلم: ٥٢٣/١.

## المبحث الثامن

## سؤال الله العون على الصيام

إن خير ما يمكن أن يستقبل به المسلم الصيام هو طلب الله العون على صيام هذا الشهر، فقد كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال يدعو ربه قائلاً: (اللَّهُمَّ أَهْلَهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ، وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ، وَالْإِسْلَامِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا نُحِبُّ وَتَرْضَى، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ) (١).

فعليك -أخي الصائم- أن تدعو الله أن يعينك على الطاعة، فالله تعالى قد قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة: غافر، الآية: ٦٠]، مثل أن يكرر هذا الدعاء: (اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ) (٢)، ويؤثر عن السلف أنهم كانوا يقولون إذا حضر رمضان ما رواه الطبراني عن عبد العزيز ابن أبي رواد قال: «كان المسلمون يدعون عند حضرة شهر رمضان: اللهم أظل شهر رمضان وحضر، فسلمه لي وسلمني فيه وتسلمه مني، اللهم ارزقني صيامه وقيامه صبراً واحتساباً، وارزقني فيه الجد والاجتهاد، والقوة والنشاط، وأعدني فيه من السامة والفترة والكسل والنعاس، ووفقني فيه ليلية القدر، واجعلها خيراً لي من ألف شهر» (٣).

\*\*\*\*

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٣٥٦/١٢ رقم: ١٣٣٣٠، صحيح ابن حبان: ١٧١/٣، سنن

الترمذي: ٥٠٤/٥، سنن الدارمي: ٧/٢، مسند أحمد بن حنبل: ١٦٢/١.

(٢) المستدرک علی الصحیحین: ٣٠٧/٣، سنن النسائي: ٣٢/٦، سنن أبي داود: ٨٦/٢، وصححه

الألباني صحيح أبي داود: رقم ١٣٤٧.

(٣) رواه الطبراني في الدعاء (ص ٢٨٤، رقم: ٩١٤).

## المبحث التاسع العزم على اغتنام الشهر

على المسلم أن يعقد العزم على عمارة أوقاته بالأعمال الصالحة، فمن صدق الله صدقه وأعانته على الطاعة ويسر له سبل الخير، قال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [سورة: محمد، آية: ٢١].

لأن رمضان فرصة العمر السانحة، وموسم البضاعة الرابحة، والكفحة الراجحة، ولما حباه الله تعالى من المميزات فهو بحق مدرسة لإعداد الرجال، وهو بصدق جامعة لتخريج الأبطال .

هنا مصنعُ الأبطالِ يصنعُ أُمَّةً \* \* وينفخُ فيها قوَّةَ الروحِ والفِكرِ  
ويخلعُ عنها كلَّ قيدٍ يعوقُها \* \* ويُعلي منارَ الحقِّ والصدِّقِ والصبرِ  
ولما يسر الله تعالى فيه من أسباب الخيرات ، وفعل الطاعات ، فالنفوس فيه مقبلة ، والقلوب إليه والهة .

ولأن رمضان تصفد فيه مردة الشياطين، فلا يصلون إلى ما كانوا يصلون إليه في غير رمضان ، وفي رمضان تفتح أبواب الجنان ، وتغلق أبواب النيران ، والله في كل ليلة من رمضان عتقاء من النار ، وفي رمضان ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، فما أعظمها من بشارة ، لو تأملناها بوعي وإدراك لوجدتنا مسارعين إلى الخيرات ، متنافسين في القربات ، هاجرين للموبقات ، تاركين للشهوات، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ

الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ.. الْخَيْرِ أَقْبَلُ، وَيَا بَاغِيَ.. الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَاللَّهُ عَتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ<sup>(١)</sup>.

أخي الصائم: إن رمضان موسم عظيم، جعله الله ميداناً يتنافس فيه المتنافسون؛ لتهديب نفوسهم، وتزكية قلوبهم، وشهراً كريماً يتقرب فيه المتقربون لنيل رضا ربهم والدرجات العلى في الجنة، فهذه أيام الرحمات والبركات قد أقبلت، فأين المشمرون؟ وهذه أيام تكفير السيئات ورفع الدرجات وقبول الأعمال الصالحات قد حلت، فأين المتنافسون؟

أخي الصائم: عليك بالاستكثار من الأعمال الصالحة عموماً، حتى تنهتياً النفس وتستعد للشهر الفضيل، وتستقبله برغبة صادقة، فمن ثواب الحسنة: الحسنة بعدها، ولعل هذا - والله أعلم - من حِكْمِ إكثار النبي ﷺ الصوم في شعبان، ففي الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها قالت: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يَصُومُ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ)<sup>(٢)</sup>.

ومما يعتبر من الأهمية بمكان هنا: التخطيط لما يريد الصائم إنجازَه في هذا الشهر الكريم، بوضع أهداف واضحة ومحددة مثل: تلاوة وحفظ بعض أو كل أجزاء القرآن الكريم، التبكير إلى الصلوات مع تمام المحافظة عليها مع الجماعة، قراءة عدد من الكتب، صلة الأرحام، الإحسان إلى الجيران، زيادة الاجتهاد في

(١) سنن الترمذي: ٦٦/٣، سنن ابن ماجه: ٥٢٦/١.

(٢) صحيح البخاري: ٦٩٥/٢، صحيح مسلم: ٨١٠/٢، سنن النسائي: ١٧٢/٢، سنن أبي داود:

٣٢٤/٢، سنن الترمذي: ١٣٩/٣.

الدعوة إلى الله تعالى، الاجتهاد في صدقة التطوع، كسب أصدقاء جدد، محاولة الإقلاع عن التدخين لمن كان مدخناً بعزم وجد.

واكتب ذلك في ورقة ثم ذكّر نفسك بقراءتها، وحاسب نفسك باستمرار قبل أن تحاسب.

فالرغبة الأكيدة والعزم هو أول شرط من شروط التغيير ينبغي المداومة عليه، ولكي تؤكد على الرغبة ضع لكل هدف من أهدافك سبباً، مثلاً: لماذا تريد أن تحفظ بعض الأجزاء من القرآن؟ لماذا تريد أن تقلع عن التدخين؛ فليذكر نفسه باستمرار بأن الحفظ ليرتل ويرقى في درجات الجنة، ولأن التدخين من المحرمات... وهكذا يذكر نفسه بأن ذلك هو الذي ينبغي على المسلم الصادق، وأنه لا مفر ولا ملجأ من الله إلا إليه.

ومن ذلك: وضع مقاييس للخطط: حتى تعرف أنك حققت أهدافك، مثلاً إذا كنت من قبل لا تصلي الفجر بالمسجد فإن المحافظة على صلاة الفجر بالمسجد بنسبة ٥٠٪ يعني أن هناك تحسن ٩٠٪، يعني هناك تحسن مستمر للوصول إلى رضی الله تعالى، ففي كل الأحوال ينبغي للمسلم الإحساس بأنه بحاجة إلى مزيد بشرط ألا يغتر بالطاعة؛ بل يشعر بأنها من فضل الله وأنه لا يدخل الجنة أحد بعمله، فالمهم الاستمرار.

ومن ذلك: التطبيق يومياً ولو مسألة واحدة لتعين للوصول إلى الأفضل: فعلماء الإدارة يذكرون أن الناجحين بعد أن يسردوا أهدافهم الواضحة يبدوون بتطبيق شيء يومياً، فاكتب ما تريد تحقيقه غداً ليلاً لتوفير الوقت والجهد، وهذا

من السنة؛ لما ورد في الصحيح من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: سُئِلَ النبي ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: (أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ) <sup>(١)</sup>.

ومن ذلك: قم ثم انصب وإلى ربك فارغب: في وسط الشهر الكريم أو نهايته اجلس مع نفسك جلسة محاسبة وتقييم، هل حققت ما تريد؟ هل حققت بعض أهدافك أم كلها؟! ثم اغتنم ما تبقى من الشهر، أي يجب أن تحاول مرة أخرى وأخرى وأخرى، وابدأ من جديد، لا يأس مع الحياة، وصدق المصطفى ﷺ القائل في القاعدة الشرعية والنفسية العظيمة: (استعن بالله ولا تعجز) <sup>(٢)</sup>، فالذي يخطط ولا يحقق كل ما خطط له خير من الذي لا يخطط، أو الذي لا يحاول ويجدد النية باستمرار، ولا تنس أن تسجد لله شكرًا -قدر المستطاع- على كل هدف حققته، أو نعمة من نعم الطاعات أو غيرها من الأرزاق، وأن تطلب منه سبحانه المزيد من التوفيق والسداد وزيادة النعم <sup>(٣)</sup>.

فشهر رمضان فرصة لو أفلتت من العبد كانت له حسرة يا لها من حسرة وندامة يوم القيامة، وأي حسرة وخسارة أعظم من أن يدخل المرء فيمن عناهم المصطفى ﷺ فيما يرويه ابن حبان في صحيحه، وفيه: (إِنَّ جَبْرِيلَ أَتَانِي فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَلَمْ يُعْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ) <sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح البخاري: ٥/٢٣٧٣، صحيح مسلم: ١/٥٤٠.

(٢) صحيح مسلم: ٤/٢٠٥٢، من حيث أبي هريرة -رضي الله عنه- وهو قطعة من حديث طويل ونصه: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان».

(٣) نقلًا من مقال بمجلة الأسرة، العدد (٩٠) رمضان ١٤٢١هـ (ص ٣٦) (بتصرف).

(٤) صحيح ابن حبان: ٣/١٨٨.

## المبحث العاشر

## الاعتقاد بان صيام رمضان أداء لفريضة عظيمة

ذلك أنه يجب أن يعلم المسلم أن صوم رمضان هو أحد أركان الإسلام، وفرض من فروض الله، ومعلوم من الدين بالضرورة، وإجماع المسلمين، بل من العلم العام الذي توارثته الأمة خلفاً عن سلف، وقد دلّ عليه الكتاب والسنة والإجماع، وما تحلى المسلم بشيء أحب إلى الله من أداء فريضته.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٣]، وقوله ﴿كُتِبَ﴾ أي فرض، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فهو صلة إلى التقوى؛ لما فيه من قهر النفس، وترك الشهوات، وقال: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٥]، والأمر للوجوب؛ لما فيه من تهذيب النفس، وطهارتها، وتنقيتها من الأخلاط الرديئة، والأخلاق الرذيلة.

وقال الرسول ﷺ: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ) <sup>(١)</sup>، وذكر منها: (صَوْمُ رَمَضَانَ)، والأحاديث كثيرة في الدلالة على فرضيته وفضله، وفي الحديث: (كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به) <sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ: (وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ) <sup>(٣)</sup>، وقال: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، فَضَيِّقُوا مَجَارِيهِ بِالْجُوعِ بِالصَّوْمِ) <sup>(٤)</sup>، فإذا أكل أو شرب انبسطت نفسه إلى الشهوات، وضعفت إرادتها

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) صحيح البخاري: ٦/٢٦٢٣، صحيح مسلم: ٤/١٧١٢.

ومحبتها للعبادات، بخلاف صوم رمضان؛ ففيه ما فيه من التزهيد في الدنيا وشهواتها، والترغيب فيما عند الله، والرحمة والعطف على المساكين، وموافقتهم بتحمل ما يتحملون أحياناً، وينبغي للمسلم أن يعلم أنه لا مفر أمامه من صيامه بنية صادقة، ولهذا فقد أجمع العلماء على أن مَنْ أنكر وجوبه كفر<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*

قال العراقي: متفق عليه من حديث صفية، دون قوله: « فضيقوا مجاريه بالجوع... » فإنه مدرج من كلام الصوفية (انظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، رقم: ٧٨، ص ١٢٢).  
(١) انظر حاشية الروض المربع (٣/٣٤٤-٣٤٥).



## المبحث الحادي عشر تعظيم شعيرة صوم رمضان

ذلك أن تعظيم هذه الشعيرة واستشعار أنها ركن من أركان الإسلام حلية للمسلم، لأن الله -جل وعلا- يقول: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [سورة: الحج، آية: ٣٢]، ومعنى تعظيمها، إجلالها والقيام بها وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد، فتعظيم شعائر الله صادرٌ من تقوى القلوب، فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه لأن تعظيمها تابع لتعظيم الله وإجلاله. وذكر القلوب لأنها منشأ التقوى والفجور والأمره بهما، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [سورة الحج: ٣٠]، وحرمات الله: أحكامه وسائر ما لا يحل هتكه، أو المراد به: الحرم أو ما يتعلق الحج به من التكاليف ﴿فَهُوَ﴾ أي فالتعظيم ﴿خَيْرٌ﴾ قرابة وزيادة في الطاعة ﴿لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ ثم قيل: الظاهر أن خيراً هنا ليس أفعال تفضيل<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*

(١) انظر دليل الفالحين (٣/٢).

## المبحث الثاني عشر تعلم أحكام الصيام

العلم بأحكام الصيام فرض عين على كل مسلم يعبد الله ويصلي له ويصوم، فلا بد أن يتفقه في أحكام الصيام وآدابه حتى يعبد الله على بصيرة وعلم، وهو الذي أشار إليه رسول الهدى ﷺ بقوله: (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ) <sup>(١)</sup>. فاتق الله أخي المسلم وادرس وتعرف على أحكام دينك من أوامر ونواهي؛ لكي تعرف كيف تصوم وتتقرب إلى مولاك، واعلم أنك مأجور في هذا المسلك والطريق الذي يوصلك إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للذين آمنوا بالله واتقوه، وعرفوا أحكام هذا الدين ووقفوا عند حدوده.

فالجهل بأحكام الصيام من شروط ومفسدات، وعدم السؤال عنها قبل مباشرتها هو خطأ عظيم وجهل كبير، وربنا جلّ جلاله يطالبنا بسؤال العلماء في أمور الدين والشريعة بقوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة: الأنبياء، آية: ٧] فالواجب على العبد المسلم معرفة أحكام الصيام الظاهرة الواجبة عليه، كوقت الفطر، والإمساك، وكأنواع المفطرات، وما الذي يجب الامتناع عنه، وشروط الصيام، ونحو ذلك حتى تقع العبادة موقعها، ويكون العبد المسلم الصائم مأجوراً عليها <sup>(٢)</sup>.

واعلم يا عبد الله أن العلم بأحكام الشريعة عامة والصيام خاصة يشرح الصدر ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا، والجهل يورث الضيق والحصر والحبس؛ فكلما اتسع علم العبد انشرح صدره واتسع، وليس هذا لكل علم بل

(١) سنن ابن ماجه: ٨١ / ١. رواه ابن ماجه (رقم: ٢٢٤) وصححه الألباني (صحيح ابن ماجه، رقم: ٢٢٠).

(٢) انظر المنظار (٨٨).

للعلم الموروث عن الرسول ﷺ، فهذا هو العلم النافع، فأهله أشرح الناس صدرًا وأوسعهم قلوبًا، وأحسنهم أخلاقًا، وأطيبهم عيشًا<sup>(١)</sup>.

وصدق المصطفى عليه الصلاة والسلام القائل: (مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*

(١) انظر زاد المعاد (٢/٢٣).

(٢) صحيح البخاري: ١/٣٩، صحيح مسلم: ٢/٧١٨.

## المبحث الثالث عشر

### الإكثار من الصيام في شهر شعبان

لحديث عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها قالت: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يَصُومُ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ) (١).

وأخرج مسلم بسنده عن أبي سلمة قال: سألت عائشة - رضي الله عنها - عن صيام رسول الله ﷺ فقالت: (كان يصوم حتى نقول: قد صام، ويُفطر حتى نقول: قد أفطر، ولم أره صائماً من شهر قط أكثر من صيامه من شعبان، كان يصوم شعبان كله كان يصوم شعبان إلا قليلاً) (٢).

وأخرج مسلم أيضاً بسنده عن أبي سلمة عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (لم يكن رسول الله ﷺ في الشهر من السنة أكثر صياماً منه في شعبان) (٣).

قال أهل العلم: "وصوم شعبان مثل السنن الرواتب بالنسبة للصلوات المكتوبة، ويكون كأنه مقدمة لشهر رمضان، أي: كأنه راتب لشهر رمضان، ولذلك سنّ الصيام في شهر شعبان، وُسّن صيام ستة أيام من شوال، كالراتبة قبل المكتوبة وبعدها" (٤).

والتأمل في وقتنا في حال أكثر الناس يرى أن هذا الهدي النبوي قد هجر إلا قليلاً، فأين المشمرون لسلوك طريق المعالي، والذين يوطئون أنفسهم ويعدون لها لتحقيق غاية الربح في هذا الموسم المبارك؟!.

(١) تقدم تخرجه:

(٢) صحيح مسلم: ١١١/٢، وانظر شرح النووي على صحيح مسلم: ٣٧-٣٨.

(٣) صحيح مسلم: ١١١/٢.

(٤) مجموع فتاوى ابن عثيمين: ٢٠/٢٢-٢٣.

وأين الباحثون عن بلوغ الكمال في التأسي بالنبِيِّ ﷺ والسير على هدايته؟! نسأل الله تعالى عونهُ وتوفيقه<sup>(١)</sup>.

و الحكمة في تخصيص شعبان بكثرة الصوم منه ﷺ - والله أعلم - : لأنه شهر يغفل الناس عنه، لما أخرجه النسائي عن أسامة بن زيد قال: قلت يا رَسُولَ اللَّهِ: لم أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ قَالَ: (ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي، وَأَنَا صَائِمٌ)<sup>(٢)</sup>.

وحديث عائشة في الإكثار من صيام شعبان لا يعارض حديث أبي هريرة في النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم، أو يومين؛ فإن صيام النبي ﷺ شعبان كان عادة له، والنهي عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين لمن لم يكن له عادة، بدليل قوله في آخر الحديث: (إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا فَلْيَصُمْهُ)<sup>(٣)</sup>، وصيام النبي ﷺ شعبان كان عادة له، فهو داخل في المستثنى في حديث أبي هريرة: (إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا فَلْيَصُمْهُ)<sup>(٤)</sup>.

والإكثار من الصيام في شهر شعبان يمرّ النفس على أداء صيام شهر رمضان، قال ابن رجب: «قيل في صوم شعبان إن صيامه كالتمرين على صيام رمضان، لئلا يدخل في صوم رمضان على مشقة وكلفة، بل يكون قد تمرن على

(١) هكذا كان النبي ﷺ في رمضان: ص ١٢-١٣.

(٢) سنن النسائي: ٢٠١/٤، مستد أحمد بن حنبل: ٢٠١/٥.

(٣) صحيح مسلم: ٧٦٢/٢، سنن الترمذي: ٦٩/٣، سنن الدارمي: ٨/٢.

(٤) صحيح مسلم: ٧٦٢/٢، سنن الترمذي: ٦٩/٣، سنن الدارمي: ٨/٢.

الصيام واعتاده، ووجد بصيام شعبان حلاوة الصيام ولذته، فیدخل في صيام رمضان بقوة ونشاط»<sup>(١)</sup>.

ولما كان شعبان كالمقدمة لرمضان شرع فيه ما يشرع في رمضان من الصيام وقراءة القرآن، ليحصل التأهب لتلقي رمضان وترتاض النفوس بذلك على طاعة الرحمن<sup>(٢)</sup>.

وأما ما رواه أبو داود وغيره من حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَا انْتَصَفَ شَعْبَانُ فَلَا تَصُومُوا)<sup>(٣)</sup> وفي رواية: (فَلَا يَصُومُنَ أَحَدٌ)<sup>(٤)</sup>. وفي رواية: (إِذَا كَانَ النِّصْفُ مِنْ شَعْبَانَ فَأَمْسِكُوا عَنِ الصَّوْمِ حَتَّى يَكُونَ رَمَضَانُ)<sup>(٥)</sup>.

فقد اختلف العلماء في تصحيحه، وتضعيفه، وعلى فرض صحته فإنه لا تعارض بينه وبين صيام النبي ﷺ شعبان، وكذلك نهيه عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين، إذ الجمع بينهما ممكن بحمد الله تعالى، وذلك بأن يحمل فعله ﷺ وصيامه شعبان بأن ذلك عادة له وكان يصل النصف الثاني من شعبان بالنصف الأول، والنهي عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين محمول على من ليست له عادة بالصيام، أو كان يصوم قضاء من رمضان الماضي.

وعليه: فيكون النهي عن الصيام بعد النصف من شعبان -على فرض صحة الحديث الوارد فيه- يتناول من يصوم نفلاً مطلقاً، أما من له عادة بصيام شيء

(١) فتح الباري: ٤/ ١١٥.

(٢) التبصرة (٢/ ٥٠)، فقه الصوم (١/ ٤٤٧-٤٤٨) بتصرف.

(٣) سنن أبي داود: ٢/ ٣٠٠، صحيح ابن خزيمة: ٣/ ٢٨٢.

(٤) مسند الشافعي: ١/ ٢٤٠.

(٥) سنن أبي داود: ٢/ ٣٠٠، مواهب الجليل: ٢/ ٤١١، سنن الترمذي: ٣/ ١٠٦،

سنن الدارمي: ٢/ ٢٩، مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ٤٤٢.

كالاثنين والخميس، أو وصله بما قبل النصف الأول، أو يكون يصوم نذراً، أو كفارة، أو قضاء رمضان الماضي فلا يتناوله النهي، ويكون هذا الحديث موافقاً لحديث أبي هريرة في النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين، والنهي في الحديثين للتحريم؛ لأنه الأصل فيه، وقد ذكر بعض أهل العلم أن معنى هذا النهي للمبالغة في الاحتياط لئلا يختلط برمضان ما ليس منه، وهو توجيه حسن.

\*\*\*\*

## المبحث الرابع عشر

### عدم تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين

ما ينبغي للمسلم أن لا يتقدم شهر رمضان بصوم يوم أو يومين؛ لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (لَا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ فَلْيَصُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ) <sup>(١)</sup>.

والحديث دليل على النهي عن تقدم رمضان بصيام يوم أو يومين، وظاهر النهي للتحريم، وحمله كثير من العلماء على الكراهة، فمن حرّمه نظر إلى النهي، ومن كرهه نظر إلى الاستثناء.

والحكمة في ذلك - والله أعلم -: تمييز فرائض العبادات عن نوافلها، والاستعداد لصوم رمضان بنشاط ورغبة، ورجح ابن حجر أن الحكمة هي أن حُكِمَ الصيام معلق برؤية الهلال، فمن تقدمه بيوم أو يومين فقد حاول الطعن في ذلك الحكم <sup>(٢)</sup>، ولعل من الحكمة: كراهة التنطع في الدين، وتجاوز الحدود التي فرضها الله تعالى من تشدد أو تهاون ونحوه.

أما لو كان على الإنسان صوم واجب كقضاء رمضان أو نذر، فإن الصيام قبيل رمضان ليس رخصة، وإنما هو عزيمة فيجب عليه الصيام، لأن أداء الواجب مقدم على المكروهات.

وإنما اقتصر الحديث على يوم أو يومين لأنه الغالب فيمن يقصد ذلك، وقد قطع كثير من الشافعية بأن ابتداء المنع من أول السادس عشر من شعبان، واستدلوا بحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً: (إِذَا انْتَصَفَ شَعْبَانُ فَلَا تَصُومُوا) <sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري: ٦٧٦/٢، صحيح مسلم: ٧٦٢/٢.

(٢) فتح الباري (٤/١٢٨).

(٣) انظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام للشيخ البسام (٣/١٢٥-١٢٦).



## المبحث الخامس عشر ترائي هلال رمضان

ينبغي أن يعنى الصائم بهلال شعبان حتى يعرف ليلة الثلاثين التي يتحرى فيها هلال رمضان، ويستكمل الشهر عند عدم الرؤية، لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أَحْصُوا هَلَالَ شَعْبَانَ لِرَمَضَانَ...) الحديث <sup>(١)</sup>.

أي: اجتهدوا في إحصائه وضبطه، بأن تتحروا وتتراوا منازلها، لأجل أن تكونوا على بصيرة في إدراك هلال رمضان فلا يفوتكم منه شيء <sup>(٢)</sup>.

وإذا رأى هلال رمضان قال الدعاء المأثور: الله أكبر - ثلاثاً -، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربي وربك الله، هلال رشد وخير، الحمد لله الذي جاء بشهر رمضان، وذهب بشهر شعبان <sup>(٣)</sup>.

وعن طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه -: أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: (اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ) <sup>(٤)</sup>.

(١) المستدرک علی الصحیحین: ٥٨٧/١، سنن الترمذی: ٧١/٣، سنن البیهقی: ٢٠٦/٤، سنن الدارقطني: ١٦٢/٢، والبغوي في شرح السنة (٢٣٩/٦)، وسنده حسن كما في الصحیحة رقم (٥٦٥).

(٢) انظر: تحفة الأحوذی (٣/٣٦٨).

(٣) حاشية الروض المربع (٣/٣٤٧).

(٤) المستدرک علی الصحیحین: ٣١٧/٤، سنن الترمذی: ٥٠٤/٥، وفيه «باليمن» بدل «بالأمن» سنن الدارمی: ٧/٢، مسند أحمد بن حنبل: ١/١٦٢، وحسنه الألباني في كتاب ظلال الجنة في تحريج أحاديث السنة لابن أبي عاصم (رقم: ٣٧٦).

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال: (اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ) <sup>(١)</sup>.

وعن قتادة أنه بلغه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: (هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ -ثَلَاثَ مَرَّاتٍ-)، ثُمَّ يَقُولُ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ذَهَبَ بِشَهْرٍ كَذَا وَجَاءَ بِشَهْرٍ كَذَا) <sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*

(١) صحيح ابن حبان: ٣/١٧١، سنن الدارمي: ٧/٢، والطبراني في الكبير (١٢/٣٥٦ رقم: ١٣٣٣٠).

(٢) سنن أبي داود: ٤/٣٢٤، وقال الألباني: "ضعيف الإسناد" (السلسلة الضعيفة، رقم: ٣٥٠٦).

## المبحث السادس عشر البشارة بقُدوم شهر رمضان

لقد كان رسول الله ﷺ يهني أصحابه بقُدوم شهر رمضان، لما روى الإمام أحمد والنسائي من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ يبشر أصحابه: (قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، يُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَيُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مِنْ حُرْمِ خَيْرِهَا فَقَدْ حُرِّمَ) (١).

وورد بلفظ: (أَتَاكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ مَرَدَّةُ الشَّيَاطِينِ، اللَّهُ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِّمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِّمَ) (٢).

قال ابن رجب: «هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضاً بشهر رمضان، كيف لا يبشر المؤمن بفتح أبواب الجنان، وكيف لا يبشر المذنب بغلق أبواب النيران، كيف لا يبشر العاقل بوقتٍ يُغَل فيه الشيطان» (٣).

وقال ﷺ: (قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزداد فيه في رزق المؤمن، من فطّر فيه صائماً كان مغفرةً لذنوبه، وعتقاً لرقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء) قالوا: يا

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٢/٣٨٥.

(٢) سنن النسائي: ٤/١٢٩.

(٣) انظر: لطائف المعارف: ص ١٤٨، بتصرف، والمناهل الحسان في دروس رمضان، (ص ٣).

رسول الله، ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، قال: (يعطي الله هذا الأجر لمن فطر صائماً على مذقة لبن، أو شربة ماء، أو تمر، و من أشبع فيه صائماً، أو من سقى فيه صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظماً بعدها حتى يدخل الجنة، فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما. أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: شهادة أن لا إله إلا الله، والاستغفار، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما: فتسألونه الجنة، وتستعيذون به من النار)<sup>(١)</sup>.

وروي أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام كان يفرح بقدم رمضان، فكان إذا دخل رجب يقول: (اللهم بارِكْ لنا في رَجَبٍ، وَشَعْبَانَ، وَبَارِكْ لنا في رَمَضَانَ)<sup>(٢)</sup>.

وهكذا كان السلف -رحمهم الله- يفرحون به، و يدعون الله به، فكانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم، فتكون سنتهم كلها اهتماماً بـرمضان.

و في حديث مرفوع رواه ابن أبي الدنيا أن النبي ﷺ قال: (لو تعلم أمتي ما في رمضان لتمنت أن تكون السنة كلها رمضان)<sup>(٣)</sup>.

فافرِح -أخي الصائم- بقدم هذا الشهر الكريم كما كان حال رسول الله ﷺ وصحابته الكرام والسلف الصالح من بعدهم.

واعلم أن من فضل الله تعالى ونعمه العظيمة على عباده، أن هياً لهم المواسم الفاضلة لتكون مغنماً للطائعين، وميداناً لتنافس المتنافسين.

(١) صحيح ابن خزيمة: ٣/١٩١، والحارث بن أبي أسامة في مسنده: ١/٤١٢.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) مسند أبي يعلى: ٩/١٨٠.

واعلم -أخي الصائم الكريم- أن الفرح بقدوم شهر رمضان يعني أنه موسم موضوع لبلوغ الأمل بالاجتهاد في الطاعة ورفع الخلل والنقص بالاستدراك والتوبة، واعلم أن بلوغ رمضان نعمة عظيمة على من بلغه وقام بحقه، فقام ليله وصام نهاره، ورجع فيه إلى مولاه من معصيته إلى طاعته، ومن الغفلة عنه إلى ذكره، ومن البعد عنه إلى الإنابة إليه.

وإنَّ واجب المسلم استشعار هذه النعمة، ومعرفة قدرها، فإن كثيراً من الناس حرموا الصيام إما بموتهم قبل بلوغه، أو بعجزهم عنه، أو بضلالهم وإعراضهم عنه، فليحمد الصائم ربه على هذه النعمة، ويستقبل شهره بالفرح والاعتباط بموسم عظيم من مواسم الطاعة، وأن يجتهد في أعمال الخير، وأن يدعو الله تعالى أن يرزقه صيامه وقيامه، وأن يرزقه فيه الجد والاجتهاد والقوة والنشاط، وأن يوقظه من رقدة الغفلة ليغتتم مواسم الطاعات والخيرات.

ومن الملاحظ أن الإنسان يعان على الطاعات في رمضان، فعليه أن يشكر ربه ويستفيد من وقته.

\*\*\*\*



## الفصل الثاني

### أخلاق الصائم القولية

وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: تلاوة القرآن الكريم

المبحث الثاني: الإكثار من الذكر والتسبيح

المبحث الثالث: القيام بواجب الدعوة إلى الله

المبحث الرابع: التحصن من الشياطين

المبحث الخامس: الإكثار من الدعاء

## المبحث الأول تلاوة القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٥].

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: أَلَمْ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ) (١).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: (الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ) (٢).

ولقد أمر الله - عز وجل - بتلاوة كتابه، وبين أن هذا هو دأب الصالحين الصادقين فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [سورة: فاطر، آية: ٢٩-٣٠]، وقد كان مطرف - رحمه الله - إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية القراءة (٣). وذلك - يا أخي - لما أثبتته لهم من الأجر العظيم والثواب المضاعف، فهم لا ينعمون بالأجر وافيًا، وإنما يزيدهم الله إكرامًا وفضلًا، قال القرطبي - رحمه الله -: «قيل: الزيادة الشفاعة في الآخرة» (٤).

(١) سنن الترمذي: ٥/١٧٥، وصححه الألباني (صحيح الجامع، رقم: ٦٤٦٩).

(٢) صحيح البخاري: ٤/١٨٨٢، صحيح مسلم: ١/٥٤٩.

(٣) رواه الطبراني: ٢٢/١٣٢.

(٤) تفسير القرطبي (١٤/٣٤٥).



وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: (الصَّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصَّيَامُ: أَيُّ رَبِّ مَنَعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ) <sup>(١)</sup>، فقراءة القرآن هي التجارة الرباحة التي لا تبور، وذلك في جميع الدهور، وعلى مدى الأيام والشهور، لكن لها في رمضان شأنًا أعظم وأكد، فإن النبي ﷺ كانت تزيد عنايته بالقرآن في رمضان، وذلك لأسباب:

أولاً: أن ابتداء نزول القرآن كان في رمضان، فإنه نزل في ليلة القدر، وليلة القدر في رمضان.

ثانياً: أن رمضان هو الذي أنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، كما جاء ذلك عن ابن عباس - رضي الله عنهما - <sup>(٢)</sup>، وكما أطبق السلف على أن القرآن فصل من اللوح المحفوظ وأنزل إلى بيت العزة في سماء الدنيا في ليلة القدر من رمضان، ثم كان ينزل على الرسول ﷺ منجماً بحسب الوقائع والأحوال كما هو معروف في أسباب النزول.

ثالثاً: أن جبريل عليه السلام كان يأتي للنبي ﷺ في رمضان فيدارسه القرآن كل ليلة، كما في الصحيحين عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيْلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ؛ فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ

(١) مسند أحمد بن حنبل: ١٧٤ / ٢، وصححه الألباني (صحيح الترغيب والترهيب، رقم: ٩٨٤).

(٢) سنن النسائي: ٦ / ٥، وفيه: «نزل القرآن جملة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، فكان إذا أراد الله أن يحدث منه شيئاً أحدثه»، (ورقم: ١١٣٧٢، ١١٥٦٥).

المُرْسَلَة<sup>(١)</sup>، وفي العام الذي توفي فيه رسول الله ﷺ عارضه جبريل القرآن مرتين.

وقد أخذ أهل العلم من ذلك مشروعية ختم القرآن في رمضان؛ لأن جبريل عليه السلام والنبي ﷺ كانا ينهيان في كل رمضان ما سبق نزوله من القرآن، وفي آخر سنة أنبياء مرتين بالمدرسة والمعارضة، فهذا دليل على أنه يستحب للمسلم أن يقرأ القرآن الكريم كاملاً في رمضان مرة أو أكثر، بل إن السنّة أن يختم القرآن في كل شهر مرة، وإن استطاع ففي كل أسبوع مرة، بل إن استطاع ففي كل ثلاثة أيام مرة، كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ، ولذلك كان السلف يخصصون جزءاً كبيراً من وقتهم في رمضان لقراءة القرآن حتى قال يونس بن يزيد: «كان ابن شهاب -يعني الزهري- إذا دخل رمضان فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام»<sup>(٢)</sup>.

وكان الإمام مالك -رحمه الله- إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث ومجالس العلم وأقبل على قراءة القرآن من المصحف<sup>(٣)</sup>.

وكان للشافعي -رحمه الله- ستون ختمة يقرأها في غير الصلاة<sup>(٤)</sup>، وكان سفيان الثوري -رحمه الله- إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح البخاري: ٦/١، صحيح مسلم: ٤/١٨٠٣.

(٢) التمهيد؛ لابن عبد البر (٦/١١١).

(٣) انظر: ربيع الأبرار، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ص: ١٥٣).

(٤) تاريخ دمشق (٥١/٣٩٣).

(٥) ربيع الأبرار (ص: ١٥٣).

وكان زبيد اليامي إذا حضر - رمضان أحضر - المصاحف وجمع إليه أصحابه<sup>(١)</sup>.

قال ابن رجب - رحمه الله -: «وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على مداومة على ذلك، فأما الأوقات الفاضلة: كشهر رمضان خصوصاً الليلي التي يُطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة: كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن، اغتناماً للزمان والمكان، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم، كما سبق ذكره»<sup>(٢)</sup>.

أخي الصائم! إن للقرآن فضائل عدة لا يتسع المقام لذكرها، ولعلي أشير إلى بعض منها، وهي ذكرى لي ولإخواني، فلقد شبه المصطفى ﷺ (الذي يُقرأ القرآن مثل الأترجة، ریحها طيبٌ وطعمها طيبٌ)<sup>(٣)</sup>، كما أخبرنا ﷺ أن (المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ)<sup>(٤)</sup>، وأي فضل يتطلع إليه المسلم يعلمو ما أخبر به الرسول ﷺ من أن (يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يا ربِّ حلِّه فيلبس تاج الكرامة) ويجعله ممن رضي

(١) لطائف المعارف (ص: ١٧١).

(٢) لطائف المعارف: ص ١٧١.

(٣) صحيح البخاري: ١٩١٧/٤، صحيح مسلم: ٥٤٩/١ مطولاً.

(٤) تقدم تحريجه.

الله عنهم<sup>(١)</sup>، وعندما يتم الرضوان يقال له: (اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنْ مَنَزَلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُهَا)<sup>(٢)</sup>.

قال ابن الجوزي: «فلو أن الفكر عُمِل في هذا حق العمل حُفِظ القرآن عاجلاً»<sup>(٣)</sup>.

وأخبر الصادق المصدوق أيضًا: حيث قال (فإنه يأتي شافعياً لأصحابه يوم القيامة)<sup>(٤)</sup>، وقال أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه-: (فإنه من يتبع القرآن يهبط به في رياض الجنة)<sup>(٥)</sup>.

فينبغي للصائم أن يجتهد في تلاوة القرآن، وليحضر قلبه عند تلاوته لتدبره وتفهمه على قدر استطاعته، ولا يكتفي بمجرد سرده وختمه من غير تدبر وتفهم وتأثر، لأن هذا الشهر شهر شريف مبارك ولكثرة القراءة فيه مزية خاصة ليست

(١) سنن الترمذي: ١٧٨/٥، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

(٢) سنن أبي داود: ٧٣/٢، سنن الترمذي: ١٧٧/٥، سنن النسائي: ٥/٢٢.

(٣) صيد الخاطر (٢٤٥).

(٤) صحيح مسلم: ٥٥٣/١.

(٥) سنن الدارمي: ٥٢٦/٢. وللناس مع القرآن أحوال عدة: فمنهم من يتلوه حق تلاوته ويهتم بدراسته تدبراً وعلماً وعملاً، وهؤلاء هم السعداء الذين هم أهل القرآن حقيقةً. ومنهم من أعرض عنه ولم يتعلمه ولم يلتفت إليه، وهؤلاء قد توعدهم الله بأشد الوعيد فقال: ﴿ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾ [سورة الزخرف: ٣٦]. ومن الناس من تعلم القرآن ولكنه أهمل تلاوته، وهذا نوع من أنواع هجر القرآن، وحرمان للنفس من الأجر العظيم في تلاوته وسبب لنسيانه، وقد يدخل في قوله: ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ [سورة طه: ١٢٤] فإن الإعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان خسارة كبيرة، وسبب لتسليط الشيطان على العبد، وسبب لقسوة القلب. ومن الناس من يتلو القرآن مجرد تلاوة من غير تدبر ولا اعتبار، وهذا لا يستفيد من تلاوته فائدة كبيرة، وقد ذم الله من اقتصر على التلاوة من غير تفهم فقال: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون﴾ [سورة البقرة: ٧٨] أي يتلونه تلاوة مجردة عن الفهم.

لغيره من الشهور، وليغتنم شرف الزمان في هذا الشهر الذي أنزل فيه القرآن، وقراءة القرآن في ليالي رمضان لها مزية؛ فإن الليل تنقطع فيه الشواغل وتجتمع الهمم ويتواطأ القلب واللسان على التدبر، والله المستعان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُؤْتِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [سورة: فاطر، آية: ٢٩-٣٠].

واحذر -أخي الصائم- من هجر القرآن مهما تكن أحوالك وظروفك، وكن عاملاً به مطبقاً لأوامره، واقفاً عند حدوده<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*

(١) ولعلي أذكر لك أنواع الهجر لكتاب الله حتى تحذرها وتبتعد عنها: أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه. والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به. والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم. والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة المراد منه. والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله: ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ [سورة الفرقان: ٣٠]، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض. هذا وقد نهى الله تعالى عن الحرج الذي قد يكون في الصدور منه. فإنه تارة يكون حرجاً من إنزاله وكونه حقاً من عند الله، وتارة يكون من جهة المتكلم به، أو كونه مخلوقاً من بعض مخلوقاته أهدم غيره أن تكلم به. وتارة يكون من جهة كفايته وعدمها وأنه لا يكفي العباد، بل هم محتاجون معه إلى المعقولات والأقيسة، أو الآراء أو السياسات. وتارة يكون من جهة دلالته، وما أريد به حقائقه المفهومة منه عند الخطاب، أو أريد به تأويلها، وإخراجها عن حقائقها إلى تأويلات مستكرهة مشتركة. وتارة يكون من جهة كون تلك الحقائق وإن كانت مرادة، فهي ثابتة في نفس الأمر، أو أوهم أنها مرادة لضرب من المصلحة. فكل ذلك وكل من حصل له نوع منه هو حرج من القرآن منهي عنه، وهم يعلمون ذلك من نفوسهم ويجدون في صدورهم، ولا تجد مبتدعاً في دينه قط إلا وفي قلبه حرج من الآيات التي تخالف بدعته، كما أنك لا تجد ظالماً فاجراً إلا وفي صدره حرج من الآيات التي تحول بينه وبين إرادته. فتدبر هذا المعنى ثم ارض لنفسك بما تشاء. انظر: الفوائد (ص ١٥٦-١٥٧).

## المبحث الثاني الإكثار من الذكر

الأصل في المسلم أن يكون ذاكراً لله على أية حال كان، فقد امتدح الله المؤمنين الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً، فقلب الواحد منهم ولسانه مربوط ومنشغل بذكر الله.

أخي الصائم: يجب على المسلم أن يتعلم، ويعمل بما تيسر له من الأذكار والأدعية، فالأذكار يضاعف أجرها في هذا الشهر، ويكون الأمل في قبولها أقرب، ويجب على المسلم أن يستصحبها في بقية السنة؛ ليكون من الذاكرين الله تعالى، ومن يدعون الله تعالى ويرجون ثوابه ورضوانه ورحمته.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [سورة: الأحزاب، آية: ٤١-٤٢].

وقال الرسول ﷺ: (مَا مِنْ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) (١).

قال ابن القيم -رحمه الله-: «إن مجالس الذكر مجالس الملائكة، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله تعالى فيه» (٢).

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى،

(١) سنن الترمذي: ٤٥٩/٥، واللفظ له، سنن ابن ماجه: ١٢٤٥/٢.

(٢) الوابل الصيب (ص ١٠١).

قال: الله! ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إنني لم أستحلفكم تهمّة لكم، وما كان أحد بمنزلي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: (مَا أَجَلَسَكُم؟)، قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا، قال: (الله! مَا أَجَلَسَكُم إِلَّا ذَاكَ؟)، قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: (أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهُمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جَبْرِيْلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ) (١).

فهذه المباهاة من الربّ تبارك وتعالى دليل على شرف الذكر عنده، ومحبته له، وأن له مزية على غيره من الأعمال.

فالْمُؤْمِنُ الْمُبَارَكُ أَيْنَمَا حَلَّ وَارْتَحَلَ فَإِنَّهُ يَذْكُرُ اللَّهَ -عز وجل-؛ لأن مجالس الذكر: مجالس الملائكة؛ ومجالس الغفلة: مجالس الشياطين.

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خرج علينا النبي ﷺ فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ سَرَّيَا مِنْ الْمَلَائِكَةِ مَحَلٌّ وَتَقِفُ عَلَى مَجَالِسِ الذِّكْرِ فِي الْأَرْضِ، فَارْتَعُوا فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ)، قالوا: وأين رياض الجنة؟ قال: (مَجَالِسُ الذِّكْرِ، فَاعْدُوا وَرُوحُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ، وَذَكِّرُوهُ أَنْفُسَكُمْ، مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِنْ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ) (٢).

أخي الصائم: اعلم أن الدين مبني على قاعدتين: الذكر، والشكر، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٥٢]،

(١) صحيح مسلم: ٤/٢٠٧٥.

(٢) المستدرک علی الصحیحین: ١/٦٧١.

وقال النبي ﷺ لمعاذ: (أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ! لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ) <sup>(١)</sup>، وليس المراد بالذكر مجرد ذكر اللسان، بل الذكر القلبي واللساني فتنبه <sup>(٢)</sup>.

واعلم -أخي الصائم- أن غاية الخلق والأمر أن يُذكر الله وأن يشكر، يُذكر فلا ينسى، ويُشكر فلا يُكفر، وهو سبحانه ذاكر لمن ذكره، شاكر لمن شكره، فذكره سبب لذكره، وشكره سبب لزيادته من فضله، فالذكر للقلب واللسان، والشكر للقلب محبة وإنابة، ولللسان ثناء وحمد، وللجوارح طاعة وخدمة <sup>(٣)</sup>.

ومما يشرع من الذكر: ذكر الله بعد الصلوات، وكذلك عند النوم، وعند الصباح والمساء، وكذلك في سائر الأوقات.

وأفضل الذكر: التهليل والتسبيح، والتحميد، والاستغفار، والحوقلة، وما أشبه ذلك، ويندب مع ذلك أن يُؤتى بها وقد فهم معناها حتى يكون لها تأثير، فيتعلم المسلم معاني هذه الكلمات التي هي من الباقيات الصالحات، وقد ورد في الحديث تفسير قول الله تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ [سورة: الكهف، آية: ٤٦].  
أنها: (سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ) <sup>(٤)</sup>.

وورد في حديث آخر: (أَفْضَلُ الْكَلَامِ بَعْدَ الْقُرْآنِ أَرْبَعٌ، وَهِيَ مِنَ الْقُرْآنِ لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ). أي أفضل الكلام الذي يؤتى به ذكراً <sup>(٥)</sup>.

(١) سنن أبي داود: ٨٦/٢، سنن النسائي: ٥٣/٣.

(٢) الفوائد لابن القيم (ص ١٢٧).

(٣) الفوائد لابن القيم (ص ١٢٩).

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ٢٦٧/٤.

(٥) مسند أحمد بن حنبل: ٢٠/٥.



فلتتعلم -أخي الصائم- معنى التهليل، ومعنى الاستغفار، ومعنى الحوقلة، ومعنى التسبيح، والتكبير، والحمد لله، وما أشبه ذلك، تعلم معناها حتى إذا أتيت بها، أتيت بها وأنت موقن بمضمونها، طالب لمستفادها.

وتفقد نفسك -أخي الصائم- هل تجد للذكر والعبادة حلاوة وطعمًا وإلا فاعلم أنك محروم، كما قال الحسن البصري: «تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق»<sup>(١)</sup>.

واعلم -أخي الصائم- أنه بالذكر يصرع العبدُ الشيطانَ كما يصرع الشيطانُ أهل الغفلة والنسيان، وقال بعض السلف: «إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان صرعه كما يُصرع الإنسانُ إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنسي»<sup>(٢)</sup>.

واعلم أن الذكر روح الأعمال الصالحة فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه.

\*\*\*\*

(١) مدارج السالكين (٢/٤٢٤).

(٢) مدارج السالكين (٢/٤٢٤).

## المبحث الثالث الدعوة إلى الله

لا شك أن رمضان فرصة للتغيير، وفرصة للدعاة الذين فترت همتهم، وضعفت غيرتهم، وتوانت عزائمهم، فيشدوا من حالهم، ويستيقظوا من رقدتهم، ويتنبهوا من غفلتهم، وينتهزوا فرصتهم، بدعوة الناس إلى ربهم، والذهاب إلى أماكن تواجدهم وتجمعهم؛ لتذكيرهم بالله تعالى، وتخويفهم من ناره وجحيمه، وترغيبهم بجنته ونعيمه، والتفكير الجاد لمعرفة الأساليب المناسبة للإصلاح، ولتذكر الدعاة إلى الله فضل الدعوة إلى الله، والسهر من أجلها، والتفاني لها، وجزاء من تاب على أيديهم، يقول النبي ﷺ: (لَأَنَّ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ) (١).

ليكن رمضان محطة روحية تبعث فينا روح الجدية، فيعد الداعية عدته، ويأخذ أهبتة، ويملك عليه الفكر فيما هو فيه نواصي نفسه وجوانب قلبه، فيكون دائم التفكير، عظيم الاهتمام، على قدم الاستعداد أبدأً، إن دُعي أجاب، أو نودي لبي، غُدَّوه ورواحه، وحديثه وكلامه، وجدده ولعبه، لا يتعدى الميدان الذي أعد نفسه له !!

إن من أهم ما ينبغي للمسلم أن يتحلى به عمومًا والصائم خصوصًا: الدعوة إلى الله، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل إن ذلك شرط من شروط الاتصاف بالإيمان، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة: التوبة، آية: ٧١].

(١) صحيح البخاري: ٣/١٣٥٧، صحيح مسلم: ٤/٨٧٢.

قال ابن كثير في تفسير الآية: «قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾؛ كقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٤]»<sup>(١)</sup>.

واعلم أن ذلك حق من حقوق إخوانك عليك، قال الرسول ﷺ: (المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ...) <sup>(٢)</sup>، ومعنى لا يسلمه: أي لا يتركه واقعاً في الإثم ويتخلى عنه، ويقول: مالي وماله، فهذه الكلمة غريبة، ودخيلة على المجتمع المسلم يردّها هذا الحديث، فحق الموالاة والأخوة والنصرة يوجب على العبد المسلم أن ينصح لأخيه ويتدخل فيما يعنيه وينفعه فيقوم عوجه، ويصلح من أمره ما وسعه، وفي ذلك أرفع درجات الإيثار.

إن أجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عظيم، وهو من المجاهدين، فعن علي - رضي الله عنه - قال: «الجهاد على أربع شعب: على أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنان الفاسقين»<sup>(٣)</sup>.

فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين، ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه وأحرز دينه، ومن شنأ الفاسقين غضب لله ومن غضب لله يغضب الله له.

والناس في هذه الحياة أصناف، فمنهم ضالّ لا خير فيه وهو شرّ على غيره، ومنهم صنف سلبي لا خير فيه ولا شر منه، ومنهم صنف صالح في ذاته لكن لا خير فيه لغيره، ومنهم صنف صالح في ذاته ولكن فيه خير وإصلاح لغيره<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٦٩).

(٢) صحيح البخاري: ٢/٨٦٢، صحيح مسلم: ٤/١٩٩٦.

(٣) تاريخ دمشق (٤٢/٥١٥).

(٤) المختار للحديث في شهر رمضان (ص ١٩٤).

واعلم يا أخي: أن مَنْ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قدرته واستطاعته أنه عاصٍ لله ورسوله ﷺ، ضعيف الإيمان، وعليه خطر عظيم من أمراض القلوب وعقوباتها العاجلة والآجلة؛ كما قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة المائدة: ٧٨-٧٩].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ) <sup>(١)</sup>، وقال عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ) <sup>(٢)</sup>، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، نسأل الله أن يوفق المسلمين جميعاً للقيام بهذا الواجب العظيم على الوجه الذي يرضيه <sup>(٣)</sup>.

واعلم أخي الصائم: أنه إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعطلت رايته؛ ظهر الفساد في البر والبحر وترتب على تركه أمور عظيمة منها:

- أولاً: وقوع الهلاك والعذاب، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [سورة الأنفال، آية: ٢٥].

(١) صحيح مسلم: ١/٦٩، سنن أبي داود: ١/٢٩٦، سنن الترمذي: ٤/٤٦٩، سنن ابن ماجه: ١/٤٠٦.

(٢) سنن أبي داود: ٤/١٢٢، سنن الترمذي: ٤/٤٦٧، سنن ابن ماجه: ٢/١٣٢٧، وصححه الألباني

(صحيح الترغيب والترهيب، ٢/٢٨٦، رقم: ٢٣١٧).

(٣) دروس العام، عبد الملك القاسم (٦٢٨-٦٢٩).

وعن حذيفة - رضي الله عنه - مرفوعاً: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ) (١).

ولما قالت أم المؤمنين زينب - رضي الله عنها -: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال ﷺ: (نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْحَبْثُ) (٢).

- ثانيًا: عدم إجابة الدعاء، وقد وردت أحاديث في ذلك، منها حديث عائشة - رضي الله عنها - مرفوعاً: (مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهُوا عَنِ الْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ) (٣).

- ثالثًا: انتفاء خيرية الأمة، قال ﷺ: (كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَيَّ يَدِي الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرَّنَّهُ عَلَيَّ الْحَقُّ أَطْرًا، وَلَتَقْضُرُنَّهُ عَلَيَّ الْحَقُّ قَصْرًا) (٤)، وفي رواية: (أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَيَّ بَعْضٌ ثُمَّ لَيَعْنَتَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ) (٥).

- رابعًا: تسلط الفساق والفجار والكفار، وتزيين المعاصي، وشيوع المنكر واستمراؤه.

- خامسًا: ظهور الجهل، واندثار العلم، وتخبط الأمة في ظلمة حالكة لا فجر لها.

(١) سنن الترمذي: ٤/٤٦٨.

(٢) صحيح البخاري: ٣/١٢٢١، صحيح مسلم: ٤/٢٢٠٧.

(٣) سنن ابن ماجه: ٢/١٣٢٧.

(٤) سنن أبي داود: ٤/١٢١.

(٥) سنن أبي داود: ٤/١٢٢.

ويكفي عذاب الله - عز وجل - لمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتسلط الأعداء والمنافقين عليه، وضعف شوكته وقلة هيئته.. إلخ.

وقد شاع في بعض أوساط الناس الغفلة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعتبروا ذلك تدخلاً في شؤون الغير؛ وهذا من قلة الفهم ونقص الإيمان، فعن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال: يا أيها الناس! إنكم لتقرؤون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [سورة: المائدة، آية: ١٠٥] وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ) (١).

وتأمل في سفينة المجتمع كما صورها الرسول ﷺ بقوله: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا) (٢).

أخي الكريم! احذر كل الحذر أن تأمر بالمعروف ولا تأتيه، وتنهي عن المنكر وتأتيه، فتعرض نفسك لعذاب الله ومقته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة: الصف، آية: ٢-٣]، وقال تعالى: ﴿اتَّأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ٤٤].

(١) تقدم تخريجه .

(٢) صحيح البخاري: ٨٨٢ / ٢ .

روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْجَمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ، مَا شَأْنُكَ؟! أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ) (١).

ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي ينبغي للصائم أن يتحلى به في رمضان: إعلام من رآه يأكل أو يشرب أو يتعاطى شيئاً من المفطرات ناسياً أن يذكره بصومه، فمن رأى شخصاً يأكل أو يشرب في نهار رمضان ناسياً وهو صائم وجب عليه إعلامه، ولا يجوز له السكوت عنه كما يعتقد بعض العامة؛ لأن هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ولأن الأكل والشرب من الصائم في نهار رمضان منكر، لكن الناسي معذور فوجب إعلامه؛ ولأن هذا من التعاون على البر والتقوى، وقد قال -تعالى-: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [سورة: المائدة، آية: ٢].

\*\*\*\*

(١) صحيح البخاري: ٣/١١٩١، صحيح مسلم: ٤/٢٢٩٠.

## المبحث الرابع التحصن من الشياطين

ينبغي على كل مسلم أن يحرص على تحصين نفسه من شياطين الإنس والجن ليلاً ونهاراً، وأن يأخذ بالأسباب التي تعين على التحصن، ومن ذلك ما يلي:

أولاً: الاستعاذة بالله من الشيطان، قال تعالى: ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة: فصلت، آية: ٣٦]، وفي موضع آخر: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة: الأعراف، آية: ٢٠٠]، والمراد بالسمع هنا هو سمع الإجابة، لا مجرد السمع العام.

وأما في سورة الأعراف فإنه أمره أن يعرض عن الجاهلين، وليس فيها الأمر بمقابلة إساءتهم بالإحسان بل بالإعراض، وهذا سهل على النفوس غير مستعصٍ عليها، فليس حرص الشيطان وسعيه في دفع هذا كحرصه على دفع المقابلة بالإحسان فقال: ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة: الأعراف، آية: ٢٠٠].

وفي صحيح البخاري عن سليمان بن سرد قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبان، فأحدهما احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ: (إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ) (١).

(١) صحيح البخاري: ٣/١١٩٥، صحيح مسلم: ٤/٢٠١٥، سنن أبي داود: ٤/٢٤٩.



ثانياً: قراءة المعوذتين، فإن لها تأثيراً عجبياً في الاستعاذة بالله من شره ودفعه والتحصن منه، ولهذا قال النبي ﷺ: (فَمَا تَعُوذُ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهَا) (١)، وكان النبي ﷺ يتعوذ بهما كل ليلة عند النوم (٢)، وأمر عقبه أن يقرأ بهما دبر كل صلاة، وقال ﷺ: (قُلْ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ؛ حِينَ تُسَبِّحُ وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) (٣).

ثالثاً: قراءة آية الكرسي، ففي الصحيح من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: (وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَآتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَخْتُو مِنْ الطَّعَامِ؛ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أُرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...)، وفيه: (قال: دَعْنِي أَعَلِّمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قلت: ما هو؟ قال: إِذَا أُوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَأَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [سورة: البقرة، آية: ٢٥٥] حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟) قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ! زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قال: (مَا هِيَ؟) قلت: قال لي: إِذَا أُوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَأَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [سورة: البقرة، آية: ٢٥٥]، وقال لي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ - فَقَالَ

(١) سنن أبي داود: ٧٣/٢ واللفظ له، سنن النسائي: ٢٥١/٨.

(٢) صحيح البخاري: ١٩١٦/٤.

(٣) سنن أبي داود: ٣٢١/٤، سنن الترمذي: ٥٦٧/٥، سنن النسائي: ٢٥٠/٨.

النبي ﷺ (أما إنه قد صدقك وهو كذوبٌ، تعلم من مخاطبٍ مُنذُ ثلاثِ ليالٍ يا أبا هريرة؟) قال: لا، قال: (ذاك شيطانٌ) (١).

رابعاً: قراءة سورة البقرة، ففي الصحيح من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة) (٢).

خامساً: خاتمة سورة البقرة، فقد ثبت في الصحيح من حديث أبي مسعود البديري قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه) (٣)، وفي الترمذي عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرآن في دار ثلاث ليالٍ فيقرهما شيطان) (٤).

سادساً: أول سورة: ﴿حم﴾ المؤمن، إلى قوله تعالى: ﴿إليه المصير﴾ [سورة: غافر، آية ١] مع آية الكرسي، ففي الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ ﴿حم﴾ المؤمن إلى ﴿إليه المصير﴾، وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح) (٥).

سابعاً: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، مائة مرة، ففي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة؛ كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة،

(١) رواه البخاري تعليقاً، انظر: صحيح البخاري: ٨١٢/٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة: ٢٣٨/٦.

(٢) صحيح مسلم: ٥٣٩/١.

(٣) صحيح البخاري: ٥٣٩/١، صحيح مسلم: ٥٥٤/١.

(٤) سنن الترمذي: ١٥٩/٥، سنن النسائي: ٢٤٠/٦.

(٥) سنن الترمذي: ١٥٧/٥.

وَجِيَتْ عَنْهُ مِائَةٌ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ<sup>(١)</sup>، فهذا حرز عظيم النفع، جليل الفائدة، يسير سهل على من يسره الله عليه.

ثامناً: من أنفع الحروز من الشيطان: كثرة ذكر الله - عز وجل -، ففي الترمذي من حديث الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِجَمِي بَنٍ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَالَ عَيْسَى: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَأَمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ وَإِمَّا أَنَا أَمُرُهُمْ، فَقَالَ يَحْيَى: أَخَشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُحَسَفَ بِي أَوْ أَعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسُ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَامْتَلَأَ الْمَسْجِدُ وَتَعَدَّوْا عَلَى الشَّرَفِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَني بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَمُرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ، أَوْلَهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي؛ فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَيَّ غَيْرَ سَيِّدِهِ، فَأَيْكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، وَأَمَرَكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عَصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَأَمَرَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوَّ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، فَقَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ، وَأَمَرَكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا، حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرَزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ...<sup>(٢)</sup>).

\*\*\*\*

(١) صحيح البخاري: ٣/ ١١٩٨، صحيح مسلم: ٤/ ٢٠٧.

(٢) سنن الترمذي: ٥/ ١٤٨.

## المبحث الخامس الإكثار من الدعاء

إن شأن الدعاء عظيم، ولا يخفى على المسلم أهميته وتأثيره، فهو سلاح المؤمن، فعلى المسلم الإكثار من الدعاء عمومًا، وعلى الصائم الإكثار منه خصوصًا.

وما ذلك إلا لأن شهر رمضان شهرُ الإكثار من العبادة، والدعاء هو العبادة كما ورد في الحديث.

والدعاء في شهر رمضان مستجاب، فللصائم دعوة لا ترد، ولعل ذلك هو السر في قرن وجمع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [سورة البقرة، آية: ١٨٦] بآيات الصيام فتنبه لذلك -رحمك الله- واجتهد، قال تعالى: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [سورة النساء: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر: ٦٠].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) <sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي) <sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح البخاري: ١/٣٨٤، صحيح مسلم: ١/٥٢١.

(٢) صحيح البخاري: ٦/٢٦٩٤، صحيح مسلم: ٤/٢٠٦١، واللفظ له.

وعن أبي موسى - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيُتُوبَ مُسِيءَ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيُتُوبَ مُسِيءَ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) (١).

وعن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ) ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة: غافر، آية: ٦٠] (٢).

وعن سلمان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَجِيبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا) (٣)، ولفظ الترمذي: (أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ) (٤).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ) (٥).

وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ الشُّؤْمِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمٍ)، فقال رجل من القوم: إِذَا نَكَّرْنَا، قَالَ: (اللَّهُ أَكْثَرُ) (٦).

(١) صحيح مسلم: ٤/٢١١٣.

(٢) سنن أبي داود: ٧٦/٢، سنن الترمذي: ٥/٢١١، سنن ابن ماجه: ٢/١٨٥٨.

(٣) سنن أبي داود: ٧٨/٢، واللفظ له، سنن الترمذي: ٥/٥٥٦، سنن ابن ماجه: ٢/١٢٧١.

(٤) سنن الترمذي: ٥/٤٥٥، واللفظ له، سنن ابن ماجه: ٢/١٢٥٨.

(٥) سنن الترمذي: ٥/٤٥٦، واللفظ له.

(٦) سنن الترمذي: ٥/٥٦٦.

وعن ثوبان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (لَا يُرَدُّ الْقَدَرُ إِلَّا الدُّعَاءُ)<sup>(١)</sup>.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: (لَا يُغْنِي حَذْرُ مَنْ قَدَرٍ، وَالِدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَلْقَاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)<sup>(٢)</sup>.

وللدعاء آداب ينبغي معرفتها والاعتناء بها، ولعلي أشير إليها على وجه الاختصار:

أحدها: أن يترصد به الأوقات الشريفة.

الثاني: أن يدعو في الأحوال والأماكن الشريفة.

الثالث: أن يدعو مستقبل القبلة.

الرابع: خفض الصوت في الدعاء.

الخامس: الصلاة على النبي ﷺ.

السادس: أن يسبق الدعاء بالتسبيح والاستغفار.

السابع: أن يكون لفظ الدعاء غير متكلف، بل فيه تضرع واجتهاد، فإن

المشغول بتسجيع الألفاظ وترتيبها بعيد عن الخشوع، نعم إن اتفق له ذلك من غير تكلف كقوله ﷺ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعِ)<sup>(٣)</sup>.

(١) سنن ابن ماجه: ١/٣٥.

(٢) المستدرک على الصحيحين: ١/٦٦٩.

(٣) سنن الترمذي: ٥/٥١٩.

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - لبعض أصحابه: «وإياك والسجع في الدعاء، فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلونه»<sup>(١)</sup>.

الثامن: أن يكون الدعاء صحيح اللفظ لتضمنه مواجهة الحق بالخطاب.

التاسع: العزم في الدعاء، لما في الصحيحين عن أنس مرفوعاً: (إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ فِي الدُّعَاءِ، وَلَا يَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرَهَ لَهُ)<sup>(٢)</sup>.

قال القرطبي - رحمه الله -: " قوله ﷺ: (فَلْيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ) دليل على أنه ينبغي للمؤمن أن يجتهد في الدعاء، ويكون على رجاء من الإجابة، ولا يقنط من رحمة الله، لأنه يدعو كريماً " <sup>(٣)</sup>.

العاشر: حضور القلب؛ لقول رسول الله ﷺ: (ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ)<sup>(٤)</sup>.

الحادي عشر: ألا يعتدي في دعائه؛ كأن يدعو بإثم أو قطيعة رحم، أو أن يسأل مرتبة الأنبياء، فعليه أن يسأل ما يصلح سؤاله.

الثاني عشر: أن يدعو وهو موقن بالإجابة، لقوله عليه الصلاة والسلام: (ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ).

(١) الآداب الشرعية (٢/١٠١)، وهو في صحيح البخاري بنحوه: ٢٣٣٤/٥.

(٢) صحيح البخاري: ٢٣٣٤/٥، صحيح مسلم: ٢٠٦٣/٤ واللفظ له.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/٣١٣).

(٤) سنن الترمذي: ٥١٧/٥.

الثالث عشر: التضرع والخشوع، لقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [سورة: الأنبياء، آية: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [سورة الأعراف: ٢٠٥].

الرابع عشر: أن يلح في الدعاء؛ لقوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ)<sup>(١)</sup>.

الخامس عشر: أن يتحرى الحلال في المأكل والمشرب، لما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام، فأنتى يستجاب لذلك<sup>(٢)</sup>.

السادس عشر: الخروج من المظالم، لما في الإسرائيليات وذكره ابن دينار: «أصاب بني إسرائيل بلاء فخرجوا مخرجًا فأوحى الله -عز وجل- إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى الصعيد بأبدان نجسة، وترفعون إليّ أكفًا قد سفكتم بها الدماء، وملأتم بها بيوتكم من الحرام، الآن اشتد غضبي عليكم، ولن تزدادوا مني إلا بعدًا»<sup>(٣)</sup>.

السابع عشر: دوام الدعاء في السراء قبل نزول الضراء، فمن عرف الله في الرخاء عرفه الله في الشدة.

الثامن عشر: الدعاء بالأدعية المأثورة، فإن تعليم الشرع خير من اختيار العبد.

(١) رواه الطبراني في الدعاء (ص: ٢٨، رقم: ٢٠)، وقال الحافظ في الفتح: «وأخرج الطبراني في الدعاء بإسناد رجاله ثقات؛ إلا أن فيه عن عنة بقية عن عائشة» (فتح الباري ١١/٩٥).

(٢) صحيح مسلم: ٧٠٣/٢.

(٣) جامع العلوم والحكم (ص ١٠٧-١٠٨).



التاسع عشر: عدم العجلة.

زاد ابن الجزري: وتقديم عمل صالح، والوضوء، والجلثو على الركب، والثناء على الله، ويندب أن يصلي على النبي ﷺ أولاً وآخرًا ووسطًا، ويسط يديه، ورفعها حذو المنكبين وكشفهما، مع تأدب واعتراف بالذنب، ويبدأ بنفسه ولا يخصها إن كان إمامًا، ولا يدعو بإثم، ولا قطيعة رحم، ولا بأمر قد فرغ منه<sup>(١)</sup>.

أخي الكريم! أكثر من الدعاء لنفسك ولوالديك وإخوانك بظهر الغيب، وخصوصًا الدعاء بأن يطهر الله قلبك من أمراض القلوب كالغل والحسد والكبر وغيرها، مع تحري الأدعية الماثورة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، فهي جامعة لكل خير، مانعة لكل شر.

ومما ينبغي للصائم هنا: أن يغتنم لحظات الإفطار وأوقات الإجابة، فيدعو بما أحبّ من الخير، فإن له دعوة مستجابة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لِدَعْوَةً مَا تُرَدُّ)<sup>(٢)</sup>.

ومما يستحب أن يقول عند فطره - أيضاً - ما رواه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: كان النبي ﷺ يقول إذا أفطر: «ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ العُرُوقُ، وَثَبَّتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، لمحمد بن أحمد السفاريني الحنبلي (٢/٤٠٤-٤٠٥).

(٢) سنن ابن ماجه: ٥٥٧/١، وفي أوله: قال ابن أبي مليكة: سمعت عبد الله بن عمرو يقول إذا أفطر: "اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي"، وضعفه الألباني (إرواء الغليل، رقم: ٩٢١). قال البوصيري: هذا إسناد صحيح. ثم ذكر توجيه ذلك، انظر: الزوائد ص ٢٥٤. والحق أن الحديث له ما يؤيده ويشهد له، انظر: "تنبيه القارئ" للشيخ عبد الله الدويش: ص ٧٨، ٧٩.

(٣) سنن أبي داود: ٣٠٦/٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٠٤١).

وزمن الإفطار موطن إجابة للدعاء، لأنه في آخر العبادة، ولأن الإنسان أشد ما يكون غالباً من ضعف النفس عند إفطاره، وكلما كان الإنسان أضعف نفساً، وأرق قلباً كان أقرب إلى الإنابة والإخبارات لله عز وجل<sup>(١)</sup>.

قال النووي - رحمه الله -: "يستحب للصائم أن يدعو في حال صومه بمهمات الآخرة والدنيا، له ولمن يجب وللمسلمين، لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (...ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطَرَ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ...) (٢)، رواه الترمذي وابن ماجه، فيقتضي هذا الحديث استحباب دعاء الصائم من أول اليوم إلى آخره، لأنه يسمى صائماً في كل ذلك" (٣).

فعلى الصائم أن يغتنم هذا الوقت، ويدعو بحضور قلب وإيقان بالإجابة في وقت ترجى فيه الإجابة؛ فإنه وقت ذل وانكسار بين يدي الله تعالى مع كونه صائماً، ويكرر الدعاء ثلاثاً، قال النبي ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ عَتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْهُمْ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ) (٤). وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لِلَّهِ عِنْدَ كُلِّ فِطْرِ عَتَقَاءٌ) (٥).

فمن دعا ربه بقلب حاضر ودعاء مشروع، وهو صائم ولم يمنع من إجابة الدعاء مانع كأكل الحرام ونحوه، فهو حري بأن يجاب؛ لأن الله تعالى قد وعده

(١) مغني المحتاج (١/٤٣٦)، وانظر فتاوى أركان الإسلام للشيخ العثيمين رحمه الله (٤٨٦).

(٢) سنن الترمذي: ٥٧٨/٥، واللفظ له، وقال: «هذا حديث حسن»، سنن ابن ماجه: ٥٥٧/١ بنحوه.

(٣) المجموع شرح المهذب (٦/٣٤٤) بتصرف يسير.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ٢/٢٥٤.

(٥) مسند أحمد بن حنبل: ٥/٢٥٦، قال المنذري: رواه أحمد بإسناد لا بأس به، والطبراني والبيهقي،

وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١/٤٩١)

بالإجابة خصوصاً إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره، واجتناب نواهيه القولية والفعلية، والإيمان به الموجب للاستجابة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٦].

وعليه أن يلح في الدعاء وطلب الغفران، فإنه في شهر فاضل وموسم عظيم من مواسم العبادة.

وعلى الصائم أن يحذر أن تكون لحظات الإفطار وقتاً للقليل والقال أو الانشغال بأمور لا تفوت بتأخيرها؛ فإن هذه دقائق غالية فلا ترخصوها بالغفلة.

ويشرع للصائم حال فطره أن يجيب المؤذن، فيقول مثل قوله عن كل جملة إلا في (حي على الصلاة حي على الفلاح) فيتابع بقوله: لا حول ولا قوة إلا بالله، وذلك لعموم قوله ﷺ: (إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ) <sup>(١)</sup>. وهذا عام في كل الأحوال إلا ما دل الدليل على استثنائه.

وينبغي للصائم أن يتفرغ آخر النهار لتلاوة القرآن والذكر والدعاء، ولا يخرج إلا لما لا بد منه، فإن هذا من الأوقات التي ينبغي للصائم اغتنامها في الطاعة، وعدم إضاعتها هنا أو هناك في مجالس لا تنفع، وعليه أن يتحرى ساعة الجمعة، وأحراها: آخر ساعة من النهار، ومن الناس من يخرج من منزله بعد العصر على عادته لا الحاجة، فيدع قراءة القرآن وذكر الله تعالى، فيفوته خير كثير وفضل جليل، وقد يؤذن المؤذن للإفطار وهو في الطريق إلى منزله، فيأتي ثائر النفس، قد أضع وقت الدعاء، وفوت المبادرة بالإفطار.

(١) صحيح البخاري: ١/٢٢١، صحيح مسلم: ١/٢٨٨.

وينبغي للصائم أن يربّب لسانه بدعاء الله تعالى طوال يوم صومه، فإن الصوم يجعله في حالة تقربه من الله تعالى، وتجعله في مظنة الاستجابة لدعائه، فقد ورد إجابة دعاء الصائم بلا تقييد بوقت للإفطار، وذلك فيما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاث دعوات مستجابة: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر) <sup>(١)</sup>.

ويدعو الصائم الله تبارك وتعالى عند الإفطار أن يوفقه لقبول الصيام والقيام، لما رواه أبو داود أن رسول الله ﷺ كان يقول عند فطره: (اللَّهُمَّ لَكَ صُومْنَا، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْنَا، فَتَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) <sup>(٢)</sup>، وكان الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - يدعو عند الإفطار بهذا الدعاء: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي) <sup>(٣)</sup>.

\*\*\*\*

(١) رواه العقيلي في الضعفاء (٧٢/١)، وأبو مسلم الكجّي في (جزئه) ومن طريقه ابن ماسي في جزء

الأنصاري، وسنده صحيح، كما ذكر الألباني في الصحيحة (٤٠٧/٤).

(٢) سنن الدارقطني: ١٨٥/٢، وضعفه الألباني (مختصر إرواء الغليل، رقم: ٩١٩).

(٣) سنن ابن ماجه: ٥٥٧/١.

## الفصل الثالث

### أخلاق الصائم القلبية

وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: إخلاص نية الصوم لله

المبحث الثاني: تبييت النية

المبحث الثالث: التلبس بلباس التقوى

المبحث الرابع: مراعاة حكم الصيام ومقاصده

المبحث الخامس: رقة القلب

المبحث السادس: شكر النعم

المبحث السابع: التحلي بالصبر

المبحث الثامن: الحلم وكظم الفيظ

المبحث التاسع: تعلق القلب بالمساجد

المبحث العاشر: التفكر في نعم الله

المبحث الحادي عشر: الحذر من الفتن وتقلب القلوب

المبحث الثاني عشر: الزهد في الدنيا

المبحث الثالث عشر: الحذر من الظلم

المبحث الرابع عشر: تنكير الموت

المبحث الخامس عشر: تحقيق التوكل

## المبحث الأول إخلاص نية الصوم لله

ذلك أن إخلاص النية في صومه لله رغبة فيما عنده، وطمعاً في حصول المغفرة من الله يجعله ممن يدخل في قول الرسول ﷺ: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) <sup>(١)</sup>.

فحتى ينال الصائم هذا الأجر لا بد له أن يصومه إيماناً: أي إيماناً بالله ورسوله، وتصديقاً بفرضية الصيام، وما أعدّ الله تعالى للصائمين من جزيل الأجر.

واحتساباً: أي طلباً للأجر والثواب، وذلك بأن يصومه لوجه الله تعالى لا رياء ولا تقليداً، ولا تجلداً لئلا يخالف الناس أو غير ذلك من المقاصد الدنيوية، يصومه طيبة به نفسه، غير كارهٍ لصيامه ولا مستثقلٍ لأيامه، بل يغتنم طول أيامه لعظيم ثوابه.

أخي الصائم! إنك مطالب بالإخلاص وأن تقصد من وراء عملك وصيامك وجه الله تبارك وتعالى، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [سورة: البينة، آية: ٥] والإخلاص: هو تصفية العمل عن الشوائب والنوايا، وفي المناسك يقول ربنا عز وجل: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَا كُنُفَهَا﴾ [سورة: الحج، آية: ٣٧] قال ابن عباس -رضي الله عنهما- وغيره: لن يصعد إليه ولن يصل إليه لحومها ولا دماؤها، ولكن يصل إليه التقوى منكم، أي ما أريد به وجه

الله فذلك الذي يقبله ويرفع إليه ويسمعه ويثيب عليه، ومنه قوله ﷺ: (إِتْمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ...) إِنْخِ الْحَدِيثُ (١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ [سورة: آل عمران، آية: ٢٩] فهو العالم بخفيات الصدور وما اشتملت عليه، قال تعالى: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة: الملك، آية: ١٣-١٤] فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا يغيب عنه شيءٌ سبحانه لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة.

وفي الآيات المتقدمة تنبيه للموفق على الإخلاص، وتحذير له من الرياء، ولا يغتر بخفائه، فإنه ظاهر عند الله، لأن الله تعالى عالم بخفيات الأمور ولا تخفى عليه وساوس الصدور (٢).

فاجتهد - يا عبد الله - في تحقيق الإخلاص لرب العالمين في جميع العبادات التي تقدمها لله تبارك وتعالى، فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك ولا ألدّ ولا أمتع ولا أطيب (٣).

وليس عند القلب السليم أحلى ولا ألدّ ولا أطيب ولا أسرّ ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له، وإخلاص الدين. وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله، فيصير القلب منيباً إلى الله خائفاً منه راغباً راهباً.

وإذا كان العبد مخلصاً لله، اجتباه ربه، فأحيا قلبه، واجتذبه إليه، فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء، ويخاف من ضد ذلك.

(١) انظر دليل الفالحين (١/٣٨-٣٩)، ولحديث صحيح البخاري: ٣/١، صحيح مسلم: ٣/١٥١٥.

(٢) انظر دليل الفالحين (١/٣٩).

(٣) العبودية (ص ٩٩).

بخلاف القلب الذي لم يخلص لله، فإن فيه طلباً وإرادة وحباً مطلقاً، فيهوى كلّما يسنح له، ويتشبث بما يهواه كالغصن أي نسيم مرّ به عطفه وأماله، فتارة تجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة، فيبقى أسيراً عبداً لمن لو اتخذته هو عبداً له لكان ذلك عيباً ونقصاً وذمّاً<sup>(١)</sup>.

ولذلك جاهد نفسك على التلبس بالإخلاص، فالمؤمن المخلص لله من أطيب الناس عيشاً، وأنعمهم بالآل، وأشرحهم صدراً، وأسرههم قلباً، وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*

(١) العبودية (ص ١٤٠).

(٢) الجواب الكافي (ص ٤٦٥).



## المبحث الثاني تبييت النية

إن مما يجب أن يتحلى به الصائم هو تبييت النية، لأن الأصل وجوب صوم رمضان وتبييت النية له من جميع المكلفين من المسلمين وأن يصبحوا صائمين، إلا من رخص لهم الشارع بأن يصبحوا مفطرين، وهم المرضى والمسافرون ومن في معانهم.

والنية محلها القلب، فمن خطر بباله أنه صائم غداً فقد نوى، وتصح النية في أي جزء من أجزاء الليل؛ لقوله: (قَبْلَ الْفَجْرِ)<sup>(١)</sup> والقبليّة تصدق على كل جزء من أجزاء الليل، ومن دلائل النية: قيام الصائم للسحور وتهيئته له وإن لم يقم، فالنية حاضرة وقائمة لدى كل مسلم معتاد على الصوم، فمن أكل أو شرب بنية الصوم فقد أتى بالنية.

وتبييت النية قبل طلوع الفجر مخصوص بصيام الفريضة على أحد القولين؛ لقول عائشة رضي الله عنها: دخل عليّ النبي ﷺ ذات يوم فقال: (هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟) فَقُلْنَا: لَا. قَالَ: (فَإِنِّي إِذْنٌ صَائِمٌ. . .) الحديث<sup>(٢)</sup>، فدل طلبه ﷺ للأكل على أنه لم يكن نوى الصيام قبل ذلك، ودل قوله: (فَإِنِّي إِذْنٌ صَائِمٌ) على ابتداء النية من النهار.

وثبت مثل ذلك من فعل الصحابة - رضوان الله عليهم - كأبي هريرة وابن عباس وحذيفة بن اليمان وأبي طلحة وأبي الدرداء<sup>(٣)</sup>.

(١) سنن الدارقطني: ١٧١/٢.

(٢) صحيح مسلم: ٨٠٩/٢.

(٣) انظر فتح الباري (١٠٤/٤) وتغليق التعليق (١٤٤/٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأما النفل فيجزئ بنية من النهار، كما دل عليه قوله: (إِنِّي إِذَا صَائِمٌ) <sup>(١)</sup> كما أن الصلاة المكتوبة يجب فيها من الأركان كالقيام والاستقرار على الأرض ما لا يجب في التطوع، توسيعاً من الله على عباده في طرق التطوع، فإن أنواع التطوعات دائماً أوسع من أنواع المفروضات . . . وهذا أوسط الأقوال) <sup>(٢)</sup>.

فإذا نوى صيام النفل من النهار صح ذلك، لكن لا يحكم له بالصيام الشرعي المثاب عليه إلا من وقت النية؛ لأن ما قبله لم يوجد فيه قصد القربة فلا يقع عبادة، وشرط ذلك ألا يكون أتى بمفطر بعد الفجر وقبل النية، فإن أتى بمفطر لم يصح صيام ذلك اليوم بلا خلاف.

ومن يحتاج إلى نية الصيام: من كان له عذر يبيح له الفطر كالمريض والمسافر، فيصوم حيناً ويفطر حيناً، فإذا صام يحتاج إلى تجديد النية، ليطمئن يوم صومه عن يوم فطره، وكذلك يحتاج إلى النية من أراد أن يصوم قضاء رمضان، أو يصوم عن نذر أو كفارة، والله أعلم.

أما من لم يعلم بدخول شهر رمضان إلا بعد طلوع الفجر فعليه أن يمسك عن المفطرات بقية يومه لكونه يوماً من رمضان لا يجوز للمقيم الصحيح أن يتناول فيه شيئاً من المفطرات لكونه لم يبيت الصيام قبل الفجر، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (من لم يُبَيِّتِ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلَا صِيَامَ لَهُ) رواه الدارقطني <sup>(٣)</sup> بإسناده عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها، وقال: "إسناده كلهم ثقات". وهو قول عامة الفقهاء.

(١) مسند أبي عوانة: ٢/١٩٨، مسند أبي يعلى: ٤٦/٥.

(٢) مجموع الفتاوى (١٢٠/٢٥).

(٣) تقدم تخريجه.

وهنا تنبيهان حول تبييت النية:

الأول: أن بعض الصائمين يتتابهم الوسواس في نية الصوم، والوسوسة في النية من أخطر أنواع الوسواس، فترى بعضهم يتكلفون ويشكُّون في تبييتهم لنية الصيام، وهذا كله من تلبيس إبليس الذي يجب أن لا يلتفت إليه الصائمون، فإن المسلم بمجرد دخول رمضان يستقر في نفسه أنه سيصوم نهار الشهر كله، وهذا يكفي.

ثانياً: أن الليل يشمل جميع المدة التي قبل طلوع الفجر، فلو نام أحد من الليل بدون أن يعلم أن تلك الليلة من رمضان، ثم استيقظ قبل طلوع الفجر ببضع دقائق، وعلم أن الليلة من رمضان، فتناول ما تيسر، ثم أمسك؛ لكان ذلك كافياً، لأنه ليس بلازم أن يبيت النية قبل أن ينام، بل الواجب ألا يطلع الفجر إلا وقد نوى<sup>(١)</sup>، ودليل ذلك: حديث عائشة مرفوعاً: (من لم يُبَيِّتِ الصَّيَّامَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلَا صِيَّامَ لَهُ)<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) مجالس رمضان، لسلمان العودة: ص ٥٠-٥١.

(٢) تقدم تحريجه .

## المبحث الثالث

### التلبس بلباس التقوى

إن التلبس بلباس التقوى هدف عظيم من أهداف مشروعية الصوم، ولما أمر الله بالصيام قرنه بالتقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٣]، فجعل التقوى مترتبة على الصيام، وذكر الله تعالى للصوم هذه الفائدة العظمى المحتوية على فوائد كثيرة وهي قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي ليكون الصيام وسيلة لكم إلى حصول التقوى، ولتكونوا بالصيام من المتقين.

والتقوى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من فعل الأوامر والمحجوبات لله ورسوله، وترك النواهي والمكروهات لله ورسوله، فالصيام من الوسائل العظام التي يتوصل بها لحصول هذه الغاية الجليلة التي توصل العبد إلى السعادة والفلاح، فإن الصائم يتقرب إلى الله بترك ما تشتهيه نفسه من طعام وشراب وتوابعها تقديمًا لمحبة الله على محبة النفس، ولذلك اختصه الله من بين الأعمال فقال: (الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) <sup>(١)</sup>.

ذكر العلماء أنه لا يتم الصيام بترك المباحات إلا بعد أن يتقرب العبد بترك المحرمات في كل زمان؛ و المحرمات مثل: المعاملات الربوية، والغش، والخداع، وكسب المال الحرام، وأخذ المال بغير حق، ونحو ذلك كالسرقة، والنهب، وهذه محرمة في كل وقت، وتزداد حرمتها مع أفضلية الزمان كشهر رمضان.

ومن المحرمات كذلك: محرمات اللسان؛ كالغيبة، والنميمة، و السباب، والشتم، واللعن، والقذف، وما إلى ذلك، فإن هذه كلها محرمات في كل حال، ولا

(١) تقدم تحريجه .

يتم الصيام حقيقة، ويثاب عليه إلا مع تركها.

روى الإمام أحمد في مسنده <sup>(١)</sup> عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم: أن امرأتين صامتا فكادتا أن تموتا من العطش، فذكرتا للنبي صلى الله عليه و سلم، فأعرض عنهما، ثم ذكرتا له، فأعرض عنهما، ثم دعاهما فأمرهما أن يتقيتا فتقيتا ملء قدح قيحاً ودماً وصديداً ولحماً عبيطاً! فقال: (إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ، وَأَفْطَرْتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمَا، جَلَسْتُ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى فَجَعَلْتَا يَأْكُلَانِ لِحُومِ النَّاسِ) <sup>(٢)</sup>.

و لأجل ذلك ورد في الحديث الشريف قول النبي ﷺ: (إِنَّ الصَّيَامَ لَيْسَ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، فَقَطُّ إِنَّهَا الصَّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ) (أخرجه البيهقي في السنن الكبرى <sup>(٣)</sup>). و قال ﷺ: (رُبَّ صَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ، وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ) <sup>(٤)</sup>.

و قال بعضهم شعراً:

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّمْعِ مِنِّي تَصَاوُنٌ      وَفِي بَصْرِي غَضٌّ وَفِي مَنْطِقِي صَمْتُ

فَحَظِّي إِذْنٌ مِنْ صَوْمِي الْجُوعُ وَالظَّمْأُ      وَإِنْ قُلْتُ إِنْ صُمْتُ يَوْمِي فَمَا صُمْتُ

يومي، فما صمت!

فلا بد أن يحفظ الصائم جوارحه.

(١) مجالس رمضان، لسان العودة: ٥٠-٥١.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

روي عن جابر رضي الله عنه أنه قال: "إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الغيبة والنميمة، ودع أذى الجار، وليكن عليك سكينة ووقار، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء"<sup>(١)</sup>.

فالذي يفعل الحرام وهو صائم لا شك أنه لم يتأثر بالصوم، فمن يصوم ثم يرتكب الآثام فليس من أهل التقوى، فقد ورد في الحديث قوله ﷺ: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، وَالْجُهْلَ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ، وَشَرَابَهُ)<sup>(٢)</sup>.

واعلم -أخي الصائم- أنه بالصيام يزداد الإيمان، ويتمرن العبد على الصبر النفسي الدافع لاندفاع النفس البهيمية في شهواتها الضارة. وبالصيام يستعين العبد على كثير من العبادات من صلاة وقراءة قرآن وذكر وصدقة، ويردع النفس عن الوقوع في الأمور المحرمة من أقواله وأفعاله، وذلك من أصول التقوى.

وبالصيام يعرف العبد نعمة الله عليه فيما يتمتع به من مأكّل ومشرب ومنكح وتوابعها، فبالامتناع عنها في وقت وحصول المشقة بذلك وإباحته في بقية أوقاته يذوق طعم الجوع والظمأ ويعرف مقدار النعمة، ويجنو على إخوانه المعدمين الذين لا يكادون يجدون القوت دائماً.

وبالصيام يكون العبد صابراً على الطاعات، وعن المخالفات، وعلى أقدار الله المؤلمة بصبره عن المفطرات التي يؤلم النفس تركها، ويكون من الشاكرين لله بمعرفة مقدار نعمة الله عليه بالسعة والغنى، وبنعمته الكبرى بتوفيقه للصيام وسائر الطاعات، وقد أخبر ﷺ أن الصيام أحد أركان الإسلام الخمس، وأنه يكفر الذنوب المتقدمة كلّها، وأن الله يجبه ويرضى عن صاحبه ويعطيه أجراً عظيماً، وأن من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر، ومن صام من

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

كل شهر ثلاثة أيام فكذاك، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك يعدل صيام الدهر فضلاً من الله ومنّة، ومن تيسير الله للصيام وتسهيله أن شرعه في وقت واحد وشهر واحد ليتفق المسلمون كلهم على صيامه وتهون المشقة باشتراكهم في الصيام، فإن الاشتراك في العبادة له نفع عظيم ومساعدة جسيمة، والله في العبادات حكم وأسرار ولطائف كثيرة<sup>(١)</sup>.

أخي الصائم: ومما ينبغي أن يتحلى به الصائم: أن يعلم أن من أعظم معاني التقوى الحذر من الذنوب والمعاصي، وتوقي الوقوع فيها، ومتى ما رأيت -أيها الصائم الكريم- تكديراً في حال فاذاكر نعمة لم تُؤدّ شكرها، أو زلة قد فعلتها، واحذر -رحمك الله- من زوال النعم، ومفاجأة النقم، ولا تغتر بسعة بساط الحلم، فربما عجل انقباضه.

وتذكر على الدوام قول المولى -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة: الرعد، آية: ١١]<sup>(٢)</sup>.

والواجب على العبد المؤمن أن يحذر مخفية المعاصي، فإن نارها تحت الرماد، وربما تأخرت العقوبة ثم فاجأت، وربما جاءت مستعجلة، فليبادر المسلم بإطفاء ما أوقد من نيران الذنوب، ولا ماء يطفى تلك العين إلا ما كان من عين العين فابك -يا رعاك الله- على خطيئتك، وقد ورد في الحديث عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: (عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)<sup>(٣)</sup>، واعلم أنه يروى أن آدم عليه السلام:

(١) الرياض الناضرة والحدايق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ص ١٨-٢٠).

(٢) صيد الخاطر (ص ٥٥).

(٣) سنن الترمذي: ٤/ ١٧٥، وقال الترمذي: «وفي الباب عن عثمان وأبي ریحانة، وحديث ابن عباس

حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن رزيق»،

بقي يبكي ثلاثمائة سنة، وأقام يعقوب عليه السلام يبكي على يوسف ثمانين سنة، وللبلايا أوقات ثم تنصرم، فاللازم لك -يا عبد الله- أن تُلازم محراب الإنابة، وتجلس جلسة المستجدي، وتجعل طعامك القلق، وشرابك البكاء، فربما قدم بشير القبول فارتد يعقوب الحزن بصيرًا.

فاتق الله -يا عبد الله- وإياك والاعتذار بحلم الله وكرمه، فكم قد استدرج، وكن على مراقبة خطاياك مجتهدًا في محوها، واحذر الخلوات الخلوات، البواطن البواطن، النيات النيات، فإن عليك من الله عينًا ناظرة، وانظر في العواقب، واحذر من نعمة تحقر، وشررة تستصغر، فربما أحرقت بلدًا أنت فيه.

وصدق من قال: «الذنوب جراحات، وربّ جرح وقع في مقتل»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرَّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»<sup>(٢)</sup>، وما أجمل ما قيل: «المعاصي سدٌّ في باب الكسب»<sup>(٣)</sup>.

اعلم -أخي الصائم- أن كلّ ثمرة من ثمار الصيام فهي ناشئة عن التقوى، فاتق الله يا عبد الله، فالعاقبة للمتقين، ومن صَفَى صُفِّيَ لَهُ، ومن كَدَّرَ كُدَّرَ عَلَيْهِ، ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله.

والسعيد -يا عبد الله- من لازم التقوى في جميع الأحوال، فإن استغنيت زانتك وجملتك، وإن افتقرت فتحت لك أبواب الرزق، وإن كانت العافية تمت

وله شاهد من حديث أبي هريرة عند الحاكم قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة أعين لا تمسها النار، عين فقئت في سبيل الله، وعين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله»، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرک: ٢٤٣٠).

(١) الفوائد (ص ٧٧).

(٢) سنن ابن ماجه: ١٣٣٤ / ٢، وفيه زيادة، مسند أحمد بن حنبل: ٢٧٧ / ٥، صحيح ابن حبان: ١٥٣ / ٣، المستدرک على الصحيحين: ١ / ٦٧٠.

(٣) الفوائد (ص ٥١).



النعمة عليك، فلازم التقوى في كل الأمور، فإنك والله لا تكون في ضيق إلا وجدت السعة، ولا في مرض إلا وجدت الصحة والعافية<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*

---

(١) صيد الخاطر (١٢٨).

## المبحث الرابع مراعاة حكم الصيام ومقاصده

ينبغي للصائم أن يراعي مقاصد الصوم من خلال طهارة النفس وتوقّي الذنوب، حتى لا يكون يوم صومه ويوم فطره سواء، وهذا من أبرز ما يعترّيه النقص الظاهر في كثير من الأوساط العلمية والتربوية.

وقد أولى رسول الله ﷺ هذا الأمر عناية فائقة، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ) <sup>(١)</sup>.

وحديثه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (رُبَّ صَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ، وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ) <sup>(٢)</sup>، وفي لفظ: (كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الظَّمُّ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ) <sup>(٣)</sup>.

وحديثه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (الصَّيَامُ جُنَّةٌ، فَلَا يَرْفُثُ، وَلَا يَجْهَلُ، وَإِنْ أَمْرٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَامَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ) <sup>(٤)</sup>، وفي رواية: (لَا تَسَابَّ وَأَنْتَ صَائِمٌ، وَإِنْ سَابَّكَ أَحَدٌ، فَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، وَإِنْ كُنْتَ قَائِمًا فَاجْلِسْ) <sup>(٥)</sup>.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) سنن الدارمي: ٢/٣٩٠.

(٤) سنن الدارمي: ص ٢٥.

(٥) صحيح ابن حبان: ٨/٢٦٠، مسند أحمد بن حنبل: ٢/٥٠٥.

وحديث أبي عبيدة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:  
(الصَّوْمُ جُنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرُقْهَا) <sup>(١)</sup>، قال أبو محمد الدارمي: "يعني بالغيبة".

فمن لم يصن صومه عن محارم الله فإن صومه ناقص، بل وقد فاته تحقيق  
الحكمة من مشروعيته.

والأمر أجلى من ذلك، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ  
الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٣].

ومن هذه النصوص وغيرها يتجلى أن الشارع الحكيم قصد من مشروعية  
صيام رمضان وما يكتنفه من أعمال وآداب أن يتعود المسلم على امتثال الأمر  
واجتناب النهي، وأن يتحلى بمزيد تقوى وخضوع وتسليم وانضباط بين يدي الله  
جل وعلا، وأن يتطلع إلى رضى الله تعالى والظفر بجنته والنجاة من عقابه،  
ويتمرن على الصبر وإضعاف تسلط الشيطان عليه، وضبط نفسه وإحكام قيادها  
والحد من كبريائها لما فيه سعادتها في الدنيا والآخرة، وإنشاء الخوف من الله جل  
وعلا ومراقبته في سويداء نفسه، وإنارة القلب ولمّ شعته وإزالة قسوته وتخليته  
للذكر والتفكير، والتعرف إلى قدر النعم ومراعاة أحوال الضعفاء، وتقوية  
الأجساد ووقايتها من العلل والأمراض الجسمية والنفسية.

فالصوم يردع عن الأشر والبطر والفواحش، ويهون لذات الدنيا ورياستها،  
وذلك لأن الصوم يكسر شهوة البطن والفرج، فمن أكثر منه هان عليه أمر هذين،  
وخفت عليه مؤونتهما، فكان رادعاً له عن ارتكاب المحارم والفواحش، ومهوناً  
أمر الرياسة في الدنيا، وذلك جامع لأسباب التقوى <sup>(٢)</sup>.

(١) سنن النسائي: ٤/١٦٧، سنن الدارمي: ٢/٢٦.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي: ٥/٧٠.

والنفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورق، وإذا شبت ورويت عمي<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فيتأكد على من يريد أن يتم صومه، ويكمل أجره، ويظفر بوقار الصوم أن يُعنى جدًّا بالتعرف على مقاصد الصيام وغاياته، وأن يحذر من الغفلة عنها وأن لا يكون عامة تعبه ناشئاً عن التقليد للواقع والمسايرة للمجتمع، فإنه مفتاح نقص وبوابة خطر<sup>(٢)</sup>.

كما يتأكد عليه أن يعنى بالقيام بالواجبات واجتناب المحرمات من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وأن يهتم بإعظام إخلاصه، وتمتين متابعته للنبي ﷺ، وأن يكثر من القرب والتمثل العملي بالآداب الشرعية الواجب منها والمستحب؛ ليرتقي في رتب الكمال وسلم الفضائل، يقول جابر رضي الله عنه: "إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمأثم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء"<sup>(٣)</sup>.

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: "الغيبة تحرق الصوم والاستغفار يرقعه، فمن استطاع منكم أن يجيء غداً بصومه مرقعاً فليفعل"<sup>(٤)</sup>.

وعن طلق بن قيس قال: قال أبو ذر رضي الله عنه: "إذا صمت فتَحَفِّظْ ما استطعت"، فكان طلق إذا كان يوم صومه دخل فلم يخرج إلا للصلاة"<sup>(٥)</sup>.

(١) صفة الصفوة: ٤/ ٢٢٥.

(٢) هكذا كان النبي ﷺ في رمضان: ص ١٣٣.

(٣) تقدم تحريجه.

(٤) سنن البيهقي في شعب الإيمان: ٣/ ٣١٦.

(٥) سنن البيهقي في شعب الإيمان: ٣/ ٣١٧.

ومن تأمل في هدي النبي ﷺ في التربية وجد أنه يقوم على أساس رعاية أعمال القلوب وعدّها أساس التعبّد، ومن ثم تكميلها بأعمال الجوارح، يقول ابن القيم في هذا السياق في تعليق له على قول الله تعالى في الحديث القدسي: (يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجَلِي) <sup>(١)</sup>، يقول ما نصه: "والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، أما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده فهو أمر لا يطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم" <sup>(٢)</sup>.

وعل من أبرز ما يناقض تلك العناية النبوية العظمى بتحقيق مقاصد الصيام في هذا الشهر المبارك ما نراه في مجتمعاتنا من تضييع أناس للصلوات الخمس في أوقاتها بحجة الصيام، بل إن من الصوم من لا يصلي! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والصلاة قرينة الزكاة بل أفضل منها، والمتهاون بها على خطر عظيم؛ لقوله ﷺ: (بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ) <sup>(٣)</sup>، وقوله ﷺ: (الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ) <sup>(٤)(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) تقدم تحريجه.

(٢) زاد المعاد: ٢/٢٩.

(٣) صحيح مسلم: ١/٨٨.

(٤) انظر: هكذا كان النبي ﷺ في رمضان: ١٣١-١٣٥.

(٥) سنن النسائي: ١/٢٣١.

## المبحث الخامس رقة القلب

أخي الصائم! ما ضرب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله، خلقت النار لإذابة القلوب القاسية، وأبعد القلوب من الله القلب القاسي، إذا قسا القلب قحطت العين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ٧٤].

قسوة القلب من أربعة أشياء إذا تجاوزت قدر الحاجة: الأكل، والنوم، والكلام، والمخالطة، كما أن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب، فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجح فيه المواعظ. ومن أراد صفاء القلب فليؤثر الله على شهواته.

القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها، فهؤلاء شغلوا قلوبهم بالدنيا، ولو شغلوها بالله والدار الآخرة لجالت في معاني كلامه وآياته المشهودة ورجعت إلى أصحابها بغرائب الحكم وطرف الفوائد. واعلم أن القلب إذا غذي بالتذكر، وسقي بالتفكير، ونُقِّي من الدغل، رأى العجائب وأهم الحكمة.

إذا زهدت القلوب في موائد الدنيا نهلت من موائد الآخرة بين أهل تلك الدعوة، وإذا رضيت واطمأنت بموائد الدنيا فاتتها موائد الآخرة.

والقلب يمرض كما يمرض البدن وشفاءؤه في التوبة والحمية، ويصدأ كما يصدأ الحديد وجلاؤه بالذکر، ويعرى كما يعرى الجسم وزينته التقوى، ويجوع ويظماً كما يجوع البدن، وطعامه وشرابه المعرفة والمحبة والتوكل والإنابة والخدمة. للقلب ستة مواطن يجول فيها لا سابع لها: ثلاثة سافلة، وثلاثة عالية.

فالسافلة: دنيا تتزين له، ونفس تحدّثه، وعدو يوسوس له، فهذه مواطن الأرواح السافلة لا تزال تجول فيها.

والثلاثة العالية: علم يتبين له، وعقل يرشده، وإله يعبده، والقلوب جواله في هذه المواطن.

وإذا كان - كما سبق - ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ الحديد والنحاس والفضة وغيرها، وجلاؤه بالذکر، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء، فإذا ترك صدئ، فإذا ذكر جلاه.

وصدأ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذکر. فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكماً على قلبه، وصدؤه بحسب غفلته، وإذا صدأ القلب لم تنطع فيه صورة المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، لأنه لما تراكم عليه الصدأ وأسودَّ وركبه الران فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً، وهذا أعظم عقوبات القلب.

وأصل ذلك من الغفلة واتباع الهوى، فإنها يطمسان نور القلب ويعميان بصره، ومثل هذا لا ينبغي أن يتبع أو يطاع، بل هو في أمس الحاجة إلى النصح والتوجيه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة: الكهف، آية: ٢٨] فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فليُنظر: هل هو من أهل الذکر أو من الغافلين، وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي، فإن كان الحاكم

عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطاً، ومعنى الفرط: فسر بالتضييع، أي أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به، وبه رشده وفلاحه ضائع قد فرط فيه، وفسر بالإسراف، أي قد أفرط، وفسر بالإهلاك، وفسر بالخلاف للحق، وكلها أقوال متقاربة.

والمقصود أن الله سبحانه وتعالى نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه، فإن وجده كذلك فليبعد منه وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله - عز وجل - واتباع السنة، وأمره غير مفروط عليه بل هو حازم في أمره فليتمسك بغرضه، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالذكر، فمثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت، وفي المسند مرفوعاً: (أَكْثَرُوا ذِكْرَ اللَّهِ حَتَّى يَقُولُوا: مَجْنُونٌ<sup>(١)</sup>)<sup>(٢)</sup>.

أخي الصائم! تذكر أن الشبع والتخمة مما يذهب نور العرفان ويقضي بالقسوة والحرمان، وخلو البطن من الطعام والشراب ينور القلب، ويوجب رفته، ويزيل قسوته، ويخليه للذكر والفكر، ولذلك فإني أوصيك بعدم الإسراف في وجبة الإفطار والعشاء، وأن تأكل ما يكفيك، ويعينك على الصلاة والخشوع فيها، واعلم أن النفس البشرية إذا مسها الجوع ذلت وانقادت وأذعنت وانشغلت بما هي فيه وامتنعت عن انتهاك المحارم، وذلك من أعظم ثمرات الصوم، بل هي الأصل في تحقيق معنى الصيام<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*\*

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٦٨/٣، وضعفه الألباني (ضعيف الجامع، رقم: ١١٠٨).

(٢) المناهل الحسان للشيخ السلطان (ص ٣٠٥-٣٠٧).

(٣) انظر: فقه الصوم، للدكتور سيد حسين (١/ ٧١).



## المبحث السادس شكر النعم

شكر الله على نعمه التي لا تحصى ولا تعد حلية عظيمة ينبغي للمسلم ألا يغفل عنها، كيف لا ورمضان شهر الشكر والحياء، ولو سجدنا لله على إبر الشوك إلى يوم القيامة ما قدرنا حق عطاياه، فكيف بنعم الله وفضله في رمضان، شكر على الإسلام وكفى بها نعمة! أم شكر على نزول القرآن في هذا الشهر!

وكما قال ابن حزم: «وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ﴾، [سورة: الزمر، آية: ٧٤] وقال: ﴿ءَاخِرَ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة: يونس، آية: ١٠]»<sup>(١)</sup>.

ومنزلة الشكر من أعلى المنازل، وهي فوق «الرضى» وزيادة، فالرضى مندرج في الشكر، بل يندرج فيه جميع مقامات الإيثار حتى المحبة والرضى والتوكل، وتالله ليس لخواص أولياء الله وأهل القرب منه سبيل أرفع من الشكر ولا أعلى، وهو نصف الإيثار.

وقد قرن الله تعالى ذكره بذكره مع أنه قال: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥]، وكلاهما هو المراد بالخلق والأمر قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٥٢].

وقرن سبحانه الشكر بالإيمان فقال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ الآية [سورة: النساء، آية: ١٤٧].

وأخبر سبحانه أن أهل الشكر هم المخصوصون بمرته عليهم من بين عباده فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [سورة: الأنعام، آية: ٥٣].

وقد أمر الله به، ونهى عن ضده وذمه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [سورة: العاديات، آية: ٦].

وهو غاية الرب من عبده، وهو الغاية من خلقه وأمره، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة: النحل، آية: ٧٨].

وقد أخبر سبحانه أنه إنما يعبد من يشكره، فمن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته، فقال تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٧٢].

واعلم أيها الصائم الكريم: أن أول وصية وصى الله بها الإنسان بعد ما عقل عنه: الشكر له وللوالدين، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [سورة: لقمان، آية: ١٤].

وأخبر أن رضاه في شكره، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [سورة الزمر: ٧].

وأثنى على أهله ووصف به خواص عباده، وأثنى على خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بشكر نعمه فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِنِعْمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة: النحل، آية ١٢٠-١٢١]، فختم صفات خليله بأنه شاكر، فجعل الشكر غاية خليله<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: فقه الصوم، للدكتور سيد بن حسين (١/ ٢٥٥-٢٥٧) بتصرف.

وأقول: من الشكر أن تكون موائدنا في شهر رمضان موائد معقولة وبعيدة كل البعد عن الإسراف والبذخ والترّف، فإن زادت عن حاجتنا فليكن لإخواننا المحتاجين والمعوزين نصيب من الطيب والجديد لا أن نعطيّه ما يبقى ويزيد من موائدنا، فما هذا والله بفعل الشاكرين لنعم الله تبارك وتعالى.

\*\*\*\*

## المبحث السابع التحلي بالصبر

إنَّ رمضان هو شهر الصبر، يعودُ النفس على تحمل الجوع والعطش، ويربيها على اجتناب المحرمات، والإعراض عن الشهوات، وإذا تربى المسلم في رمضان على خلق الصبر فقد نال حظاً عظيماً من العطاء والخير الرباني، قال ﷺ: (وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ) <sup>(١)</sup>.

وقد عرّف العلماء الصَّبْرَ بقولهم: هو حبس النفس على ما تكره ابتغاء مرضاة الله كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [سورة: الزمر، آية: ٢٢]، وهذا ما يفعله الصوم في صاحبه، فهو يحجبه عن الشهوات، ويبعده عن المحبوبات، تنفيذاً لأمر الله في الصيام، فالنفس الإنسانية تحب الطعام والشراب، وتكره البعد عنهما، لذلك كان أجر الصائم كأجر الصابر لا يعلمه إلا الله، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَوِّقِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة: الزمر، آية: ١٠].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي.. وَأَنَا أَجْزِي.. بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي) <sup>(٢)</sup>.

فالصائم في رمضان يتعلم الصبر والمصابرة والتعامل مع الآخرين، فالذي جعله يصبر على من جهل عليه هو الذي سيدفعه إلى معاملة الآخرين بالصبر على ما يصدر منهم، وعندئذ يحظى بالأجر العظيم، وينال شرف شهادة النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال: (الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَدَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا

(١) صحيح البخاري: ٥٣٤ / ٢، صحيح مسلم: ٧٢٩ / ٢.

(٢) تقدم تخرجه.

مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُجَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ<sup>(١)</sup>. وقد ربّانا القرآن الكريم على أن الصبر على المسيء خيرٌ من رد الإساءة إليه؛ فقال عزّ من قائل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [سورة: النحل، آية: ١٢٦].

وهذا هو منهج الإسلام يربّي على العفو والصبر عند الإساءة، قال جلّ جلاله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة: الشورى، آية: ٤٠].

أيها الصائم: إن الصبر على أداء العبادة، والقيام بها كما شرعها الله تعالى مطلوبٌ وضروريٌّ، لأنّ فيه السعادة في الدارين، والنجاة من عذاب الله وغضبه، والتحصيل لمرضاة الله تعالى، وقد أمر الله بالصبر على عبادته، فقال جلّ في علاه: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [سورة: مريم، آية: ٦٥].

وأمر المولى سبحانه بالصبر على أعظم العبادات فقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [سورة: طه، آية: ١٣٢].

فينبغي للمسلم عموماً والصائم خصوصاً أن يتحلى بالصبر، والصيام يجمع أنواع الصبر الثلاثة، فهو صبر على طاعة الله وفرائضه فلا يضيعها، وصبر عن محارم الله فلا يرتكبها، وصبر على أقدار الله المؤلمة من الجوع والعطش وضعف البدن والنفس، فقد اجتمعت فيه أنواع الصبر الثلاثة، وتحقق أن يكون الصائم

من الصابرين، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة: الزمر، آية: ١٠].

أما الصبر عن المعاصي: فما أحوجنا في رمضان إلى كظم الغيظ عن أساء إلينا، قال الرسول ﷺ: (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ)<sup>(١)</sup>.

فليصبر الإنسان عن معصية الله في هذا الشهر، ولا يبيع حظه مع الله بشهوة تذهب لذاتها وتبقى تبعثها، تذهب الشهوة وتبقى الشقوة، ويعينه على صبره عن شهواته مشهد قهره لشیطانة والظفر به، ومشهد العوض وهو ما وعد الله سبحانه من تعويض من ترك الحرام، ومشهد البلاء والعافية، فإن البلاء ليس إلا الذنوب، والعافية المطلقة هي الطاعات وعواقبها.

يصبر العبد عن المعصية في رمضان حذرًا من الوقوع في الحرام، وإبقاءً لنور وبهجة الإيمان.

يصبر عن معصيته إيمانًا بالوعيد وحبًا لله وحياءً من مولاه.

ويصبر في رمضان على طاعة الله والدعوة إليه، وهو أعلى أنواع الصبر، والصبر على الطاعة والدعوة أمانة الله في الأرض، لا يحملها إلا من هم لها أهل، وفيهم على حملها قدرة، وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص، والذين يؤثرونها على الراحة والدعة، وعلى الأمن والسلامة، وعلى المتاع والإغراء، فهي أمانة كريمة، ومن ثمّ تحتاج إلى طراز خاص يصبر ويصبر.

(١) سنن أبي داود: ٤/٢٤٨، سنن الترمذي: ٤/٣٧٢، سنن ابن ماجه: ٢/١٤٠٠.

والنفس بالصبر تصهرها الشدائد فتنتفي عنها الخبث، وتستجيش كامن قواها المذخورة فتستيقظ وتتجمع ويشتد عودها ويصلب، فإذا طال الأمد، وأبطأ نصر الله، لا يثبت إلا من يؤتمن على تلك الأمانة الكبرى، أمانة السماء في الأرض، وأمانة الله في ضمير المؤمن، إن الصابرين ليتسلمون الأمانة وهي عزيزة على نفوسهم بما أدوا لها من غالي الثمن، وبما صبروا لها من الصبر على المحن.

والذي يصبر على الأذى والحرمان يشعر ولا شك بقيمة الأمانة التي بذل فيها ما بذل، فلا يسلمها رخيصة بعد كل هذه التضحيات.

وسئل النبي ﷺ: أي الناس أشد بلاءً، فقال ﷺ: (الأنبياء، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرُحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ حَظِيئَةٌ) (١).

والصيام تربية للإرادة والصبر، فالصائم يجوع وأمامه شهى الغذاء، ويعطش وبين يديه بارد الماء، ويعف وبجانبه زوجته، ولا رقيب عليه في ذلك إلا ربه، ولا سلطان إلا ضميره، ولا يسنده إلا إرادته القوية الواعية، ويتكرر ذلك نحو خمسة عشر ساعة في كل يوم، وتسعة وعشرين يومًا أو ثلاثين في كل عام.

والصوم أعظم وسيلة لتقوية الإرادة، كيف لا ورسول الله ﷺ يقول: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُّ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ) (٢).

(١) سنن الترمذي: ٤/٦٠٧، سنن ابن ماجه: ٢/١٣٣٤.

(٢) تقدم تخريجه.

وقال الرسول ﷺ: (صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ يُذْهِبَنَّ وَحَرَ الصُّدُورِ) <sup>(١)</sup>، وفي حديث آخر: (لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ، وَزَكَاةُ الْجَسَدِ: الصَّوْمُ)، وفي رواية أخرى: (الصِّيَامُ نِصْفُ الصَّبْرِ) <sup>(٢)</sup>.

ولا بد من الصبر على طاعة الله والاستقامة على دربه وبذل النفس في مرضاة الله، فمن استكمل مراتب الصبر الثلاث استكمل الصبر ولذة الدنيا والآخرة ونعيمها والفوز والظفر فيهما، فلا يصل إليه أحدٌ إلا على جسر الصبر كما لا يصل أحدٌ إلى الجنة إلا على الصراط، قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «وجدنا خير عيشنا بالصبر» <sup>(٣)</sup>.

وختامًا يا أخي ما حفظت صحة القلوب والأبدان والأرواح بمثل الصبر، فهو الفاروق الأكبر، والترياق الأعظم، فغاية الكفاية والخير فيه معية الله مع أهله، فإن الله مع الصابرين، ومحبه لهم، فإن الله يحب الصابرين، ونصره لأهله، فإن النصر مع الصبر، وإنه خير لأهله: ﴿وَلَكِنَّ صَبْرَتْكُمْ هُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [سورة: النحل، آية: ١٢٦]، وإنه سبب الفلاح: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة: آل عمران، آية: ٢٠٠] <sup>(٤)</sup>.

ومن الصبر: الصبرُ على البلاء ينزل بالعبد المؤمن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٥٥].

(١) صحيح ابن حبان: ٤٩٨/١٤، مسند أحمد بن حنبل: ٣٦٣/٥.

(٢) سنن ابن ماجه: ٥٥٥/١.

(٣) علقه البخاري في صحيحه مجزوماً به: ٢٣٧٥/٥.

(٤) انظر: الطب النبوي (ص ٣٨٧).



قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٣﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٥٣-١٥٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَفِّقُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة: الزمر، آية: ١٠].

وأشد الناس بلاء: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على قدر دينه؛ فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه. وإذا نزلت بالعبد المؤمن بلية فأراد زوالها فليتصورها أكثر مما هي تهن، وليتخيل ثوابها، وليتوهم نزول أعظم منها ير الريح في الاقتصار عليها، وليتمح سرعة زوالها، فإنه لولا كرب الشدة ما رجيت ساعات الراحة، وليعلم أن مدة مقامها عنده كمقام ضيف، فليتفقد حوائجه في كل لحظة، فيا سرعة انقضاء مقامه، ويا لذة مدائحه وبشره في المحافل ووصف المضيف بالكرم.

فكذلك العبد المؤمن في الشدة ينبغي أن يراعي الساعات ويفقد منها أحوال النفس، ويتلمح الجوارح مخافة أن يبدو من اللسان كلمة، أو من القلب تسخط، فكأن قد لاح فجر الأجر فانجاب ليل البلاء ومدح الساري بقطع الدجى، فما طلعت شمس الجزاء إلا وقد وصل إلى منزل السلامة<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*

## المبحث الثامن الحلم وكظم الغيظ

إن من صفات المسلم التزامه بالحلم وكظم الغيظ؛ لقوله تعالى: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [سورة: آل عمران، آية: ١٣٤]، فذكر ذلك في معرض المدح، وقال رسول الله ﷺ: (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ) <sup>(١)</sup>.

وروي عن عمر -رضي الله عنه- أنه قال: «من خاف الله عز وجل لم يشف غيظه، ومن اتقى الله عز وجل لم يصنع ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون» <sup>(٢)</sup>.

وروى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: (إِتِمَّ الْعِلْمُ بِالتَّعْلَمِ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحْلَمِ) <sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ لأشج بن قيس: (إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ) <sup>(٤)</sup>.

وشتم رجل ابن عباس -رضي الله عنه- فلما قضى مقالته، فقال: يا عكرمة، انظر هل للرجل حاجة فنقضيتها؟ فنكس الرجل رأسه واستحى <sup>(٥)</sup>.

وأسمع رجل معاوية كلامًا شديدًا، فقبل له: لو عاقبته؟ فقال: إني لأستحي أن يضيق حلمي عن ذنب أحدٍ من رعيتي <sup>(٦)</sup>.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن منده في مسند إبراهيم بن أدهم (رقم: ٤٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠٩/٤٤).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٣/١١٨ رقم ٢٦٦٣).

(٤) صحيح مسلم: ٤٨/١.

(٥) إحياء علوم الدين (٣/١٧٨).

(٦) تاريخ دمشق (١٧٩/٥٩).

وأُتي معاوية بقطائف، فقسمها بين أهل الشام، وأعطى شيخاً قطيفة فتسخطها، وحلف ليضربن بها رأس معاوية، فبلغ معاوية فقال له: أوف بندرك، وليرفق الشيخ بالشيخ<sup>(١)</sup>.

أخي الكريم! يوصيك رسول الله ﷺ ويحثك - وأنت متلبس بهذه العبادة - بضبط الأعصاب والهدوء عند اختلافك مع الآخرين وأن تقول: «إني امرؤ صائم»، هذه الجملة وردت في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (وَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمَ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْحَبْ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إني امرؤ صائم)<sup>(٢)</sup>.

إني صائم: يرددها مرتين كما ورد في الحديث الشريف وهو تنبيه للصائم نفسه حتى يعرف ما هو فيه من سمو الطاعة لربه وردع للذي سابه أو قاتله، كي تبقى عبادة الصوم صافية نقية وخالصة لله رب العالمين، لا تشوبها سفاهة لسان ولا يعكرها أذى.

إني صائم: بهذه الفريضة، يصوم اللسان عن القيل والقال، والسباب والشتيم، وشهادة الزور والكذب، والحديث بأعراض الناس، ومثل ذلك سائر الجوارح، قال ﷺ: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِي حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)<sup>(٣)</sup>.

إني صائم: هذه الجملة مغلاق للشمر مفتاح للخير، وهي مانع رادع من موانع الغضب، حيث إن الإنسان إذا شتمه أحد فلا بد أن تتأجج نار الغضب في صدره، وتتغير ملامح وجهه، ويهم بالانتقام قولاً أو عملاً، ولكن سرعان ما

(١) حلم معاوية، لابن أبي الدنيا، تحقيق: إبراهيم صالح (ص: ٢٧، رقم: ٢٥).

(٢) تقدم تحريجه.

(٣) تقدم تحريجه.

يثوب إلى رشده ويفيء إلى صوابه عندما يردد كلمة «إني صائم»، وحيث إن الغضب من الشيطان، وهذه الكلمة تذكره فلا ينتقم بقول أو عمل، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طِئْفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [سورة: الأعراف، آية: ٢٠١]، وبهذا يكون الصوم من العلاجات المهدئة التي تضي على النفس راحة تامة.

إني صائم: لا بد أن يكون لهذه الجملة أثر فعال في نفسية المعتدي الذي بادر صاحبه بالسب والشتم، فعندما يسمعها من الصائم المعتدى عليه فقد يرجع باللائمة على ذاته، ويضع حدًا لعداوته، ولا يتماذى في إساءته، وربما يؤول به الحال أن يعتذر عما بدر منه، ويطلب العفو ممن أساء إليه، قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة: فصلت، آية: ٣٤].

إني صائم: هذه الجملة ليست وقتية، وإنما لها امتداد إلى ما بعد رمضان وعلى مدى العمر لأن الحكمة الأساسية من الصوم هي التقوى والاعتیاد عليها.

وإن المعتدي والمعتدى عليه قد استفادا درسًا تربويًا يؤثر في سلوكهما مدى الحياة ولا سيما أن فعل ﴿تَتَّقُونَ﴾ هو فعل مضارع يفيد الحاضر والمستقبل، لذلك لو تعرض المسلم إلى سب أو خصام من قبل الآخرين في غير رمضان فليس له أن يجابه السيئة بمثلهما، بل عليه أن يلتزم حسن الخلق والأدب الرفيع متذكرًا قول الرسول ﷺ: (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَدِيءِ) <sup>(١)</sup>، وقوله أيضًا: (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ) <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>.

\*\*\*\*

(١) سنن الترمذي: ٤/٣٥٠، المستدرک علی الصحیحین: ١/٥٧، صحیح ابن حبان: ١/٤٢١.

(٢) صحیح البخاری: ٥/٢٢٦٧، صحیح مسلم: ٤/٢٠١٤.

(٣) انظر: مجلة الدعوة، العدد: ١٨٢٠، رمضان ١٤٢٢هـ، ص: ٣٣.

## المبحث التاسع تعلق القلب بالمساجد

إذا تعلق قلب المرء بالمساجد وعمارتها بذكر الله فيها وكثرة التردد إليها للصلاة والاعتكاف كان من أهل قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة: النور، آية: ٣٦-٣٨].

إن سلفنا الأوائل ما كانوا يبايعون الأئمة إلا في المساجد، ولا يخرجون الجيوش للجهاد إلا منها، ولا يطلبون العمل إلا بين جدرانها، فكانوا إذا حزبهام الأمر اجتمعوا له في المسجد وتشاوروا فيه، وللعلماء فيه مجالس عامرة بكل العلوم، فأين كان الحسن البصري وأبو حنيفة ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل ونظراؤهم يتصلون بالناس، ويلقون عليهم الدروس في الوعظ والإرشاد والتوحيد والأحكام إلا في المسجد؟!

ولبيوت الله حرمة يجب مراعاتها، فهي لا تحل لجنب ولا حائض، ولا ترفع فيها الأصوات، ولا تنشد فيها الضالة، ولا تقام فيها الأسواق، ولا تجوز زخرفتها بما يشغل المصلي، ولا يجوز السكوت على ما يحدثه أهل البدع وأصحاب الطرق الصوفية من التمايل والرقص والتواجد وضرب الدفوف في المساجد، واتخاذ القبور مساجد مهما علت منزلة أصحابها، ولا أن تقام المساجد على القبور وإن وجد شيء من ذلك فالحكم للأول من مسجد أو قبر ويزال المحدث الأخير، ومن أكل البصل أو الثوم، أو ما له رائحة كريهة يتأذى بها الملائكة والمصلون فلا يقربن المسجد، ولا بأس بالأكل والشرب والنوم فيها، والاعتكاف في المساجد للمسلم

مشروع في رمضان وفي غيره، ولكنه في رمضان أفضل، ولا يظن أحد أن تعلق القلب بالمساجد لإقامة الصلاة فحسب، ولكنه لذلك ولما ذكر من الاعتكاف والتعلم والتعليم، وذكر الله - عز وجل -، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة: التوبة، آية: ١٨] (١).

أخي الكريم! لعلك قرأت حديث السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وفيه: (وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ) (٢)، وظاهره أنه من التعليق، كأنه شبهه بالشيء المعلق في المسجد، كالقنديل مثلاً إشارة إلى طول الملازمة بقلبه وإن كان جسده خارجاً عنه، ويدل عليه رواية الجوزقي: «كأنما قلبه في المسجد»، ويحتمل أن يكون من العلاقة وهي شدة الحب ويدل عليه رواية أحمد: (مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ)، وكذا رواية سلمان: «من حبها»، وزاد الحموي والمستملي: «متعلق» بزيادة مثناة بعد الميم وكسر اللام، زاد سلمان: «من حبها»، وزاد مالك: «إذا خرج منه حتى يعود إليه»، وهذه الخصلة هي المقصودة من هذا الحديث للترجمة، ومناسبتها للركن الثاني من الترجمة وهو فضل المساجد ظاهرة، وللأول من جهة ما دلَّ عليه من الملازمة للمسجد واستمرار الكون فيه بالقلب وإن عرض للجسد عارض (٣).

\*\*\*\*\*

(١) المختار للحديث في شهر رمضان (٢٦٥ ص - ٢٦٧) بتصرف.

(٢) صحيح البخاري: ١/ ٢٣٤ بلفظه، صحيح مسلم: ٢/ ٧١٥.

(٣) انظر: فتح الباري (١٨٩/٢)، دليل الفالحين شرح رياض الصالحين (٢/ ٢٥٢).

## المبحث العاشر التفكر في نعم الله

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في الفتاوى أن من الأشياء التي تحرك القلوب: مطالعة آلاء الله ونعمائه، قال تعالى: ﴿... فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [سورة: الأعراف، آية: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [سورة: النحل، آية: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿... وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [سورة: لقمان، آية: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿... وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [سورة: إبراهيم، آية: ٣٤]، فإذا ذكر العبد ما أنعم الله عليه من تسخير السماء والأرض، وما فيها من الأشجار والحيوان، وما أسبغ عليه من النعم الباطنة من الإيمان وغيره، فلا بد أن يثير ذلك عنده باعثاً<sup>(١)</sup>.

وما ذكره شيخ الإسلام حقيق بالقبول، وإذا تقلب العبد بين نعم الله تعالى حري أن يولد عنده الحياء منه -عز وجل-، وإذا تولد الحياء في القلب دفعه إلى القيام بالواجبات والبعد عن المنهيات، فإن الحياء حياة القلب، وإذا كان القلب حياً تلقى مادة الحياة من الوحيين الكتاب والسنة، ولهذا فإن الحياء لا يأتي إلا بخير كما ورد في الحديث الصحيح، ولهذا قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «وقد يتولد الحياء من الله تعالى من التقلب في نعمه، فيستحي العاقل أن يستعين بها على معصيته، وقد قال بعض السلف: خف الله على قدر قدرته عليك، واستحي منه على قدر قربك منه»<sup>(٢)</sup>.

وأفٍ لعبدٍ يتقلب في نعم الله -جل وعلا- ولا يحرك قلبه لواجبات الله -عز وجل-، أفٍ لعبدٍ يغدق الله عليه بالنعم، ويخوض في الغفلات، ولا يرعوي عن المحرمات، ولا يستحي من رب البريات.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٩٥-٩٦).

(٢) فتح الباري (١/ ٧٥).

أخي الكريم! إن من البلاء أن يهب الله لك الحياة وترتع فيها، ويسخرّ لك ما تريد ثم لا تنظر في حق الله تعالى، فلو تفكر الإنسان في هذه النعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، لو تفكر فيها لأوجب ذلك التفكير له نشاطاً وباعثاً على الجدّ والاجتهاد في طاعة الله، وقد أرشدنا رسول الله ﷺ إلى التفكير في الآلاء والنعم؛ لأنها طريق إلى شكر المنعم تبارك وتعالى، وطريق إلى معرفة حق الله علينا، فمن حقه علينا أن نطيعه فيما أمر، وأن نشكره ولا نكفره، وأن نذكره ولا ننساه، ففي الحديث: (تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللَّهِ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ) (١).

أخي الصائم! اعلم أن عبادة التفكير في آلاء الله تعالى تأتي عن طريق النظر في هذا الكون، وما فيه من مخلوقات، وكواكب سيارات، ونجوم زاهرات، وأرض وسماوات، وبحار ومحيطات، وشجر ونبات، وما هو متحرك وساكن، وراكع وساجد، كل ذلك يدعو إلى التأمل ويبعث على التفكير، ويدل على الواحد القهار سبحانه وتعالى، فمن المحال أن يخلق هذا الكون عبثاً بلا خالق، ومن المحال أن يكون هذا العالم بلا حكيم يدبره، فثبت لدينا يقيناً أن الله تعالى هو الخالق المدبر الحكيم.

ولكن ينبغي أن ينظر العبد إذا أراد التفكير إلى ما أحل الله له النظر إليه أما ما حرم الله النظر إليه لا، وقد احتج بعض الفساق بحديث موضوع على استحباب النظر إلى النساء الأجنبية، وظن أن هذا من التفكير في آلاء الله تعالى، ونص الحديث: «ثلاث يجلين البصر: الماء والخضرة والوجه الحسن» (٢).

(١) رواه الطبراني في الأوسط (رقم: ٦٣١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (رقم: ١٢٠)، كلاهما بأسانيد واهية، إلا أن للحديث طرقاً عدة حكم بمجموعها الألباني على الحديث فحسنه (السلسلة الصحيحة، ٢٨٧/٤، رقم: ١٧٨٨).

(٢) الموضوعات لابن الجوزي (١/١١٢)، وذخيرة الحفاظ (١٦٤٠)، واللائي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (١/١٠٧)، وقال ابن القيم: «وهذا الكلام مما يجلب عنه أبو هريرة، بل سعيد ابن المسيب والحسن، بل أحمد ومالك رحمهم الله» (نقد المنقول ص ٥٣، رقم: ٥٨).



فاتخذ هؤلاء الفساق هذا الحديث الباطل دليلاً على إطلاق البصر فيما لا يحل، وما من شك في وضع الحديث، وقد أبطله العلامة ابن الجوزي وغيره، وتكلم عليه باستفاضة في تلبيس إبليس، فراجعه، ثم حتى لو صح الحديث لكان مقيداً بالنصوص الأخرى فيمكن صرفه إلى الوجه الحسن الذي أحل الله النظر إليه، أما الوجه الذي منع من النظر إليه فلا يندرج تحت هذا الحديث، وعلى هذا فلا مستند لهؤلاء الفسقة في هذا الحديث، نسأل الله لنا ولقومنا الهداية والسداد.

ثم اعلم أيضاً! أن التفكير في آلاء الله وإنعامه وإحسانه والتحدث بذلك يعتبر من ذكر الله -عز وجل-، ولذلك قال ابن القيم -رحمه الله-: «ومن ذكره سبحانه وتعالى ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه ومواقع فضله على عبده، وهذا أيضاً من أجل أنواع الذكر»<sup>(١)</sup>.

ثم إن التفكير في آلاء الله ينبت حبَّ الله في قلب العبد، فإن النعم من الله تعالى لعباده المؤمنين، وهي ممن منه سبحانه وتعالى لهم.

وختاماً: فإن القلوب الرقيقة محبوبة عند الله تعالى ففي الحديث: (إِنَّ اللَّهَ أُنِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَأُنِيَّةٌ رَبِّكُمْ قُلُوبُ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَأَحَبُّهَا إِلَيْهِ أَلْيُهَا وَأَرْقُهَا)<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*\*

(١) الوابل الصيب (ص ١٢٠).

(٢) مسند الشاميين: ١٩/٢، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة، ٤٣٥/٢، رقم: ١٦٩١).

## المبحث الحادي عشر الحذر من الفتن وتقلب القلوب

إن من أهم ما ينبغي على المسلم الحذر منه: الفتن وتقلب القلوب وتغيرها، فعلى الصائم أولاً دعاء الله - جل وعلا - أن يثبت قلبه، وأن يعلم ويعتقد أنه مهما قدّم في هذا الشهر وغيره من الأعمال الصالحة فلا غنى له طرفة عين عن رحمة الله وعفوه، ولذلك كانت وصية رسول الله ﷺ لعائشة بطلب العفو من الله تعالى، كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت: يا رسول الله أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: (قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) <sup>(١)</sup>، وللنسائي من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً: (اسأَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ) <sup>(٢)</sup>.

فالشر الماضي يزول بالعفو، والحاضر بالعافية، والمستقبل بالمعافاة، لتضمنها دوام العافية <sup>(٣)</sup>.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان، وهو يقول: (اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ) <sup>(٤)</sup>.

(١) سنن النسائي: ٤/٤٠٧.

(٢) سنن الترمذي: ٥/٥٥٧، وصححه الحاكم (رقم: ١٩٣٨).

(٣) المبدع (٣/٦٢).

(٤) صحيح مسلم: ١/٣٥٢.

أخي الصائم: لقد قدمت خلال أيام شهر رمضان المبارك ولياليه بعض الطاعات والقرب فلا تفسد عمرك بالعُجب وتنسى أن نعمة الطاعة تمت بتوفيق الله وقدرته، فهو الذي وفقك للعبادة ومكّنك من فعلها وأعانك على أدائها.

فاتق الله واحذر من العُجب فإنه الهلاك، ومن وقع فيه فلا يلومنّ إلا نفسه حيث الانقطاع عن الله، وبعد ذلك كلّه يكله الله إلى نفسه فيرى أنه من المحسنين، وهو عند الله من الظالمين.

أما سمعت يا عبد الله ما روي عن عائشة - رضي الله عنها - أنه قيل لها: متى يكون الرجل مسيئاً؟ قالت: إذا ظنّ أنه محسن<sup>(١)</sup>، وصدقت - رضي الله عنها - إنما يرى أنه محسن إذا عجب بعمله، واعلم أن سرّ تحريم العجب كما قال القرافي: «وسرّ تحريم العُجب أنه سوء أدب على الله تعالى، فإن العبد لا ينبغي له أن يستعظم ما يتقرب به إلى سيده، بل يستصغره بالنسبة إلى عظمة سيده لا سيما عظمة الله تعالى، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [سورة: الأنعام، آية: ٩١] أي: ما عظموه حق تعظيمه، فمن أُعجب بنفسه وعبادته فقد هلك مع ربه، وهو مطلع عليه، وعرض نفسه لمقت الله تعالى وسخطه»<sup>(٢)</sup>.

أخي الصائم: عالج نفسك بنفسك وإذا رأيت عجباً فقل لنفسك: هذه عطية من الله، وهو الذي منّ بها عليّ، ولعلي أنقل لك ما قاله الإمام الشافعي في هذا الخصوص حيث يقول: «إذا خفت على عمرك العجب فاذكر رضى منّ تطلب، وفي أي نعيم ترغب، ومن أي عقاب ترهب، فمن فكر في ذلك صغر عنده عمله»<sup>(٣)</sup>، أي أنك تطلب رضى الله العظيم الكبير المتعال مالك الملك،

(١) إحياء علوم الدين (٣/٣٧٠).

(٢) الفروق (٤/٣٨٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/٤٢).

وأنت ترغب في جنة الخلد وما فيها من نعم أعظمها النظر إلى وجه الله الكريم، وأنت ترهب من عقابه فهو شديد العقاب، وأن أخذه للظالمين أليم شديد، فهل تنظر إلى عملك أيها المجتهد العامل وتعجب به أمام العظيم الجبار المتكبر، وتذكر قول المصطفى ﷺ: (لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ)، قالوا: ولا أنت يا رسول الله! قال: (لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدُّوْا وَقَارِبُوا، وَلَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدَكُمْ الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزِدَّادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ) (١).

ولا تنس أخي الصائم أن الله هو المنعم عليك بإيجادك وإيجاد أعمالك، فلا معنى لعجب عاملٍ بعمله ولا عالم بعلمه، إذ كل ذلك من فضل الله وإنما الأدمي محل لفيض النعم عليه (٢).

أخي الصائم: تذكر عيوب نفسك، وسدّ سبيل العجب بمعرفة نفسك وعيوبها وعللها، واستح على نفسك وأجمل، وخف من الطرد والرد والإبعاد، قال ابن الجوزي: «مَنْ تلمح خصال نفسه وذنوبها علم أنه على يقين من الذنوب والتقصير، وهو من حال غيره على شك، فالذي يحذر منه الإعجاب بالنفس، ورؤية التقدم في أحوال الآخرة، والمؤمن الحق لا يزال يحتقر نفسه، وقد قيل لعمر بن عبد العزيز -رحمه الله-: إن مت ندفنك في حجرة رسول الله ﷺ، فقال: لأن ألقى الله بكل ذنب غير الشرك أحب إليّ من أن أرى نفسي أهلاً لذلك» (٣).

وما أجمل ما قاله الإمام ابن القيم -رحمه الله- في هذا الباب: «أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد بعبده خيرًا أنساه رؤية طاعاته، ورفعها من قلبه ولسانه، فإذا ابتلي

(١) صحيح البخاري: ٢١٤٧/٥ واللفظ له، صحيح مسلم: ٢١٦٩/٤.

(٢) انظر: مختصر منهاج القاصدين (ص ٢٥٧).

(٣) صيد الخاطر (ص ٢٥٠-٢٥١).

بالذنب جعله نصب عينيه ونسي طاعاته، وجعل همه كله بذنبه، فلا يزال ذنبه أمامه إن قام أو قعد أو غدا أو راح، فيكون هذا عين الرحمة في حقه، كما قال بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب فيدخل به الجنة، ويعمل الحسنة فيدخل بها النار، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: يعمل الخطيئة فلا تزال نصب عينيه كلما ذكرها بكى وندم واستغفر وتضرع وأتاب إلى الله وذلل له وانكسر، وعمل لها أعمالاً فتكون سبب الرحمة في حقه، ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه يمنّ بها ويرأها ويعتد بها على ربه وعلى الخلق، ويتكبر بها ويتعجب من الناس كيف لا يعظمونه ويكرمونه ويجلونهم عليها، فلا تزال هذه الأمور به حتى تقوى عليه آثارها فتدخله النار" <sup>(١)</sup> نسأل الله السلامة والعافية.

\*\*\*\*

## المبحث الثاني عشر الزهد في الدنيا

فإذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله، وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه تنل بذلك غاية العز والرفعة.

قال بعض الزهاد: ما علمت أن أحدًا سمع بالجنة والنار تأتي عليه ساعة لا يطيع الله فيها بذكر أو صلاة أو قراءة أو إحسان، فقال له رجل: إني أكثر البكاء، فقال: إنك إن تضحك وأنت مقر بخطيئتك خير من أن تبكي وأنت مدل - أي منبسط - بعملك، وإن المدل لا يصعد عمله فوق رأسه، فقال: أوصني، فقال: دع الدنيا لأهلها، كما تركوا هم الآخرة لأهلها، وكن في الدنيا كالنحلة إن أكلت أكلت طيبًا، وإن أطعمت أطعمت طيبًا، وإن سقطت على شيء لم تكسره ولم تخذشه.

والزهد أقسام: زهد في الحرام، وهو فرض عين، وزهد في الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحقت بالواجب، وإن ضعفت كان مستحبًا، وزهد في الفضول، وزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره، وزهد في الناس، وزهد في النفس، بحيث تهون عليه نفسه في الله، وزهد جامع لذلك كله، وهو الزهد فيما سوى الله، وفي كل ما شغلك عنه، وأفضل الزهد: إخفاء الزهد، وأصعبه: الزهد في الحظوظ، والفرق بينه وبين الورع: أن الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما يخشى ضرره في الآخرة، والقلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع.

قال يحيى بن معاذ: عجبت من ثلاث: رجل يرائي بعمله مخلوقاً مثله ويترك أن يعمله لله، ورجل يبخل بماله وربُّه يستقرضه منه فلا يقرضه منه شيئاً، ورجل يرغب في صحبة المخلوقين ومودتهم، والله يدعوهم إلى صحبته ومودته<sup>(١)</sup>.

والزهد في الدنيا وتوابعها ليس مقصوداً لنفسه، بل مقصوداً لغيره، فإن كان ذلك مما يستعان به على طاعة الله وقيام دينه والنفع المتعدي والقاصر كان محموداً، وإن كان لا يتوسل به إلى شيء من ذلك، أو يتوسل به إلى أغراض نفسية وشهوات دنية، أو يطلب به الراحة الحاضرة فقط، لم يكن محموداً، فهو وسيلة محضة لا غاية مقصودة، وإنما الغايات المطلوبة تتبع أوامر الله ورسوله، وعلمها وتنفيذها في نفسه وفي غيره بكل وسيلة وطريقة توصل إليها، والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

فإذا استعنت أخي المسلم فاستعن بالله، وإذا سألت فاسأل الله، ولا يكن ما تراه مما قد يعظم في نفسك إلا أسباب ومسببات جعلها الله لينظر كيف هو سبحانه عندك، فهذا يظهر من خلال عقيدتك، وهو وحده المعين النافع الرازق المحيي المميت، فهو مالك الملك سبحانه وتعالى، ولا يملك سواه نفعاً ولا ضرراً، فمن كان كذلك كان الله معه في كل حال، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [سورة: الطلاق، آية: ٣]، وعن عمر -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرَزَقْنَاكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرُ تَغْدُو حِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا)<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*\*

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ١١٨-١١٩).

(٢) انظر: مجموع الفوائد واقتناص الأوابد (ص ٨٢-٨٣).

(٣) سنن الترمذي: ٥٧٣/٤، سنن ابن ماجه: ١٣٩٤/٢، مسند أحمد بن حنبل: ٣٠/١، صحيح ابن

## المبحث الثالث عشر

## الحذر من الظلم

ينبغي على المسلم الحذر من الوقوع في الظلم بكافة أشكاله وصوره، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [سورة: إبراهيم، آية: ٤٢-٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة: هود، آية: ١٠٢].

والظلم عاقبته وخيمة، لما رواه أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ)، قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة: هود، آية: ١٠٢] (١).

وحذر الرسول ﷺ من الظلم، لما روى مسلم من حديث جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَىٰ أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ) (٢).

وكان الرسول ﷺ يتعوذ بالله من الظلم، لما رواه الترمذي وغيره من حديث أم سلمة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: (بِسْمِ اللَّهِ

(١) صحيح البخاري: ١٧٢٦/٤، صحيح مسلم: ١٩٩٧/٤.

(٢) صحيح مسلم: ٩٩٦/٤.



تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَزِلَّ أَوْ نُضِلَّ، أَوْ نَظْلِمَ أَوْ نُظْلَمَ، أَوْ نَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيْنَا) (١).

وينبغي الالتقاء والحذر من دعوة المظلوم، لما رواه البخاري من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ بعث معاذًا إلى اليمن فقال: (اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ) (٢).

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ) (٣).

وفي مستدرک الحاكم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (اتَّقُوا دَعْوَاتِ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّهَا شَرَارٌ) (٤).

وروى الطبراني في الكبير من حديث خزيمة بن ثابت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى النَّعْمِ، يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ) (٥).

وروى الخطيب في تاريخه من حديث أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال له: (اتَّقِ يَا عَلِيُّ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا يَسْأَلُ اللَّهُ حَقَّهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَمْنَعَ ذَا حَقٍّ حَقَّهُ) (٦).

(١) سنن أبي داود: ٤/٣٢٥، سنن الترمذي: ٥/٤٩٠ واللفظ له، سنن النسائي: ٨/٢٦٨.

(٢) صحيح البخاري: ٢/٥٤٤ بلفظه، صحيح مسلم: ١/٥٠.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ٣/١٥٣.

(٤) المستدرک على الصحيحين: ١/٨٣.

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (رقم: ٣٧١٨).

(٦) تاريخ بغداد (٩/٣٠١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذَّلَّةِ، وَأَنْ تَظْلِمَ أَوْ تُظْلَمَ) (١).

وروي أن بعض الملوك رقم على بساط له:

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا      فَالظُّلْمُ مَصْدَرُهُ يُفْضِي إِلَى النَّدَمِ  
تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالْمَظْلُومُ مُتَبِّهُ      يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمْ (٢)  
ولبعضهم:

إِذَا مَا هَمَّمْتَ بِظُلْمِ الْعِبَادِ      فَكُنْ ذَاكِرًا هَوَّلَ يَوْمِ الْمَعَادِ  
فَإِنَّ الْمَظْلَمَ يَوْمَ الْقِصَاصِ      لِمَنْ قَدْ تَزَوَّدَهَا شَرٌّ زَادَ (٣)  
وقال أبو العتاهية رحمه الله تعالى:

أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ لُومٌ      وَمَا زَالَ الْمِسِيءُ هُوَ الظُّلُومُ  
إِلَى دِيَانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمُضِي،      وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الخُصُومُ  
سَلِ الْأَيَّامَ عَنِ أُمَّمٍ تَقْضَتْ      سَتُخْبِرُكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّسُومُ (٤)

ومن كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، فقد روى البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ

(١) سنن النسائي: ٢٦١/٨ بلفظه، سنن ابن ماجه: ١٢٦٣/٢، صحيح ابن حبان: ٣/٢٨٤.

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف (١/٢٣٦).

(٣) سراج الملوك (ص: ٢٥٨).

(٤) الأغاني (٤/٧٣).

مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

فلا تحتقر دعاء المظلوم فشرر قلبه محمول بعجيج صوته إلى سقف بيتك، ويحك نبال أذعته مُصِيبَةٌ وإن تأخر الوقت، قوسه قلبه المقروح، ووتره سواد الليل، وأستاذه صاحب: «لأنصرنك ولو بعد حين»، وقد رأيت ولكن لست تعتبر، احذر عداوة من ينام وطرفه باك يقلب وجهه في السماء، يرمي سهامًا ما لها غرض سوى الأحشاء منك.

إِذَا التَّقَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ وَمَا طَلَّهُ  
سَتَعَلَّمَ لَيْلَىٰ أَيُّ دَيْنٍ تَدَايَنْتَ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*

(١) صحيح البخاري: ٢ / ٨٦٥.

(٢) بدائع الفوائد: ٣ / ٧٦٢.

## المبحث الرابع عشر تذكر الموت

أخي الصائم: إن الله كتب الموت على كل حي، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، [سورة: الرَّحْمَن، آية: ٢٦-٢٧]، وأوصى رسول الله ﷺ أمته بذكر الموت وما بعده؛ لئلا يركنوا إلى الدنيا، فتغمرهم زينتها، ويسكرهم زخرفها، فيعملوا لها وينسوا الآخرة، فقال عليه الصلاة والسلام أمرًا ناصحًا: (أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ) (١).

الموت -أخي الصائم- حقيقة يقينية كبرى، لا قدرة لأحد على دفعها أو تأجيلها أو إنكارها، ومن لم يؤمن بالله تعالى ولا بكتبه ولا برسله ولا باليوم الآخر فلا بد أن يؤمن بالموت؛ لأنه يشاهد الأموات أمامه، فلا قدرة له على إنكاره.

ذلكم الموت الذي يخافه كل شخص، ويهرب منه كل حي، زرع الخوف منه في القلوب، وفطر الخلق على الهروب منه، يفر منه الطفل الذي لم يميز، ويهرب منه المجنون الذي لا يعقل، وتفر منه الحيوانات والطيور والزواحف، فعند بوادر الموت تخاف وترجف، وشاهدوا كيف يفر الطفل من موقع الخطر ويبكي، وتأملوا فريسة غرس السبع أنيابه فيها كيف ترتعب من الموت، وتضطرب وهي لا تعقل، وانظروا كيف تطلق ساقها للريح هربا إن طوردت، لكن الحقيقة النهائية لكل حي هي في قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة: الجمعة، آية: ٨].

(١) صحيح ابن حبان: ٢٥٩/٧، سنن النسائي: ٦٠٠/١، سنن ابن ماجه: ١٤٢٢/٢.

يا لها من حقيقة ما أعظمها! وما أقربها! وما أشد غفلة الناس عنها! كدرت هذه الحقيقة عيش الملوك والأغنياء، ونغصت حياة المرفين في العصيان، وعمرت بالوجل والخوف قلوب الأتقياء، فشمروا عن سواعد الجد في العمل للموت وما بعده، قال صالح المري -رحمه الله تعالى- : "إن ذكر الموت إذا فارقتني ساعة فسد علي قلبي".

والعبرة ليس في كون الموت حقيقة، بل العبرة في تذكر الموت، والحذر من الغفلة عن ذكر الموت، فالموت مصيبة والغفلة عنه أعظم المصائب فكيف يستديم العبد ذكر الموت؟ قال تعالى: ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ [سورة: المائدة، آية: ١٠٦].

ومما يعين المسلم على إدامة ذكر الموت استصحاب وصف رسول الله ﷺ للموت في الحديث الطويل والذي يصف حال المؤمن وحال الكافر في اللحظات الأخيرة من الدنيا، واللحظات الأولى من القبر، بأدق وصف، وأبلغ بيان، حتى إن سامعه يعيش مع الميت لحظة بلحظة.

فعن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: (خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، وَكَانَ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، أَخْرَجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ،

وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مِنْكَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ - يَعْنِي بِهَا - عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانَ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيَشِيعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ؛ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيَنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْبُسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُنْفَسِحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي... قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلِكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، أَخْرِجِي إِلَى سَخَطِ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبِ، قَالَ: فَتَفَرِّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، (وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: فَيَنْتَزِعُهَا تَتَقَطَّعُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ)، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جَيْفَةٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟

فَيَقُولُونَ: فَلَانَ بَنُ فُلَانَ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُتَهَمَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فَيَقُولُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتَطْرَحُ رُوحَهُ طَرَحًا، ثُمَّ قَرَأَ، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [سورة: الحج، آية: ٣١]، فَتَعَادُ رُوحَهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تَقِمِ السَّاعَةَ؛ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَهْلُ السُّنَنِ إِلَّا التِّرْمِذِيَّ (١).

ومن يذكر الموت ينبغي أن يذكره بقلب فارغ، لا بقلب مشغول بشهوة الدنيا، فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه، كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة مخطرة أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه، فإذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه، وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه، وأنجع طريق فيه أن يذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب، ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم، ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم، وكيف تبددت

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٤/٢٨٧، سنن أبي داود: ٤/٢٣٩.

أجزاءهم في قبورهم، وكيف أرملوا نساءهم، وأيتموا أولادهم، وضيعوا أموالهم، وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم، وانقطعت آثارهم...

قال أبو الدرداء -رضي الله عنه-: «إذا ذكرت الموتى فاجعل نفسك كأحدهم»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-: «السعيد من وعظ بغيره»<sup>(٢)</sup>.

وقال عمر بن عبد العزيز: «إنكم تشيعون كل يوم غادياً ورائحاً إلى الله -عز وجل-، قد قضى نجه تضعونه في صدع من الأرض قد توسد التراب وخلف الأحباب وقطع الأسباب»<sup>(٣)</sup>.

فملازمة هذه الأفكار وأمثالها، مع دخول المقابر، ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه، فعند ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار الغرور، وإلا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه، ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي أن يتذكر في الحال، أنه لا بد له من مفارقتة.

نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنهما، ثم بكى فقال: «والله لولا الموت لكنت بك مسروراً، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا»، ثم بكى بكاءً شديداً حتى ارتفع صوته<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>.

(١) تاريخ دمشق (٤٧/١٦٦).

(٢) رواه مسلم (رقم: ٢٦٤٥) في حديث طويل.

(٣) هكذا ورد في الحلية لأبي نعيم (٥/٢٩٥)، وورد مسنداً عند ابن عساکر في تاريخ دمشق بنحوه في خطبة لعمر بن عبد العزيز (٣٥/٣٧٣).

(٤) انظر: قصر الأمل، لابن أبي الدنيا (رقم: ٢٧٢)، وشعب الإیمان للبيهقي (١٠٧٦٨).

(٥) وانظر لذلك في إحياء علوم الدين (٤/٤٥١-٤٥٢).



فالعاقل من مثَل تلك الساعة، وعمل بمقتضى ذلك، فإن لم يتهياً تصوير ذلك على حقيقته؛ تحايّله على قدر يقظته، فإنه يكف كف الهوى ويبعث على الجدّ. فأما مَنْ كانت تلك الساعة نصب عينيه، كان كالأسير لها.

كما رُوي عن حبيب العجمي أنه كان إذا أصبح يقول لامرأته: إذا متّ اليوم، ففلان يغسلني، وفلان يحملني.

فوا أسفا لمهددٍ كم يقتل قبل القتل! ويا طيب عيشٍ لموعد بأزيد المنى!  
وليعلم من شارف السبعين أن النفس أنين!

أعان الله مَنْ قطع عقبة العُمُر على رَمَلِ زرود الموت<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*

(١) انظر: صيد الخاطر (ص: ٣٠٦).

## المبحث الخامس عشر

### تحقيق التوكل

اعلم -أخي الصائم- أن التوكل على الله تبارك وتعالى من شعب الإيمان، وواجب من أهم واجباته، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة: المائدة، آية: ٢٣].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله- في شرح الآية: "فإن في التوكل على الله -وخصوصاً في هذا الموطن- تيسيراً للأمر ونصراً على الأعداء، ودل هذا على وجوب التوكل وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله<sup>(١)</sup>. وقد يطرأ على العبد نقص فيه أو ضعف في تحقيقه تبعاً لضعف الإيمان ونقصه.

وحقيقة التوكل هي: اعتماد القلب على الله وتفويض الأمور إليه، وهو عمل قلبي -شعور أو إحساس- يدركه المؤمن في جميع أحواله، بحيث يبقى متعلقاً بربه في كل حين، ولا ينافيه فعل الأسباب، بل فعل الأسباب مع التوكل على الله قد دلَّ عليه الشرع والعقل.

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالتوكل كما أمر عباده، فقال تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة: آل عمران، آية: ١٥٩]،

(١) تفسير السعدي (٢/ ٢٧٥).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "واعلم أن التوكل على الله نوعان، أحدهما: توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدُّنْيَوِيَّةِ أو دفع مكروهاته ومصائبه الدُّنْيَوِيَّةِ. والثاني: التوكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله كفاه النوع الأول تمام الكفاية، ومتى توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضاً لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل، فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم" أه، الفوائد (٨٥).

"فإذا عزمت" أي على أمر من الأمور بعد الاستشارة فيه - إن كان يحتاج إلى استشارة - فتوكل على الله"، أي: اعتمد على حول الله وقوته متبرئاً من حولك وقوتك، "إن الله يحب المتوكلين" عليه اللاجئين إليه<sup>(١)</sup>.

وإذا ضعف التوكل مال القلب إلى الأسباب وتعلق بها وربط تحقق النتائج بها، فإن قويت الأسباب جزم بالنتيجة، وإن ضعفت ضعف رجاؤه بالنتائج، وإن اضمحلت - أي الأسباب - يئس من النتائج.

### أخي الصائم:

اعلم أن من صور ضعف التوكل الاعتماد في الرزق على الأسباب، كالوظائف، كأن الرزق لا يتحقق ولا يحصل إلا عن طريقها، ولا شك أن الوظيفة سبب، لكن الله - سبحانه وتعالى - هو الرزاق، ولا يعني هذا أن يترك العبد التكسب والتسبب له، بل يبذل الأسباب وقلبه متعلق بالله وحده كما جاء في الأثر: «اغْقَلْهَا وَتَوَكَّلْ»<sup>(٢)</sup>. ومثال آخر لضعف التوكل ألا وهو التعلق بالأسباب في حفظ الصحة. وكما تقدم فإن هذا لا يعني الدعوة إلى ترك ما جعله الله سبباً لحفظ الصحة وعلاج الأمراض والوقاية منها، بل تُبذل الأسباب ويعتمد القلب على الله وحده، كما في الحديث: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»<sup>(٣)</sup>، زاد أحمد: «عِلْمُهُ مَنْ عِلْمُهُ، وَجِهَلُهُ مَنْ جِهَلُهُ»<sup>(٤)</sup>، ويؤمن بأنه النافع الضار، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يدفع السيئات إلا هو سبحانه وتعالى.

(١) تفسير السعدي (١/٤٤٦).

(٢) سنن الترمذي (٤/٢٤٩)، صحيح ابن حبان (٢/٥١٠).

(٣) صحيح البخاري (٧/١٢٢).

(٤) مسند أحمد (٦/٤٨).

## أخي الصائم:

هناك أمور تعين على تحقيق التوكل على الله تبارك وتعالى، منها:

- ١- استشعار أن التوكل على الله من كمال الإيمان، قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مَوْمِنِينَ﴾ [سورة: المائدة، آية: ٢٣]، فإذا كمل إيمان العبد نتج عنه كمال التوكل، فإن التوكل شعبة من شعب الإيمان.
- ٢- تفويض الأمر لله، وهو تفويض العاجز الضعيف للقادر القوي، قال تعالى: ﴿وَأَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة: غافر، آية: ٤٤]، وأن يوقن العبد المؤمن أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وبخاصة حين يقوم بعمل من الأعمال، أو حين يتقي شراً، أو يتوقع حدوث مكروه، قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، [سورة التوبة، آية: ٥١]؛ فيسلم المؤمن أمره لخالقه راضياً محتسباً، ففي وصية النبي ﷺ لابن عباس ؓ: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلَائِقَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَعْطُوكَ شَيْئًا لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُعْطِيكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا أَنْ يَصْرِفُوا عَنْكَ شَيْئًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَكَ بِهِ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، فَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَلَمَ قَدْ جَرَى بِهَا هُوَ كَائِنٌ»<sup>(١)</sup>.

فإذا فوض العبد أمره إلى ربه ورضي بما يختاره له أمده فيما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصبر، وصرف عنه الآفات التي هي عُرْضة اختيار العبد لنفسه، وأراه من حسن عواقب اختياره ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه.

(١) المعجم الكبير (١١/١٢٣)، مسند أحمد (٥/١٩)، سنن الترمذي (٤/٢٤٨)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦٤٨).

ومتى صح تفويضه ورضاه اكتنّفه في المقدور العطف عليه وللطيف به، فيصير بين عطفه ولطفه، فعطفه يقيه ما يحدّره، ولطفه يهون عليه ما قدره<sup>(١)</sup>.

٣- تعلم العلم الشرعي؛ ليعرف الحق فيثبت عليه، بخلاف من قصر علمه فإنه يكون متردداً لا يستقر على حال ولا يجزم برأي، قال عز وجل: ﴿تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [سورة النمل، آية: ٧٩]. وقال تبارك وتعالى عن الأنبياء عليهم السلام أنهم قالوا لقومهم: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [سورة إبراهيم، آية: ١٢].

٤- قراءة سير المتوكلين وأخبارهم، وسيد المتوكلين هو النبي المصطفى الأمين محمد ﷺ. ومن ذلك قصة هاجر لما وضعها إبراهيم -عليه السلام- هي وابنها الرضيع إسماعيل -عليه السلام- في صحراء ليس بها أنيس ولا ماء، امثالاً لأمر الله الحكيم الرحيم، وترك عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتركننا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ ثم قالت له: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، قالتها ثقة بالله وتوكلاً عليه وتسليماً لأمره، ثم نفذ الطعام والماء وعطش ابنها وشارف على الهلاك، ثم جاءهما الفرج من عند الله<sup>(٢)</sup>.

٥- ومن الأسباب المعينة على التوكل وتكميله، بل أعظمها وأجلها: معرفة عظمة الرب -تبارك وتعالى- وجلاله وكماله وتعام قدرته سبحانه وإطلاعه على أمور عباده، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الشعراء: ٢١٧-٢٢٠]. وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ

(١) الفوائد لابن القيم (٢٠٠).

(٢) خطوات إلى الحياة الطيبة، للشيخ فهد القاضي، بتصرف.

عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا [سورة الفرقان، آية: ٥٨].

٦- شرف هذه العبادة وهي التوكل إذا اجتمع فيها عبادة القلب واللسان والجوارح بفعل الأسباب مع اليقين بموعد الله.

٧- أن التوكل من توحيد العبادة، والمسلم مطالب بتحقيق التوحيد والبعد والحذر عن الشرك وطرقه وأنواعه.

٨- إن سر التوكل على الله وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده، وأعظم ما يتجلى التوكل حال الدعاء؛ ذلك أن حال دعائه مستعين بالله، مفوض إليه الأمر وحده دون ما سواه، ثم إن التوكل لا يتحقق إلا بالقيام بالأسباب، فمن ترك الأسباب وادعى التوكل فتوكله ناقص، وإن من أعظم الأسباب الدعاء إن لم يكن أعظمها.

### أخي الصائم:

إن العبد إذا عرف ربه بصفاته، فعرف أنه الحي الذي لا يموت ويكفي من توكل عليه ولا يغفل عنه سبحانه وتعالى، وهو الذي خلق السموات والأرض وهو على كل شيء قدير، وهو سبحانه وتعالى الذي استوى على العرش يدبر الأمر، أثمر ذلك صحة توكله على الله عز وجل.

وثمرّة التوكل على الله أنه يكفي من يتوكل عليه، قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة: الطلاق، آية: ٣]، ومن ثماره أن الشيطان ليس له سلطان على المؤمنين المتوكلين على الله، قال عز وجل: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة النحل، آية: ٩٨-٩٩].

وجماع معنى التوكل في هذا الحديث العظيم، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقْنَاكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»<sup>(١)</sup>.

### أخي الصائم:

فمن أولى منك بالتوكل على الله حقَّ توكله، وتفويض أمره إلى خالقه وبارئه سبحانه، فأنت الذي تقضي نهارك بعيداً عن شهواتك وملذاتك، طلباً لرضوان الله، وتقضي ليلك قائماً راجياً رحمة ربك؟!!

وفي شهر الصيام يعظم الإيمان ويتعمق التوكل على الله تعالى في نفس الصائم وما أعظم التوكل على الخالق عز وجل، فكل عبد مضطر إليه ولا يستغني عنه طرفة عين، فالتوكل على الله من أعظم العبادات لأنه يوثق صلة العبد بربه وتوحيده سبحانه ومن توكل على غير الله فإنها يتوكل على من يموت ويفنى فيضيع ويزيغ ويضل سعيه.

وكلما أحسن العبد التوكل على الله واستشعر هذا التوكل كان أحرى بالقبول والإعانة، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [سورة: غافر، آية ٥١].



(١) مسند أحمد (١/٣٣٢)، سنن الترمذي (٤/٥٧٣) وصححه الألباني، انظر صحيح الترمذي (١٩١١)، ومعنى تغدو وخمصاصاً، أي: تذهب أول النهار ضامرة البطون من الجوع، وتروح بطاناً، أي: ترجع آخر النهار ممتلئة البطون، والمعنى: أنكم لو توكلتم على الله في ذهابكم ومجيئكم وتصرفكم لسهل لكم أرزاقكم.





## الفصل الرابع

### أخلاق الصائم العملية

وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: السحور

المبحث الثاني: تعجيل الفطور

المبحث الثالث: الفطر على رطبات

المبحث الرابع: قيام الليل

المبحث الخامس: الجلوس في المسجد حتى طلوع الشمس

المبحث السادس: حفظ الجوارح عن الأثام

المبحث السابع: حسن المعاملة

المبحث الثامن: الإكثار من البر والصدقة

المبحث التاسع: السواك

المبحث العاشر: تقطير الصائمين

المبحث الحادي عشر: نفع المسلمين

المبحث الثاني عشر: المحافظة على الصلاة والخشوع فيها

المبحث الثالث عشر: الاقتصاد وعدم الإسراف

المبحث الرابع عشر: التخلي عن فضول المخالطة

المبحث الخامس عشر: غض البصر

المبحث السادس عشر: احترام الوقت

المبحث السابع عشر: الزهد والتواضع

المبحث الثامن عشر: الأخذ بالرخص الشرعية المتعلقة بالصيام

المبحث التاسع عشر: الابتعاد عما يفسد الصوم أو يجرحه

المبحث العشرون: تربية الأولاد على الصلاة والصيام

المبحث الحادي والعشرون : الجمع بين الصيام وغيره من الفضائل

المبحث الثاني والعشرون : الحرص على البقاء على طهارة

المبحث الثالث والعشرون : الاجتهاد في السنن

المبحث الرابع والعشرون : البر بالوالدين

المبحث الخامس والعشرون : العدل والإنصاف

المبحث السادس والعشرون : العمرة في رمضان

المبحث السابع والعشرون : المسارعة إلى الخير

المبحث الثامن والعشرون : صلة الأرحام

المبحث التاسع والعشرون : ترك المحرمات

المبحث الثلاثون : إخفاء الطاعات ما أمكن

المبحث الحادي والثلاثون : الحذر من استصغار الذنوب

المبحث الثاني والثلاثون : تزكية النفس

## المبحث الأول

## السحور

وهو مستحب، فقد روى أنس بن مالك - رضي الله عنه - في الحديث المتفق عليه أن النبي ﷺ قال: (تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَتًا) <sup>(١)</sup>.

وعن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (فَصَلُّ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةَ السَّحْرِ) <sup>(٢)</sup>.

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (السَّحُورُ أَكْلُهُ بَرَكَتٌ، فَلَا تَدْعُوهُ وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدَكُمْ جَرْعَةً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ) <sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري: ٦٧٨/٢، صحيح مسلم: ٧٧٠/٢.

ظاهر الحديث وجوب السحور، ولكنه صرفه صارف عن الوجوب إلى الندب، وهو ما ثبت من مواصلته ﷺ، وقد نقل ابن المنذر الإجماع على أن التسحر مندوب وليس بواجب، (انظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام، ١٤٧/٣).

(٢) صحيح مسلم: ٧٧٠/٢ واللفظ له.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ١٢/٣، وحسنه الألباني (صحيح الجامع، رقم: ٣٦٨٣). وبركة السحور تشمل منافع الدنيا والآخرة، فمن منفعه الآتي:

أولاً: أن من بركة السحور: التقوي على العبادة، والاستعانة على طاعة الله تعالى أثناء النهار من صلاة وقرآءة وذكر؛ فإن الجائع يكسل عن العبادة كما يكسل عن عمله اليومي، وهذا محسوس. ثانياً: مدافعة سوء الخلق الذي يثيره الجوع، فالتسحر طيب النفس حسن المعاملة. ثالثاً: أنه تحصل بسببه الرغبة في الازدياد من الصيام لخفة المشقة فيه على المتسحر فيرغب في الصيام، ولا يتضايق منه.

رابعاً: اتباع السنة، فإن المتسحر إذا نوى بسحوره امتثال أمر النبي ﷺ والافتداء بفعله، كان سحوره عبادة، يحصل له به أجر بهذه النية، وإذا نوى الصائم بأكله وشربه تقوية بدنه على الصيام والقيام كان مثاباً على ذلك أيضاً.

فينبغي للصائم أن يحرص على السحور، وألا يتركه لغلبة النوم أو غيره، وعليه أن يكون سهلاً ليناً عند إيقاظه من النوم، طيب النفس، مسروراً بامتثال أمر رسول الله ﷺ حريصاً على الخير، لأن نبينا ﷺ أكد السحور، فأمر به وبين أنه شعار صيام المسلمين والفارق بين صيامهم وصيام أهل الكتاب، ونهى عن تركه.

ويحصل السحور بأقل ما يتناوله الإنسان من مأكول أو مشروب، فلا يختص بطعام معين، فعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: (السَّحُورُ أَكْلُهُ بَرَكَةٌ، فَلَا تَدَعُوهُ وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جَرْعَةً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ) <sup>(١)</sup>، ولسعید بن منصور من طريق أخرى مرسله: «تسحروا ولو بلقمة» <sup>(٢)</sup>.

ومن آداب الصيام التي نصَّ عليها أهل العلم: ألا يسرف الصائم في وجبة السحور، فيملاً بطنه بالطعام، بل يأكل بمقدار، فإنه ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، ومتى شبع وقت السحر لم ينتفع من وقته إلى قريب الظهر؛ لأن كثرة الأكل تورث الكسل والفتور. وفي قوله ﷺ: وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

خامساً: من بركة السحور: أن الإنسان يقوم آخر الليل للذكر والدعاء والصلاة وذلك مظنة الإجابة ووقت صلاة الله والملائكة على المتسحرين.

سادساً: أنه فيه مخالفة لأهل الكتاب، والمسلم مطلوب منه البعد عن التشبه بهم. قال النبي ﷺ: (فَصُلِّ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةَ السَّحْرِ)، صحيح مسلم: ٧٧٠/٢.

سابعاً: من بركة السحور: صلاة الفجر مع الجماعة في وقتها الفاضل، ولذا تجد أن المصلين في صلاة الفجر في رمضان أكثر منهم في غيره من الشهور؛ لأنهم قاموا من أجل السحور. انظر: فتح الباري، كتاب الصوم (٤/١٤٠)، وتوضيح الأحكام من بلوغ المرام، للشيخ البسام (٣/١٤٧).

(١) تقدم تحريجه، وقوله: (أكله بركة) بفتح الهمزة والإضافة إلى الضمير، فهو مصدر، أي: الأكل بركة، أو على وزن (فعللة) كما في رواية، بمعنى: أكلة مباركة. انظر بلوغ الأمان (١٠/١٦).

(٢) انظر: فتح الباري (٤/١٤٠).

رسول الله ﷺ: (نَعَمْ سَحُورُ الْمُؤْمِنِ التَّمْرُ) <sup>(١)</sup>، إشارة إلى هذا المعنى، فإن التمر بالإضافة إلى قيمته الغذائية العالية فهو خفيف على المعدة سهل الهضم. والشَّبَع إذا قارنه سهر بالليل ونوم بالنهار فقد فات به المقصود من الصيام، والله المستعان.

ومن آداب السحور: تأخيره وعدم تعجيله، لما روى زيد بن ثابت قال: (تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قُمْنَا إِلَى الصَّلَاةِ، قُلْتُ: كَمْ كَانَ قَدْرُ مَا بَيْنَهُمَا قَالَ خَمْسِينَ آيَةً) <sup>(٢)</sup>.

مع أن تعجيله من منتصف الليل جائز، لكنه خلاف السنة، فإن السحور سمي بذلك؛ لأنه يقع في وقت السحر، وهو آخر الليل.

والإنسان إذا تسحر نصف الليل قد تفوته صلاة الفجر لغلبة النوم، ثم إن تأخير السحور أرفق بالصائم وأدعى إلى النشاط؛ لأن من مقاصد السحور تقوية البدن على الصيام، وحفظ نشاطه، فكان من الحكمة تأخيره.

فينبغي للصائم أن يتقيد بهذا الأدب النبوي، ولا يتعجل بالسحور.

ومما يؤسف عليه أن أناساً يتسحرون نصف الليل؛ لأنهم يسهرون أمام آلات اللهو أو في مجالس اللغو والاجتماعات الآثمة، فهؤلاء مع سهرهم مخالفون للسنة وهي الأكل في السحر آخر الليل، ومنهم من ينام بعد الأكل ولا يستيقظ لصلاة الصبح إلا بعد طلوع الشمس تعمداً، فهذا قد أضاع فريضة عظيمة من أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، أضاعها في أفضل الأوقات، وهو متوعد إذا

(١) سنن أبي داود: ٣٠٣/٢، صحيح ابن حبان: ٢٥٣/٨، سنن البيهقي: ٢٣٦/٤، وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري: ٦٧٨/٢، صحيح مسلم: ٧٧١/٢، سنن الترمذي: ٨٤/٣، سنن النسائي:

لم يتب إلى ربه ويعتن بصلاته بقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [سورة: الماعون، آية: ٤-٥]، أي: غافلون معرضون.

وإذا أكل الصائم بعد طلوع الفجر يظن أن الفجر لم يطلع فتبين له بعد ذلك أنه طلع فصومه صحيح ولا قضاء عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٧].

ومن تسحر ثم نوى الصيام ثم عرض له أن يأكل أو يشرب أو يتناول دواء فله ذلك ما لم يطلع الفجر؛ لأن الصوم الشرعي لا يبدأ إلا من طلوع الفجر، وليست نية ترك الطعام قبل الفجر بمحرّم، والله أعلم.

\*\*\*\*

## المبحث الثاني تعجيل الفطور

ينبغي على الصائم أن يعجل إفطاره إذا تحقق غروب الشمس وإقبال الليل، فإن ذلك مستحب وهو قول أكثر أهل العلم، لما روى سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ) <sup>(١)</sup>، وعن أبي عطية قال: دخلت أنا ومسروق على عائشة فقلنا: يا أم المؤمنين! رجلان من أصحاب محمد ﷺ، أحدهما يعجل الإفطار ويعجل الصلاة، والآخر يؤخر الإفطار ويؤخر الصلاة، قالت: (أَيُّهُمَا الَّذِي يُعَجِّلُ الْإِفْطَارَ وَيُعَجِّلُ الصَّلَاةَ؟)، قال: قُلْنَا: عبد الله - يَعْنِي بن مَسْعُودٍ -، قالت: (كَذَلِكَ كَانَ يَصْنَعُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) <sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعَجَّلَهُمْ فِطْرًا) <sup>(٣)</sup>.

أخي الصائم! إن الخير كل الخير في اتباع السنة النبوية، ولا شك أن ذلك هو سبب خيري الدنيا والآخرة، فالشارع الحكيم يطلب من المسلمين أن لا يشابهوا أهل الكتاب في عباداتهم، فتعجيل الفطر شعار يفرق بين صيام أهل الإسلام وأهل الكتاب، وبين سوء المخالفة، وحسن الاتباع والافتداء <sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح البخاري: ٦٩٢/٢، صحيح مسلم: ٧٧١/٢.

(٢) صحيح مسلم: ٧٧١/٢ واللفظ له، سنن أبي داود: ٣٠٥/٢، سنن الترمذي: ٨٣/٣، سنن النسائي: ٤/١٤٤، بنحوه وفيها ذكر السحور بدل الصلاة، ورقم: ٢١٦٠ بمعناه، ورقم: ٢١٦١ بمثله.

(٣) سنن الترمذي: ٨٣/٣، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وضعفه الألباني (ضعيف الجامع، رقم: ٤٠٤١).

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام (٣/١٤٥).

وفي تعجيل الفطور خير عظيم، ومن ذلك: محبة الله تعالى، فقد روى أبو هريرة - رضي الله عنه -، أن رسول الله ﷺ قال: (قال الله عز وجل: أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْرًا) <sup>(١)</sup>. وفي تعجيل الإفطار اتباع هدى النبي ﷺ والعمل بسنته، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه يعجل الإفطار.

يقول عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر وهو صائم، فلما غابت الشمس قال لبعض القوم: (يا فُلَانُ كُمْ فَاجِدْخَ لَنَا) أي: اخلط السويق بالماء. فقال يا رَسُولَ اللَّهِ: لو أَمْسَيْتَ، قال: (أَنْزِلْ فَاجِدْخَ لَنَا)، قال يا رَسُولَ اللَّهِ: فَلَوْ أَمْسَيْتَ. قال: (أَنْزِلْ فَاجِدْخَ لَنَا)، قال: (إِنَّ عَلَيْكَ مَهَارًا، قال: (أَنْزِلْ فَاجِدْخَ لَنَا) فَنَزَلَ فَجَدَّخَ لَهُمْ، فَشَرِبَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: (إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ هَاهُنَا فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ) <sup>(٢)</sup>.

وقد ورد أن تعجيل الإفطار من أخلاق النبيين كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «ثلاث من أخلاق النبوة: تعجيل الإفطار، وتأخير السحور، ووضع اليمين على الشمال في الصلاة» <sup>(٣)</sup>.

وفي تعجيل الإفطار تيسير على الناس، وبعد عن صفة التنطع والغلو في الدين، وقد امثل هذا الأدب خير القرون صحابة رسول الله ﷺ. قال البخاري رحمه الله: (وَأَفْطَرَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ حِينَ غَابَ قُرْصُ الشَّمْسِ) <sup>(٤)</sup>. وقال عمرو

(١) تقدم تحريجه .

(٢) صحيح البخاري: ٢/٦٩١، صحيح مسلم: ٢/٧٧٢.

(٣) رواه ابن أبي شيبة: ٢/٢٧٨ رقم ٨٩٥٧.

(٤) صحيح البخاري: ٢/٦٩١، وانظر: فتح الباري (٤/١٩٦).



بن ميمون الأودي رحمه الله: (كان أصحاب محمد ﷺ أسرع الناس إبطاراً وأبطأهم سحوراً) <sup>(١)</sup>.

ومن أفطر يظن أن الشمس قد غربت وهي لم تغرب فصومه صحيح؛ لأنه معذور، ويمسك عن الأكل حتى تغرب؛ لأنه كمن أكل ناسياً، والناسي والمخطئ حكمهما واحد، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة: البقرة، آية: ٢٨٦].

وإذا كان الناسي لا قضاء عليه، فالمخطئ كذلك، وقد ورد عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - قالت: (أفطرنا على عهد النبي ﷺ يوم غيمٍ ثم طلعت الشمس) <sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*

(١) أخرجه عبد الرازق في المصنف (٢٢٦/٤) قال في فتح الباري (١٩٩/٤): "إسناده صحيح".

(٢) صحيح البخاري: ٦٩٢/٢.

## المبحث الثالث الفطر على رطبات

يفطر الصائم على رطبات، فإن لم يكن فعلى تمرات، فإن لم يكن فعلى ماء، لما رواه أنس - رضي الله عنه - قال: (كان رسول الله ﷺ يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فَعَلَى تَمْرَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ) <sup>(١)</sup>.

وعن سلمان بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: (إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى الْمَاءِ فَإِنَّهُ طَهُورٌ) <sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم: «هذا من كمال شفقتة ﷺ على أمته ونصحهم، فإن إعطاء الطبيعة الشيء الحلو مع خلو المعدة أدعى إلى قبوله وانتفاع القوى به، لا سيما القوة الباصرة، فإنها تقوى به، وأما الماء فإن الكبد يحصل لها بالصوم نوع يبس، فإذا رطبت بالماء كمل انتفاعها بالغذاء بعده، هذا مع ما في التمر والماء من الخاصية التي لها تأثير في صلاح القلب لا يعلمها إلا أطباء القلوب» <sup>(٣)</sup>.

والاقتصار على الرطب والماء عند الإفطار له فائدة طيبة، وهي ورود الغذاء إلى المعدة بالتدرج، حتى تتهيأ للطعام بعد ذلك، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "وفي فطر النبي ﷺ من الصوم عليه، أو على التمر أو الماء تديير لطيف جداً؛ فإن الصوم يخلي المعدة من الغذاء، فلا تجد الكبد فيها ما تجذبه وترسله إلى القوى والأعضاء، والحلو أسرع شيء وصولاً إلى الكبد وأحبّه إليها، ولا سيما إن كان

(١) سنن أبي داود: ٣٠٦/٢ واللفظ له، سنن الترمذي: ٧٩/٣ بنحوه، وحسنه الألباني (صحيح الجامع، رقم: ٤٩٩٥).

(٢) سنن أبي داود: ٣٠٥/٢، سنن الترمذي: ٤٦/٣، سنن ابن ماجه: ٥٤٢/١ بلفظه، وضعفه الألباني (ضعيف الجامع، رقم: ٣٨٩).

(٣) زاد المعاد: ٥٠/٢.

رطباً، فيشتد قبولها له، فتنتفع به هي والقوى، فإن لم يكن فالتمر لحلاوته وتغذيته، فإن لم يكن فحسوات من الماء تطفئ لهيب المعدة وحرارة الصوم، فتنبته بعده للطعام، وتأخذه بشهوة" (١).

ولا تنبغي المبالغة في تقديم صنوف الأطعمة وأنواع الأشربة عند الإفطار، فإن هذا خلاف سنة المصطفى ﷺ، وهو يشغل عن المبادرة لحضور صلاة المغرب مع الجماعة، بل قد يفوتها معهم بالكلية؛ لقلّة وقت الانتظار فيها، قال ابن العربي: "كان النبي ﷺ يفطر قبل أن يصلي على شيء يسير لا يشغله عن الصلاة، وفيه ثلاث فوائد: تعجيل الإفطار، وتفريغ البال للصلاة، وفصل ما بين زمان العبادة والعبادة وبينهما في أنفسهما" (٢).

ولا ينبغي للصائم الإسراف في طعام العشاء في رمضان والإكثار من الأكل، فإن رمضان فرصة موسم طاعة وعبادة لا موسم للموائد وتنويع المأكولات، وإن رمضان فرصة يتعلم فيها الصائم الاقتصاد وتدبير المعيشة، وفي تنويع الأطعمة والإكثار منها إشغال لربّات البيوت عن تلاوة القرآن وذكر الله تعالى، حتى صار رمضان عند كثير من الأسر موسماً لتنويع المأكولات والمشروبات، وكأنهم يريدون أن يعوّضوا ما فاتهم في نهار رمضان، ولا أدلّ على ذلك من استعداد الأسواق قبيل ذلك بكل ما لذّ وطاب مما يشبع الرغبات والشهوات، حتى صار رمضان شهر التخمّة والبطنة والتنعم بعد أن كان شهر الصبر والعبادة والجهد.

أخي الصائم: إن الاقتصاد في وجبة العشاء، يجعل الصائم في حالة صحية يستطيع معها أن يقوم لصلاة التراويح والتهجد في الليل بكل نشاط ورغبة، وهذا

(١) زاد المعاد: ٣١٣/٤.

(٢) عارضة الأحوذى (٣/٢١٥-٢١٦).

أمر ملحوظ؛ فإنه إذا ملأ بطنه بالطعام احتاج إلى الشراب، ولا سيما في الصيف، فيرتخي جسده، وتتخدر أعضاؤه، فيكسل عن العبادة، ولا ينتفع بنفسه في باقي ليلته، فعلى الصائم أن يأخذ بقول المصطفى ﷺ: (مَا مِنْ وَعَاءٍ مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أَكَلَاتُ يُقْمَنَ صُلْبُهُ فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَنُلْتُ لِطَعَامِهِ وَنُلْتُ لِشَرَابِهِ وَنُلْتُ لِنَفْسِهِ) (١).

وإذا كان الصائم قد ترك في نهار الصيام جميع مألوفاته التي اعتادها احتساباً لله تعالى ووفاء بأمانة الصوم الذي أضاف الله إليه؛ مما يدل على قوة إرادته وصدق عزيمته، فحريّ به أن لا يفعل عند الإفطار ما يخل بهذه القوة أو يوهنها، فيفطر على ما حرم الله، فيهدم في ليله ما بناه في نهاره، فيضيع الحزم، ويبرهن على ضعف إرادته، وقلة صبره.

ومن ابتلى بشرب الدخان أو غيره من العادات الضارة فعليه أن يستغل مدرسة شهر الصوم، فيصوم عنه في ليله كما صام عنه في نهاره، ليهجره إلى غير رجعة، عليه أن يواصل عزيمته وقوة إرادته بالليل، كما كانت بالنهار، ويهجر المجالس السيئة، ويعتاض عنها بمجالس أهل الخير والصلاح، فهي عون له على ذلك بعد إعانة الله وتوفيقه.

\*\*\*\*

(١) سنن الترمذي: ٤/٥٩٠، وقال: حديث حسن صحيح، مسند أحمد بن حنبل: ٤/١٣٢، صحيح ابن حبان: ٢/٤٤٩، سنن ابن ماجه: ٢/١١١١، المستدرک علی الصحیحین: ٤/١٢١، الإرواء: ٧/٤١.

## المبحث الرابع قيام الليل

قيام الليل في رمضان وهو يسمى أيضاً بصلاة التراويح، وهي سنة مؤكدة، وأول مَنْ سنّها الرسول ﷺ، قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: كان رسول الله ﷺ يُرَغَّبُ في قيام رمضان، من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة، فيقول: (مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) (١).

وقيام رمضان هو قيامه بالتهجد، بالصلاة ذات الخشوع، وذات الدعاء في هذه الليالي الشريفة.

وقد حث عليه الصلاة والسلام أمته على هذه الصلاة، فكانوا يتقربون بها، تارة يصلونها وحدهم، وتارة يصلونها معه ﷺ، فتوفي وهم يصلون أوزاعاً، يصلي في المسجد جماعة، أو ثلاث جماعات، أو أربع، وقد صلى بهم صلى الله عليه وسلم في حياته ثلاث ليال متوالية جماعة، يصلي بهم نصف الليل أو ثلثه، أو نحو ذلك.

لكنه وبعد أن رأى حرص الصحابة على قيام الليل معه ومداومتهم على ذلك وازدحام المسجد بهم خشي أن يُفرض عليهم ذلك القيام والاجتماع، فيعجزون فلا يحافظون ويستمرون عليه، فأمرهم أن يصلوا فرادى في أماكنهم.

ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمعهم على هذه الصلاة التي تسمى صلاة التراويح، فجمعهم عليها لما أمن أنها لن تفرض عليهم؛ لأنه قد انقطع الوحي بوفاة النبي ﷺ (٢).

(١) صحيح البخاري: ٢٢/١، صحيح مسلم: ٥٢٣/١ واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري: ٧٠٧/٢.

وقالت عائشة - رضي الله عنها - إن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد؛ فصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا؛ فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: (أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخَفْ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ، لَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ فَتَعَجَزُوا عَنْهَا) (١).

والأفضل في عدد ركعاتها: إحدى عشرة ركعة، وقيل: ثلاث عشرة (٢)، وبعض العلماء لم يحددها بعدد، مستدلين بحديث الرسول ﷺ: (صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى) (٣).

والأفضل أن تؤدى في جماعة، كما هو فعل النبي ﷺ، وقال أحمد: كان جابر وعلي وعبد الله يصلونها في جماعة (٤).

قال أبو داود: «سمعت أحمد يقول: يعجبني أن يصلي مع الإمام ويوتر معه، قال النبي ﷺ: (إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ بِقِيَّةِ لَيْلَتِهِ) (٥)، قال: وكان أحمد يقوم مع الناس ويوتر معهم، قال الأثرم: وأخبرني الذي كان يؤمُّه في شهر رمضان أنه كان يصلي معهم التراويح كلها والوتر، قال: وينتظرنى

(١) صحيح البخاري: ٣١٣/١، صحيح مسلم: ٥٢٤/١.

(٢) انظر المغني (٤٥٦/١)، وسبل السلام (١١-١٠/٢).

(٣) صحيح البخاري: ١٧٩/١، صحيح مسلم: ٥١٦/١.

(٤) انظر المغني (٤٥٦/١).

(٥) سنن أبي داود: ٥٠/٢، سنن الترمذي: ١٧١/٣، سنن النسائي: ٨٣/٣، سنن ابن ماجه: ٤٢٠/١.

بعد ذلك حتى أقوم ثم يقوم، كأنه يذهب إلى حديث أبي ذرّ: (إِذَا قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ بِقِيَّةٍ لَيْلَتِهِ) <sup>(١)</sup>.

وكانت سنة السلف رحمهم الله أنهم يصلون هذه الصلاة في نصف الليل، أو في ثلثه؛ أي ثلاث ساعات، كلها في تهجد، فإذا كان الليل طويلاً صلوا أربع ساعات أو أكثر، وإن كان قصيراً صلوا نحو ثلاث ساعات كلها في التراويح، هكذا كانت صلاتهم، فإما أن يقللوا عدد الركعات ويطيلوا القيام والركوع والسجود، وإما أن يزيدوا في عدد الركعات ويخففوا الأركان، ويقللوا القراءة، حتى تكون بمقدار هذه الساعات الثلاث أو الأربع أو نحوها. وقد روى مالك <sup>(٢)</sup> وغيره أنهم أحياناً يحيون الليل فلا ينصرفون إلا قرب الفجر بحيث يستحثون الخدم بإحضار السحور.

ولكن في هذه الأزمنة، نشاهد أن الناس قد استولى عليهم الكسل وشغلتهم أمور دنياهم، فصاروا ينظرون لمن يصلي ربيع هذه الصلاة أو ثلثها، فيعدونه مكثراً، بل يعدون القراءة المتوسطة طويلة! وإذا قرأ إمامهم عليهم سورة فأطالها، يقول قائلهم: أطلت فخفف!!

ولا شك أن الذين يملئون من هذه الصلاة هم الكسالى الذين لا يرغبون في هذه العبادة، ذلك أن من فضل هذه الصلاة أن يجعلها المؤمن سرور قلبه، وراحة بدنه، وينبغي أن يجعلها المؤمن قرّة عينه كما كانت قرّة عين النبي صلى الله عليه وسلم، وينبغي للمسلم أن يجعل جنس الصلاة راحة بدنه، وشفاءه ودواءه، وأن يستعين بها على حاجاته، أليس الله تعالى يقول: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [سورة: البقرة، آية: ٤٥]!؟

(١) المغني: ١/٤٥٧، والحديث سبق تخريجه.

(٢) مالك في موطأ: ١/١١٦ رقم ٢٥٤.

وورد أن النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة<sup>(١)</sup>، فإذا دخل في الصلاة نسي همومه وغمومه، وخلي بربه، وسرّ قلبه بأنسه بالله تعالى.

فهذه هي الحكمة من إطالة الصلاة ومن الركون إليها، فالذين يستثقلون هذه الصلاة إذا صلى أحدهم في ساعة، أو نحوها أو أقل من ذلك عدّوا ذلك إطالة وتنفيراً هم الكسالى مع أن هذا نقص للصلاة وعدم طمأنينة، وإخراج لها عن ماهيتها؛ فإننا مأمورون في الصلاة أن نقرأ ونرتل، ومأمورون أن لا نقص في رمضان عن ختم القرآن مرة أو مرتين.

ولقد كان السلف رحمهم الله يقرؤون، ويزيدون في القراءة؛ فكانوا يقرؤون سورة البقرة في ثماني ركعات -وهي جزآن ونصف الجزء تقريباً- ونحن نرى أن بعض أهل زماننا يصلي سورة البقرة في ثمانين ركعة!!  
فأين الفرق بين أولئك، وهؤلاء!!؟

ونرى آخرين يقتصرون على نصف القرآن أو ثلثيه!! ولا شك أن هذا هو الكسل بعينه!

ونقول لمن يرغب في الاقتداء بنبيه ﷺ، وأن يكون حقاً من أتباعه: عليه أن يأتي بهذه الصلاة بطمأنينة -سواء رغب المصلون أم لم يرغبوا- فيبين لهم أن هذه هي الصلاة التي تجزئ في القيام وهي التي حث عليها الرسول ﷺ أن تكون في خشوع واطمئنان، وهي ما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة وتابعيهم رضي الله عنهم أجمعين.

فالقراءة المعتادة أن يختم القرآن في ليلة سبع و عشرين، أو نحوها، وقد أدركت أئمة يختمون في رمضان ثلاث ختمات، حيث إنهم مع أناس يحبون سماع

(١) سنن أبي داود: ٣٥/٢، مسند أحمد بن حنبل: ٣٨٨/٥ .



القرآن، ويحبون الخشوع في الصلاة، وإطالتها، بينما هناك أناس لا يقرؤون إلا قدرًا قليلاً من القرآن.

فإذا كنت إماماً لأناس فعليك أن تصلي بهم الصلاة النبوية، التي تكون بها مدركاً للحكمة من هذه العبادة، محصلاً للثواب والأجر الذي أعده الله عز وجل لمن قام الليل وتهجد، ورتل القرآن ترتيلاً.

فاجتهد -أخي الصائم- في قيام الليل في رمضان وفي غيره، وإن كان من عادتك قيام الليل (أي التهجد) طوال السنة فإنه لا ينبغي لك أن تقطع هذه العادة؛ لأن الصلاة آخر الليل مشهودة، كما ذكر ذلك النبي ﷺ.

فإذا صليت أول الليل ما تيسر لك من هذه التراويح فحافظ أيضاً على صلاة آخر الليل بما تستطيعه، قلّ أو أكثر، وبهذا تكون محافظاً على العبادات.

\*\*\*\*

## المبحث الخامس الجلوس في المسجد حتى طلوع الشمس

كان النبي ﷺ إذا صلى الغداة - أي الفجر - جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس<sup>(١)</sup>.

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: (مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ)، قال: قال رسول الله ﷺ: (تَأْمَّةٌ تَأْمَّةٌ تَأْمَّةٌ)<sup>(٢)</sup>، هذا في كل الأيام فكيف في رمضان؟

ومن أعظم فوائد الجلوس في المسجد حتى طلوع الشمس الاعانة على اداء صلاة الضحى فيا أخي! استعن على تحصيل هذا الثواب الجزيل بقيام الليل، والاقتراء بالصالحين، ومجاهدة النفس في ذات الله، وعلو الهمة لبلوغ منازل الجنة<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*\*

(١) صحيح مسلم: ١/٤٦٤.

(٢) سنن الترمذي: ٢/٤٨١، وحسنه الألباني (المشكاة، رقم: ٩٧١).

(٣) أربعون درسًا لمن أدرك رمضان، لعبد الملك القاسم (ص ٢٢).

## المبحث السادس حفظ الجوارح عن الآثام

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْحَبْ، فَإِنَّ سَابَّهُ أَحَدًا أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيُقِلْ: إِنِّي أَمْرٌ صَائِمٌ) <sup>(١)</sup>.

فينبغي للصائم: كف الجوارح عن الآثام، وحفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء، والاشتغال بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن الكريم.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ) <sup>(٢)</sup>.

فمن معاني الصيام: الامتناع عن الأمور الحسية: كالطعام والشراب والجماع، والامتناع عن الأمور المعنوية: كالغيبة والكذب والنميمة وفحش القول وسوء الخلق.

وما أجمل ما قاله القرطبي - رحمه الله - في تفسير الصيام حيث يقول: «الإمساك عن المفطرات مع اقتران النية به من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وتماهه وكما له باجتناب المحظورات وعدم الوقوع في المحرمات، لقوله عليه السلام: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ) <sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري: ٢/٦٧٠، صحيح مسلم: ٢/٨٠٧.

(٢) تقدم تخرجه.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٧٣)، والحديث سبق تخرجه.

أخي الصائم! ترفع عن قول الزور واللغو وهو الحديث، وكن داخلًا في الوصف الجميل الذي أشار الله إليه بقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [سورة: الفرقان، آية: ٦٣].

وفي وصف عباد الرحمن يقول الله تعالى أيضًا في سورة الفرقان: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [سورة: الفرقان، آية: ٧٢]، فمن أوصاف عباد الرحمن أنهم إذا مروا في حياتهم بأمر من أمور اللغو قولًا كان أو عملاً أعرضوا عنه، وكرّموا أنفسهم عن النزول إلى مستواه، لأن همتهم عليّة، ولم يسمحوا لأنفسهم بأن تضيّع في سبيله شيئًا من أوقات عمرهم، فزمنهم عندهم ثمين، وليس فيه محلّ للغو ولا للهو.

أما اللغو فهو كل ما يجب أن يلغى وي طرح ممّا لا خير فيه، ويقول أهل اللغة: اللغو: السّقط وما لا يعتدّ به من كلام وغيره، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع.

فالاشتغال باللغو اشتغال بما لا يعني، وعباد الرحمن عقلاء أهل حصافة وبصر نافذ، لذلك فهم يكرّمون أنفسهم وأوقاتهم عن الاشتغال بما لا ينفع ولا فائدة فيه لهم في آخرة ولا في دنيا مباحة.

أخي الصائم! إياك والوقوع في أعراض الناس، فإن في ذلك الهلاك وذهاب الحسنات وزيادة التبعات ونقص الإيمان والمروءة والاعتبار والنزول من أعالي الأخلاق إلى أسافلها، ومن ألقى نظرة صحيحة على المبتلى بالوقوع بأعراض الناس أخذته العجب الكثير، فإن الإنسان لا يعاني أمرًا من الأمور إلا لما يرى له من المنفعة الدينية والدنيوية أو المروءة الإنسانية أو اللذة الحقيقية، وهذا فاقد لهذه الأمور كلها، فالمضرة الدينية متحتمة لا محالة، وفيها تلك المضار المنبه عليها، وأما المصلحة الدنيوية، فأى مصلحة يصيبها من ذم من يبغضه والوقوع فيه؟! بل هذا

يعبر عن نقصه وضعف عقله وحمقه، فإن العقل إنما يدعو إلى الاشتغال بما يحصل به نفع ديني أو دنيوي، وهذا ضرر فيهما، وهو حمق، إذ هو يذهب إلى أعز شيء عنده وأعلى مدخر - وهو الحسنات - فيهدبها إلى أبغض الناس إليه، وحمق من أخرى، فإنه يخيل له أنه يأخذ بثأره من عدوه ويتنصر ممن يبغضه بكلامه فيه وقدحه فيه، وهو في الحقيقة انتصار العاجزين وسلاح الجبناء، فإنه أكبر معبر عن نقص القادح وعجزه وعجبه بنفسه، فمن عنده مسكة من عقل وشيء من حزم يربأ بنفسه من هذا المرتع الوخيم، والمورد الذميم، مع ما يجلب عليه من تبعات اللسان وعثراته ورجوع ضرره عليه، فإنه معين لصاحبه عليه، فكم من باغ على غيره بالكلام أو غيره صرعه بغيه وعاجلته جرأته؟! وكم من حافر لغيره حفرة هلاك وقع هو فيها؟! فيا عجباً للمبتلى بهذا الأمر وهو يرى بعض هذه المضار ويعلم هو وغيره أنه أكبر خزي عليه وعار!! و﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾ [سورة: الأنعام، آية: ١٠٨]، فيا من عوفي من هذا البلاء الفتاك! احمد ربك على هذه النعمة العظمى، ولتهنك العافية والسلامة والراحة والغبطة والخير العاجل والآجل<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*\*

(١) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد، عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ص ١٩٧-١٩٨).

## المبحث السابع

## حسن المعاملة

حسن المعاملة مع الأهل والأزواج والخدم، وعدم إزعاج الزوجة وتكليفها بما لا تطيق بصنوف الأطعمة والأشربة وإشغالها عن جوهر العبادة والقراءة والذكر في هذا الشهر الفضيل أمر مهم ينبغي للصائم التحلي به، فالزوج مطالب بحسن العشرة مع زوجته؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة: النساء، آية: ١٩] هذا من جهة، ومن جهة أخرى لما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: (تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ)، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: (الْفَمُّ وَالْفَرْجُ) <sup>(١)</sup>.

ولما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا) <sup>(٢)</sup>، بل إن صاحب الخلق الحسن ليدرك درجة الصائم القائم، لما رواه أبو داود من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ) <sup>(٣)</sup>.

أخي الصائم! عامل أهلك معاملة حسنة كلها رفق وهدوء، كلها لطف وسعة صدر، وغض الطرف عن الأخطاء والهفوات التي قل أن يسلم منها أحدٌ من البشر، ولا تكن شديد المحاسبة، كثير المعاتبة فيقل محبوبك، ويكثر مبغضوك

(١) سنن الترمذي: ٣٦٣/٤، وقال: «هذا حديث صحيح غريب»، سنن ابن ماجه: ١٤١٨/٢، وحسنه الألباني (السلسلة الصحيحة، رقم: ٩٧٧).

(٢) سنن الترمذي: ٤٦٦/٣، سنن أبي داود: ٢٢٠/٤، وصححه الألباني (صحيح الجامع، رقم: ١٢٣٢).

(٣) سنن أبي داود: ٢٥٢/٤، وصححه الألباني (المشكاة، رقم: ٥٠٨٢).

وشانتوك، وتذكر دائماً قول المصطفى ﷺ: (الْمَرْأَةُ كَالضَّلْعِ إِنْ أَقْمَتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنْ اسْتَمْتَعَتْ بِهَا اسْتَمْتَعَتْ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ) (١).

أخي الصائم: ربّ أهلك في هذا الشهر على العبادة والاستقامة، فشهر الصوم مدرسة يتربى فيها العباد.

هذا بالنسبة للأهل والزوجة، أما الخدم والعمال، فاتق الله فيهم وراعهم حقّ الرعاية وارعهم حقّ الرحمة، واحذر من ظلمهم وتأخير حقوقهم ورواتبهم، وتذكر حديث الرسول ﷺ: (أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجْفَأَ عَرْقُهُ) (٢).

\*\*\*\*

(١) صحيح البخاري: ١٩٨٧/٥، صحيح مسلم: ١٠٩٠/٢.

(٢) سنن ابن ماجه: ٨١٧/٢، وحسنه الألباني (صحيح الجامع، رقم: ١٠٥٥).

## المبحث الثامن الإكثار من البر والصدقة

حث الإسلام المسلمين على الإكثار من البذل والصدقة في نصوص كثيرة، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً...﴾ [سورة: البقرة، آية: ٢٤٥].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ) (١).

والتأمل في سيرة الرسول ﷺ يجد أن الجود كان من أكثر سجاياه بروزاً في حياته، وأنه ما لبث ملازماً له ولم ينفك عنه لحظة، إذ ما كان ﷺ يدخر شيئاً عنده من خير عن الناس، وما سئل ﷺ شيئاً قط فقال: لا، إلا أن جوده ﷺ كان في رمضان أجلى وأكثر وضوحاً، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ؛ فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ) (٢).

(١) صحيح البخاري: ٥١١/٢، صحيح مسلم: ٧٠٢/٢.

(٢) تقدم تخرجه، وإنما كان جوده في رمضان خاصة مضاعفاً لأسباب ثلاثة:

١- لمناسبة رمضان فإنه شهر تضاعف فيه الحسنات.

٢- ولكثرة قراءة القرآن الكريم في رمضان، والقرآن فيه آيات كثيرة تحث على الإنفاق في سبيل الله والتقليل من الدنيا والزهد فيها والإقبال على الآخرة، فيكون في ذلك تحريك لقلب القارئ نحو الإنفاق في سبيل الله، فحري بكل من يقرأ القرآن أن يكثر من الصدقة في سبيل الله.

٣- ولأنه ﷺ كان يلقي جبريل في كل ليلة من رمضان، ولقاؤه إياه من مجالسة الصالحين، ومجالسة الصالحين تحث الإنسان على الطاعات فلذلك كان النبي ﷺ يكثر من الصدقة في رمضان.



وهذا يعني أن من أهم الخلال التي لا بد للصائم من التحلي بها: الكرم والجود بكافة أنواعه: وقتاً وجاهاً ومالاً ولطافة..؛ لأنه ما تمكن من كسب قلوب الأمة وقيادتها بقابلية واختيار عبر تاريخها الطويل جبان أو بخيل.

واعلم أخي الصائم! أن الصدقة في رمضان إعانة على أداء فريضة الصوم، وفي أوقات الحاجات أفضل منها في غيرها لقوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [سورة: البلد، آية: ١٤-١٦].

والصدقة في كل زمان فاضل كالعشر، أفضل منها في غيرها لحديث ابن عباس -رضي الله عنهما-: (مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ) يعني أيام العشر، قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: (وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ) <sup>(١)</sup>.

والصدقة في الحرمين أفضل منها في غيرهما من الأماكن لتضاعف الحسنات لشرف الزمان والمكان.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: (صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيهَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) <sup>(٢)</sup>، وفي رواية لجابر -رضي الله عنه- زيادة: (وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيهَا سِوَاهُ) <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>.

وإن مما ينبغي لنا جميعاً أن نتنبه له أن للصدقة أشكالا كثيرة، منها: إطعام الطعام، وتفتير الصائمين، وقد كان السلف الصالح يحرصون كثيرا على إطعام

(١) صحيح البخاري: ١/٣٢٩، سنن أبي داود: ٢/٣٢٠.

(٢) صحيح البخاري: ١/٣٩٨، صحيح مسلم: ٢/١٠١٢.

(٣) سنن ابن ماجه: ١/٤٥١، وصححه الألباني: الإرواء: رقم: ١٤٦.

(٤) انظر: المناهل الحسان في دروس رمضان، عبد العزيز السلیمان، (ص: ٣٣٧).

الطعام سواء أكان إشباع جائع أو تفتير صائم أو إطعام أخٍ صالح، فلا يشترط في المُطعم أن يكون فقيراً.

وتذكر أخي الصائم: أن الجمع بين الصيام والإطعام من موجبات الجنان، فعن علي - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ عُرْفًا تَرَى ظُهُورَهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونِهَا مِنْ ظُهُورِهَا)، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطَعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى لَهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ) (١).

واعلم أن للصدقة ثمرات وفوائد، أذكر شيئاً منها لعلها تكون حافزاً لنا على البذل والعطاء:

١ - امتثال أمر الله تعالى، ورسوله ﷺ.

٢ - أن الصدقة برهان على إيمان صاحبها كما في الحديث: (وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ) (٢).

٣ - شكر نعمة الله المتفضل على المخرج بما أعطاه من المال.

٤ - السلامة من وبال المال في الآخرة.

٥ - التطهير من دنس الذنوب والأخلاق الرذيلة، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [سورة: التوبة، آية: ١٠٣].

٦ - أنها سببٌ لدفع البلاء والأسقام.

٧ - أنها سبب جلب المودة لأنها إحسان، والنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها.

(١) سنن الترمذي: ٤/ ٣٥٤، وحسنه الألباني (المشكاة، رقم: ٢٣٣٥).

(٢) صحيح مسلم: ١/ ٢٠٣.

٨- أنها تطفئ غضب الرب، لما رواه أنس -رضي الله عنه- مرفوعاً: (إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ عَنِ مِيتَةِ السُّوءِ) (١).

٩- أنها تدفع عن ميتة السوء كما في الحديث السابق: (إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ عَنِ مِيتَةِ السُّوءِ).

١٠- أن المتصدق يكون في ظل الله يوم القيامة، كما في الحديث: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ)، وذكر منهم: (وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِئْأَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ) (٢)، وفي الحديث الآخر: (كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ -أَوْ قَالَ:- يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ) (٣).

١١- الفوز بالأجر من الله والأمن مما يخاف منه ونفي الحزن عنهم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ٢٧٤].

١٢- أنها سبب لمحبة الله، لأن المتصدق محسن على المتصدق عليه والله يحب المحسنين.

١٣- السلامة من كفر نعمة الله.

(١) سنن الترمذي: ٥٢/٣، وضعفه الألباني (ضعيف الجامع، رقم: ١٤٨٩).

(٢) صحيح البخاري: ٢٤٩٦/٦، صحيح مسلم: ٧١٥/٢.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ١٤٧/٤، صحيح ابن خزيمة: ٩٤/٤، صحيح ابن حبان: ١٠٤/٨، المستدرک

على الصحيحين: ٥٧٦/١.

١٤ - أنها سبب للرزق والنصر كما في الحديث: (وَكثْرَةُ الصَّدَقَةِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ تُرْزُقُوا وَتُنَصِّرُوا وَتُجَبَّرُوا) (١).

١٥ - أنها تطفئ عن أهلها حرَّ القبور، كما في الحديث: (إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ) (٢).

١٦ - أنها تزيد في العمر، كما في الحديث: (إِنَّ صَدَقَةَ الْمُسْلِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ) (٣).

١٧ - أن الله تعالى يعين المتصدق على الطاعة ويهيء له طريق السداد والرشاد ويذل له سبل السعادة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [سورة: الليل، آية: ٥-٧].

١٨ - أن الصدقة يذهب الله بها الكبر والفخر، لحديث: (إِنَّ صَدَقَةَ الْمُسْلِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ، وَتَمْنَعُ مِئْتَةَ السُّوءِ وَيَذْهَبُ بِهَا الْكِبْرُ وَالْفَخْرُ) (٤).

وتذكر أخي الصائم: أن صدقة السر أفضل من صدقة العلانية، لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [سورة: البقرة، آية: ٢٧١].

(١) سنن ابن ماجه: ١/٣٤٣، وضعفه الألباني (الإرواء، رقم: ٥٩١).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (رقم: ٧٨٧، ٧٨٨)، وضعفه الألباني (ضعيف الجامع، رقم: ١٤٨٨).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (رقم: ٣١)، وضعفه الألباني (ضعيف الترغيب والترهيب، رقم: ٥٢٦).

(٤) تقدم تخريجه.

ومن النصوص: ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ)، وذكر منهم: (وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ) (١) (٢).

واعلم - يا عبد الله - أن صدقة التطوع بطيب نفس أفضل منها بدونه، لما في حديث عبد الله بن معاوية الغاضري قال: قال رسول الله ﷺ: (ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيْمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَأَنَّه لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ...) (٣).

والعاقل من يسابق في ميدان الخيرات بما يقدمه من الصلة والإحسان لإخوانه الفقراء الذين أناخ الفقر عليهم وعضهم البؤس بنابه، وأوجعهم بكلايه الذين لا مورد لهم لا قليل ولا كثير، الذين لو رأيتهم لظننتهم من الأغنياء وأهل الثروة والمال، والله أعلم بما يقاسونه من الديون، لما تحت أيديهم من الصغار والكبار وما يقاسون من ألم الجوع والفقر والشدة والعسر لكن يمنعهم الحياء وعزة النفس أن يمدوا أيديهم للسؤال، وأن يطلبوا الرزق إلا من الله الكبير المتعال الرزاق، وهؤلاء هم الذين ينبغي الاعتناء بهم والبحث عن أحوالهم وذلك عن طريق جيرانهم وأقربائهم حتى تقع الصدقة موقعها، وقد ورد في القرآن وصفهم، قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [سورة: البقرة، آية: ٢٧٣].

(١) تقدم تحريجه.

(٢) انظر: المناهل الحسان في دروس رمضان، عبد العزيز السلطان، (ص: ٣٢٨-٣٣٠ بتصرف).

(٣) سنن أبي داود: ١٠٣/٢، وقال الحافظ ابن حجر في التقریب: «عبد الله بن معاوية الغاضري، صحابي، له حديث واحد في أبي داود» (انظر التقریب: ٣٦٣١)، وصححه الألباني (صحيح الجامع، رقم: ٣٠٤١).

وأوصى بهم النبي ﷺ، ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (لَيْسَ الْمُسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنَّ الْمُسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنَى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ) <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*

(١) صحيح البخاري: ٥٣٨/٢، صحيح مسلم: ٧١٩/٢.

(٢) انظر: المناهل الحسان في دروس رمضان، عبد العزيز السليمان، (ص ٣٣٣-٣٣٤).

## المبحث التاسع

### السواك

نما ينبغي للمسلم الصائم التحلي به هو تعاهد السواك وعدم التساهل به، فالسواك من السنن التي كان يحافظ الرسول ﷺ عليها، ويحث أمته عليها، بل ويأمرها بالمحافظة عليها، وكان ﷺ يستاك إذا قام من نومه، ويبدأ به إذا دخل البيت، وعند الوضوء، وعند الصلاة وفي الحديث الصحيح: (لَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ) (١).

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (السَّوَاكُ مَطَهْرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ) (٢).

وهذا عام يشمل المفطر والصائم، ولم يستثن -ﷺ- مفطراً دون صائم، لما رواه عامر بن ربيعة قال: (رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ مَا لَا أَحْصِي يَتَسَوَّكُ وَهُوَ صَائِمٌ) (٣).

فيجب العمل بالحديث على عمومته حتى يثبت تخصيصه، وليس لهذا العموم مخصّص صحيح، قال ابن العربي: "قال علماءنا: لم يصحّ في سواك الصائم حديث نفيّاً ولا إثباتاً، إلا أن النبي ﷺ حض عليه عند كل وضوء وعند كل صلاة

(١) صحيح البخاري: ٣٠٣/١، صحيح مسلم: ٢٢٠/١.

(٢) سنن النسائي: ١٠/١، ومسنند أحمد بن حنبل: ٤٧/٦، وعلقه البخاري مجزوماً به ٦٨٢/٢، والحديث له شواهد كثيرة عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، انظر: التلخيص الحبير (١/٧٠)، والإرواء (١/١٠٥).

(٣) صحيح البخاري معلقاً: ٦٨٢/٢، سنن أبي داود: ٣٠٧/٢، سنن الترمذي: ١٠٤/٣.

مطلقاً من غير تفریق بين صائم وغيره، وندب يوم الجمعة إلى السواك، ولم يفرق بين صائم وغيره " (١).

(١) عارضة الأحوذی (٢٥٦/٣)، وهذا القول هو الراجح في هذه المسألة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لم يقم على كراهيته دليل شرعي يصلح أن يخصّ عمومات نصوص السواك"، مجموع الفتاوى (٢٦٦/٢٥)، والذين قالوا بکراهة السواك للصائم بعد الزوال استدلووا بحديث علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إِذَا صُمْتُمْ فَاسْتَاكُوا بِالْغَدَاةِ وَلَا تَسْتَاكُوا بِالْعِشِيِّ)، سنن الدارقطني: ٢٠٤/٢، سنن البيهقي: ٢٧٤/٤، من طريق كيسان، عن يزيد بن بلال، عن علي - رضي الله عنه - موقوفاً، ومن طريق كيسان عن عمرو بن عبد الرحمن، عن خباب مرفوعاً، وكذا أخرجه الطبراني في الكبير (٧٨/٤) وأخرجه الدولابي في "الكنى" (٥٢/٢) عن علي موقوفاً، كما استدلووا بحديث أبي هريرة، وفيه: (وَالْخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ). قالوا: إن وجه الدلالة: أن الخلوف - بضم الخاء - هو الرائحة الكريهة التي تكون بالفم عند خلو المعدة من الطعام، وهو لا يظهر في الغالب إلا في آخر النهار، فإذا كان محبوباً لله تعالى ممدوحاً شرعاً؛ لأنه ناشئ عن طاعته فلا ينبغي أن يزال بالسواك. والجواب عن ذلك: أن حديث علي - رضي الله عنه - ضعيف، لأنه من طريق كيسان، وهو أبو عمر القصار، عن يزيد بن بلال عن علي موقوفاً والدارقطني لما رواه في سننه قال: (كيسان أبو عمر ليس بالقوي، ومن بينه وبين علي غير معروف) ومثله قال البيهقي، وقال الحافظ في التلخيص (٧٣/١): "إسناده ضعيف"، وأما حديث الخلوف فالاستدلال به غير مستقيم لثلاثة أوجه: الأول: أن الخلوف ناشئ عن خلو المعدة وبعد عهدتها بالطعام وهذا هو السبب - والله أعلم - في ترتيب الثواب عليه، وهذا السبب لا يزول بالسواك، فالخلوف محبوب عند الله من أجل تأثير رضاه في ترك الشهوة على ما يحبه الإنسان، وليس المحبوب عند الله ترك الوسخ في الفم والأسنان، فليس في الحديث دليل على كراهة السواك، ولا تعرض له.

قلت: وما أحسن ما ورد عن عبد الرحمن بن غنم قال: سألت معاذ بن جبل: أتسوك وأنا صائم؟ قال: نعم. قلت: أي النهار؟ قال: غدوة أو عشية، قلت: إن الناس يكرهونه عشية. ويقولون: إن رسول الله ﷺ قال: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك؟ قال: سبحان الله! لقد أمرهم بالسواك وما كان بالذي يأمرهم أن يتنوا أفواههم عمداً . . . ما في ذلك من الخير من شيء بل فيه شر، قال الحافظ في التلخيص (٢١٤/٢): (رواه الطبراني بإسناد جيد).

الوجه الثاني: أن بعض الصائمين لا يحصل له خلوف أصلاً إما لصفاء معدته، أو لأن معدته لا تهضم الطعام بسرعة، فهل يباح له السواك بعد الزوال لعدم الخلوف؟ والوجه الثالث: أن ربط الحكم بالزوال منتقض؛ لأن الرائحة قد تحصل قبل الزوال؛ لأن سببها خلو المعدة من الطعام، وإذا لم يتسحر الإنسان فقد يخلف قبل الزوال، فهل يقال: إنه لا يستاك قبل الزوال لوجود الخلوف؟



وإذا كان السواك مطهرة للفم مرضاة لله تعالى، فعلى كل مسلم ومسلمة أن يعنى به عند الصلاة وعند تلاوة القرآن، ويستاك عند النافلة كما يستاك عند الفريضة، ليدخل في العبادة على أحسن هيئة وأطيب رائحة، ولاسيما الفم الذي هو طريق القرآن ووسيلة المناجاة، والله أعلم.

فيستحب للمسلم المحافظة على السواك في كل حال مفطرًا كان أم صائمًا، ولا فرق في استعمال السواك للصائم رطبًا كان أم يابسًا، في أول النهار أو آخره.

أخي الصائم! اعلم أن السواك هو الوسيلة الناجعة لتنظيف الفم والأسنان، والمسواك يفوق جميع الوسائل والطرق المستعملة لتنظيف الأسنان، فهو منظف آلي يحتوي على ألياف (سيلولوزية) طبيعية خير من ألياف الفرشاة ويحتوي مواد مطهرة تفوق المواد التي في معجون الأسنان<sup>(١)</sup>.

أخي الصائم! تعاهد نفسك بالسواك في نهار رمضان وليله، ولا سيما عند القيام لصلاة الليل والتهجد، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة، لما رواه حذيفة - رضي الله عنه - قال: (كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك)<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ (كان يصلي بالليل ركعتين ركعتين ثم ينصرف فيستاك)<sup>(٣)</sup>.

قال أبو شامة: «يعني: وكان يتسوك لكل ركعتين، وفي هذا موافقة لما يفعله كثير في صلاة التراويح وغيرها، قال العراقي: مقتضاه أنه لو صلى صلاة ذات

(١) السواك والعناية بالأسنان، للدكتور عبد الله عبد الرزاق السعيد (ص ٢١١-٢١٥).

(٢) صحيح البخاري: ١/٩٦، صحيح مسلم: ١/٢٢٠.

(٣) سنن ابن ماجه: ١/١٠٦، وصححه الألباني (صحيح الجامع، رقم: ٤٩٦١).

تسليّات كالضحى والترابيح يستحب أن يستاك لكل ركعتين، وبه صرح النووي<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ (كان لا يتعازر من الليل ساعة إلا أجرى السواك على فيه)<sup>(٢)</sup>.

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ (كان لا يرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ إلا تسوك)<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ (كان لا ينام إلا والسواك عنده، فإذا استيقظ بدأ بالسواك)<sup>(٤)</sup>.

وعن جابر يرفعه: (كان رسول الله ﷺ يتسوك من الليل مرتين أو ثلاثاً، كلما رقد واستيقظ استاك وتوضأ، وركع ركعتين أو ركعات)<sup>(٥)</sup><sup>(٦)</sup>.

\*\*\*\*

(١) فيض القدير (٥/ ٢٢٤)، وانظر: رهبان الليل، للسيد بن حسين العفاني (١/ ١٩١).

(٢) رواه أبو يعلى (رقم: ٥٦٦١)، والطبراني في الكبير (رقم: ١٣٥٩٨) وحسنه الألباني (صحيح الجامع، رقم: ٤٨٤٢).

(٣) سنن أبي داود: ١٥/١، مقيداً بالسواك قبل الوضوء، مسند أحمد بن حنبل: ٦/ ١٢١ بلفظه، مقيداً بالسواك قبل الوضوء، وحسنه الألباني (صحيح الجامع، رقم: ٤٨٥٣ دون قوله: ولا نهار).

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ٧١١/٢، وقال الألباني: «وهذا إسناد حسن» صحيح أبي داود، رقم: ٥١.

(٥) مسند عبد بن حميد: ٣٣٩/١.

(٦) انظر: رهبان الليل، سيد بن حسين العفاني (١/ ١٨٩-١٩٣).

## المبحث العاشر

## تفطير الصائمين والجدود على الفقراء

لتحصيل الأجر والثواب من الله، ولتتذكر ما رواه زيد بن خالد الجهني عن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلَ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا) (١).

وكان كثير من السلف يواسون من إفطارهم أو يؤثرون به، فهذا ابن عمر - رضي الله عنهما - كان يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين، فإذا منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة، وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه للسائل فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة فيصبح صائماً ولم يأكل شيئاً، وكان يتصدق بالسكر ويقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [سورة: آل عمران، آية: ٩٢] والله يعلم أني أحب السكر (٢).

«واشتهى بعض الصالحين من السلف طعاماً وكان صائماً فوضع بين يديه عند فطوره فسمع سائلاً يقول: مَنْ يقرض المني الوفي الغني؟ فقال: عبده المعدم من الحسنات، فقام وأخذ الصحيفة فخرج بها إليه وبات طاوياً.

وجاء سائلٌ إلى الإمام أحمد فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره ثم طوى وأصبح صائماً.

وكان الحسن البصري يُطعم إخوانه وهو صائماً تطوعاً، ويجلس يروّحهم وهم يأكلون.

(١) سنن الترمذي: ٣/ ١٧١ بلفظه، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، سنن النسائي: ٢/ ٢٥٦ بنحوه،

سنن ابن ماجه: ١/ ٥٥٥ بنحوه، صحيح ابن حبان: ٨/ ٢١٦ بنحوه.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي (١/ ٢٢٦).

وكان ابن المبارك يطعم إخوانه في السفر الألوان من الحلواء وغيرها وهو صائمٌ.

سلامٌ على تلك الأرواح، رحمة الله على تلك الأشباح، لم يبق منهم إلا أخبار وآثار، كم بين من يمنع الحق الواجب عليه وبين أهل الإيثار.

لا يَعْرِضُ لِدِكْرِنَا فِي ذِكْرِهِمْ لَيْسَ الصَّحِيحُ إِذَا مَشَى كَالْمَقْعَدِ<sup>(١)</sup>

وتفطير الصائم له طرق متعددة من إطعام الفقير ما يأكل، أو دفع مال يشتري به طعاماً، على أن ذلك غير خاص بالفقير.

وللجود في شهر رمضان شأن عظيم، فقد ثبت أن النبي ﷺ (أَجُودَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَكَانَ أَجُودُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ)<sup>(٢)</sup>، وذلك لشرف وقته ومضاعفة أجره، وإعانة الصائمين والعابدین على طاعتهم، فيستوجب المعين لهم مثل أجورهم.

والجود سعة العطاء وكثرته، ويدخل فيه الصدقة وجميع أبواب البر والإحسان، ويستفاد من هذا الحديث الحث على الجود في كل وقت، والزيادة في رمضان.

فينبغي للإنسان أن يتأسى بنبيه ﷺ، فيبذل ويتصدق ليواسي الفقراء والمحتاجين، ويتفقد الجيران، ويصل ذوي الأرحام، ويساهم في مشاريع الخير.

ولعل مما يحرك داعي الإنفاق أن يتذكر الإنسان بالصوم نعم الله عليه، والنعمة لا تعرف إلا بفقدانها، فيشكر نعمة الله عليه حيث يسر له الحصول على ما يشتهي مما أباح الله له، ويتذكر إخوانه الفقراء الذين لا يتيسر لهم ما يحتاجون، فيجود عليهم بالصدقة والإحسان.

(١) لطائف المعارف، لابن رجب (ص: ١٨٣).

(٢) صحيح البخاري: ٦٧٢ / ٢، صحيح مسلم: ٤ / ١٨٠٣.

والجمع بين الصيام وإطعام الطعام أبلغ في تكفير الخطايا واتقاء جهنم، إذا أضيف إلى ذلك قيام الليل، قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: (أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ) ثُمَّ قَرَأَ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حتى بَلَغَ ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة: السجدة، آية: ١٦] (١).

وقد كان السلف الصالح من هذه الأمة يحرصون على إطعام الطعام وتفطير الصائمين، ويقدمون ذلك على كثير من العبادات، سواء كان ذلك بإشباع جائع أو إطعام أخ صالح، ولهم أخبار مشهورة، قال بعض السلف: "لأن أدعو عشرة من أصحابي، فأطعمهم طعاماً يشتهونه أحبُّ إليّ من أن أعتق عشرة من ولد إسماعيل" (٢).

قال الإمام الشافعي رحمه الله: "أحبُّ للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداء بالرسول ﷺ، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحتهم ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم" (٣).

ومن طرق الصدقة في رمضان: إعداد الطعام وتقديمه للأسر الفقيرة، أو الدعوة إليه، ومن رأى العدول عن ذلك إلى ما هو أنفع للفقير من دفع النقود أو الملابس أو الأطعمة التي ينتفع بها الفقير، ويستفيد منها بالتدريج فهذا أولى لأمرين:

الأول: أن مثل هذه الأطعمة المعدة لا تسلم من الإسراف مع ما في إعدادها من المشقة على أهل البيت.

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٢٣٧/٥، سنن الترمذي: ١١/٥، سنن ابن ماجه: ١٣١٤/٢.

(٢) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملاء الأعلى لابن رجب: ص ٧٩.

(٣) معرفة السنن والآثار للبيهقي (٦/٣٨٢).

الثاني: أن الحال تغيّر في زماننا، فلم يعد للطعام وقع كبير في نفوس الفقراء، كما كان في زمن مضى، فيبقى الكثير من هذا الطعام، فيضيع بدون فائدة، وإذا كان المقصود انتفاع المتصدّق ونفع الفقير، فليحرص على أحسن الطرق التي تحقق ذلك، والله لا يضيع أجر المحسنين.

\*\*\*\*

## المبحث الحادي عشر

## نفع المسلمين

قال النبي ﷺ عندما سُئِلَ عن أي الأعمال أفضل؟ فقال: (أَنْ تُدْخَلَ عَلَى أَخِيكَ الْمُؤْمِنِ سُرُورًا، أَوْ تَقْضِيَ عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تُطْعِمَهُ خُبْرًا) (١).

وقال ﷺ: (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِيَ عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأنَّ أَمْسِيَّ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا...) الحديث (٢).

وقال ﷺ: (خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ) (٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال ﷺ: (السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلِ الصَّائِمِ النَّهَارِ) (٤).

وقال ﷺ: (صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالصَّدَقَةُ خَفِيًّا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ زِيَادَةٌ فِي الْعُمْرِ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ...) (٥).

(١) رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ١/ ٩٥، سنن البيهقي في شعب الإيمان: رقم: ٧٦٧٨ بلفظه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم: ١٠٩٦).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (رقم: ٣٦) عن بعض أصحاب النبي ﷺ والطبراني في معاجمه الثلاثة (انظر: المعجم الكبير، رقم: ١٣٦٤٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم: ١٧٦).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (رقم: ٥٧٨٧) مطولاً، والقضاعي في مسنده (رقم: ١٢٩) مطولاً، ١٢٣٤ مختصراً، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٨٩).

(٤) صحيح البخاري: ٥/ ٢٠٤٧ بلفظه، صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٨٦.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط (رقم: ٦٠٨٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم: ٣٧٩٦).

## المبحث الثاني عشر المحافظة على الصلاة والخشوع فيها

أخي الصائم: إن رمضان فرصة للتغيير لمن كان مفراطاً في صلاته، فلا يصلّيها مطلقاً، أو يؤخرها عن وقتها، أو يتخلف عن أدائها جماعة في المسجد؛ ليعلم المتهاون في صلاته، أنه يرتكب خطأ قاتلاً، وتصرفاً مهلكاً، يتوقف عليه مصيره كله، وإن لم يتدارك نفسه، فهو آيل لا محالة إلى نهاية بائسة، وليل مظلم، وعذاب مخيف، جاء في الحديث عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في الرؤيا قال: (أَمَّا الَّذِي يُتْلَعُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنْ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ) (١).

إن التهاون بأمر الصلاة والاستخفاف بها، خطأ فادح بكل المقاييس، وجناية مخزية بكل المعايير، لا ينفع معها ندم ولا اعتذار عند الوقوف بين يدي الواحد القهار، إني أدعوك بكل شفقة وإخلاص، أدعوك والألم يعتصر قلبي خوفاً عليك ورأفة بك، أدعوك في مثل هذا الشهر المبارك إلى إعادة النظر في واقعك، ومجريات حياتك، أدعوك إلى مراجعة نفسك، وتأمل أوضاعك قبل فوات الأوان، إني أنصحك ألا تمددك المظاهر، ولا يغرك ما أنت فيه، من الصحة والعافية والشباب والقوة، فما هي إلا سراب بقية يحسبه الظمآن ماءً، أو كبرق حُلب، سرعان ما يتلاشى، وينطفئ ويزول، فالصحة سيعقبها السقم، والشباب يلاحقه الهرم، والقوة آيلة إلى الضعف، ولكن أكثر الناس لا يفكرون.

أخي الكريم: إن أصحابك الذين غروك بالتهاون بشأن الصلاة، وزينوا لك إضاعتها، إنهم لن يذرفوا عليك سوى دموع التماسيح، يعودون بعدها، إلى



مزاميرهم وطربهم وأنسهم، غير مكترثين بك، ولا بألف من أمثالك، إنهم أنانيو الطباع، ميتو الإحساس، لا همّ لهم إلا أنفسهم وملذاتهم، ولو فقدوا الآباء والأمهات، فضلاً عن الأصحاب والحلان، فاستيقظ يا هذا من غفلتك، وتنبه من نومتك، فالحياة قصيرة وإن طالت، والفرحة ذاهبة وإن دامت، واجعل من رمضان فرصة للمحافظة على هذه الصلاة العظيمة، فقد وفقك الله للصلاة مع الجماعة، وإلف المساجد، وعمارتها بالذكر والتسبيح، فاستعن بالله، واعزم من الآن أن يكون هذا الشهر المبارك بداية للمحافظة على الصلاة، والتبكير إليها، يقول الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [سورة: المعارج، آية: ٢٤].

ويقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [سورة: المعارج، آية: ٣٤-٣٥].

أخي الصائم: إن من أجل ما ينبغي للمسلم أن يتحلى به طوال العام وخصوصاً في رمضان المحافظة على صلاة الجماعة في المسجد، بل إن ذلك من التقوى التي من أجلها شرع الصيام وفرض على الأمة، وإضاعة الصلاة منافٍ للتقوى وموجب للعقوبة قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [سورة: مريم، آية: ٥٩-٦٠].

ومن الصائمين من يتهاون بصلاة الجماعة مع وجوبها عليه، وقد أمر الله بها في كتابه العزيز فقال: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا...﴾ -يعني أتموا صلاتهم- ﴿...فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [سورة: النساء، آية: ١٢٠].

فأمر سبحانه بالصلاة مع الجماعة في حال القتال والخوف، ففي حال الطمأنينة والأمن أولى.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ أعمى فقال: يا رسول الله! إنه ليس لي قائدٌ يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته، فرخص له، فلما ولى دعاه فقال: (هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟)، فقال: نعم، قال: (فَأَجِبْ) <sup>(١)</sup>.

فلم يرخص له النبي ﷺ في ترك الجماعة مع أنه رجلٌ أعمى وليس له قائد، وتارك الجماعة مع إضاعة الواجب قد حرم نفسه خيراً كثيراً من مضاعفة الحسنات، فإن صلاة الجماعة مضاعفة، كما في الصحيحين من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: (صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعِ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً) <sup>(٢)</sup>، وكذلك فوت المصالح الاجتماعية التي تحصل للمسلمين باجتماعهم على الصلاة من غرس المحبة والألفة، وتعليم الجاهل ومساعدة المحتاج وغير ذلك <sup>(٣)</sup>.

وإني - والله العلي العظيم - لأخشى عليك إن تركت الصلاة مع الجماعة أن يؤول بك الأمر إلى ترك الصلاة بالكلية، فتكون والعباد بالله من الكافرين، واستمع لقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعَمُ الْمُسْكِينَ وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [سورة: المدثر، آية: ٤٢ - ٤٦]، وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: (بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ

(١) صحيح مسلم: ١/٤٥٢، سنن أبي داود: ١/١٥١، سنن ابن ماجه: ١/٢٦٠.

(٢) صحيح البخاري: ١/٢٣١، صحيح مسلم: ١/٤٥٠.

(٣) مجالس شهر رمضان، للشيخ ابن عثيمين (ص ٤٤-٤٥).

تَرَكَ الصَّلَاةَ<sup>(١)</sup>، وفي سنن الترمذي من حديث بريدة - رضي الله عنه -: (العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)<sup>(٢)</sup>.

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول: «لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة»<sup>(٣)</sup>، ويكفيك في كفر تارك الصلاة إجماع أصحاب رسول الله ﷺ على ذلك، فهذا عبد الله بن شقيق يقول: (كان أصحابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرَكَهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ)<sup>(٤)</sup>.

فاتق الله وحافظ على الصلاة مع جماعة المسلمين، أنت وأولادك، ولا تنس قول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [سورة: طه، آية: ١٣٢]، وفي السنة: (كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة)<sup>(٥)</sup>.

وما أجمل ما قاله الإمام ابن القيم في ثمرات الصلاة والمحافظة عليها حيث يقول: «والصلاة مجلبة للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، مطردة للأدواء، مقوية للقلب، مبيضة للوجه، مفرحة للنفس، مذهبة للكسل، منشطة للجوارح، ممدة للقوى، شارحة للصدر، مغذية للروح، منورة للقلب، حافظة للنعمة، دافعة للنعمة، جالبة للبركة، مبعدة من الشيطان، مقربة من الرحمن.

وبالجملة فلها تأثير عجيب في حفظ صحة البدن والقلب وقواهما، ودفع المواد الرديئة عنها، وما ابتلي رجلان بعاهة أو داء أو محنة أو بلية إلا كان حظ

(١) صحيح مسلم: ١/٨٨.

(٢) سنن الترمذي: ٥/١٣، سنن النسائي: ١/٢٣١، سنن ابن ماجه: ١/٣٤٢.

(٣) موطأ مالك (رقم: ٨٢)، والطبراني في الأوسط (رقم: ٨١٨١)، والبيهقي في الكبرى (رقم: ١٥٥٩).

(٤) سنن الترمذي: ٥/١٤.

(٥) سنن أبي داود: ٢/٣٥، مسند أحمد بن حنبل: ٥/٣٨٨.

المصلي منها أقل وعاقبته أسلم، وللصلاة تأثير عجيب في دفع شرور الدنيا، ولا سيما إذا أعطيت حقها من التكميل ظاهرًا وباطنًا، فما استدفعت شرور الدنيا والآخرة، ولا استجلبت مصالحهما بمثل الصلاة، وسر ذلك أن الصلاة صلة بالله -عز وجل- وعلى قدر صلة العبد بربه -عز وجل- تفتح عليه من الخيرات أبوابها، وتقطع عنه من الشرور أسبابها، وتفيض عليه مواد التوفيق من ربه -عز وجل- والعافية والصحة والغنيمة والغنى والراحة والنعيم والأفراح والمسرات كلها محضرة لديه ومسارعة إليه<sup>(١)</sup>.

ومما ينبغي على الصائم أن يخشع في صلاته، لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [سورة: المؤمنون، آية: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ٤٥]، ووصف أنبياءه ورسله بالخشوع فقال: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [سورة: الأنبياء، آية: ٩٠].

واعلم أن الخشوع له عاقبة حميدة، وهي التي أشار إليها رسول الله ﷺ بقوله: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ)، وذكر منهم: (وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ حَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)<sup>(٢)</sup>.

وقد كان للسلف في الخشوع بين يدي الله أحوال عجيبة، تدل على ما كانت عليه قلوبهم من صفاء ونقاء، كان عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهما- إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع، وكان يسجد فتزل العصفير على ظهره لا تحسبه إلا جذع حائط.

(١) زاد المعاد (٤/٣٣٢).

(٢) تقدم تحريجه.

وقال ميمون بن مهران: ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتاً في صلاة قط، ولقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدتها وإنه لفي المسجد يصلي فما التفت، وكان أهل بيته إذا دخل المنزل سكتوا؛ فإذا قام إلى الصلاة تكلموا وضحكوا.

وكان علي بن الحسن -رضي الله عنهما- إذا توضأ اصفر لونه، ف قيل له: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ قال: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟<sup>(١)</sup>.

لقد كان هؤلاء يحيون صلاتهم فتحيا قلوبهم بها، وتقر أعينهم فيها، وكيف لا تقر العيون بالصلاة الحية ورسول الله ﷺ يقول: (وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*

(١) انظر: مختصر منهاج القاصدين (ص: ٢٦).

(٢) سنن النسائي: ٦١/٧.

## المبحث الثالث عشر الاقتصاد وعدم الإسراف

إن من صفات المؤمنين: الاقتصاد وعدم الإسراف، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [سورة: الفرقان، آية ٦٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [سورة: الإسراء، آية: ٢٩].

الاقتصاد والاعتدال في الحياة خلق فاضل، ومطلب مهم من المطالب الكبار في حياة الأمم والأفراد والشعوب.

ويكفي في ذم الإسراف والتنفير منه أنه قرين الكفر كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [سورة: المائدة، آية: ٣٢].

ومن الإسراف المذموم والذي يقع فيه كثير من الصائمين إلا من رحم الله: الإسراف في الأطعمة، وما يحدث في سائر المنازل من طهي وطبخ للعديد من المأكولات وإعداد للمشروبات، ثم تناول اليسير منها، وإتلاف ما تبقى.

لقد جاء الذم القطعي الصريح للترف والإسراف في الطعام والشراب في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة: الأعراف، آية: ٣١].

والإسراف في شهر رمضان المبارك وغيره من أيام السنة منهي عنه، فإنفاق الأموال على هذه النعم، ومن ثم إهدارها وإلقاؤها في النفايات، مخالفة لتعاليم

ديننا، وأمر ينكره الشرع ويحرمه، ويزيد في تحريمه الإسراف المنهي عنه، وإنفاق الأموال في غير محلها، وختمها في إلقاء الأطعمة في مرمى النفايات، وحاوياتها مع الأوساخ والنجاسات فهي مخالفة شرعية كما أنها مخالفة عقلية فالعقل لا يقبل أن نرمي الطعام السليم على الفاسد في النفايات؛ كما أنها مخالفة اجتماعية وخلقية؛ لأنها تزيد من النفايات وأكياس القمامة، فهو منظر سيئ وروائح كريهة.

وظاهرة الإسراف في الأطعمة والمشروبات في شهر رمضان المبارك لا تقتصر - مع الأسف - على الموسرين، بل تشمل جميع الأسر غنيها وفقيرها، وأصبحت هذه العادة السيئة صفة ملازمة لجميع الأسر، وامتدت هذه الظاهرة أيضاً إلى الإفطار في بعض المساجد، وذلك حينما لا يتم التنسيق مع إمام المسجد أو القائم على برنامج الإفطار، فيحضر كل شخص ما يراه من الأطعمة والتمر مما يفيض عن حاجة الذين يفطرون في المسجد، وقد يكون بعضه مما لا يسهل حمله أو نقله فيرمى ويتلف.

**أخي الصائم:** إننا مسؤولون أمام الله تعالى عن هذه النعم التي أنعم الله بها علينا، مسؤولون عن شكرها وحسن التصرف فيها، وقد أمرنا - سبحانه وتعالى - بالسعي في الكسب الحلال، وفي المقابل أمرنا أن نصرّفها وننفق هذا الكسب في حلال، ودوننا إسراف أو تبذير، وكما نهى الله - سبحانه وتعالى - عن الشح والبخل والتقتير وحرمه، نهى أيضاً وحذر من البذخ والإسراف والتبذير.

ونحن في شهر رمضان، شهر البر والإحسان، شهر المغفرة والرضوان، شهر التقوى يجب أن نحرص على الالتزام بهدي المصطفى ﷺ بأن يظهر علينا أثر نعمة الله سبحانه وتعالى، ولكن دون سرف، يقول ﷺ في الحديث: (كُلُوا وَاشْرَبُوا وَابْسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ مَحِيلَةٍ وَلَا إِسْرَافٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى

عَبْدِهِ<sup>(١)</sup>، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (كُلْ مَا شِئْتَ وَالْبَسْ وَاشْرَبْ مَا شِئْتَ مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ أَوْ مَحِيلَةٌ)<sup>(٢)</sup>، وما أحوجنا في هذا الشهر إلى أن نلتفت إلى ما نحن عليه من أمور سلبية وخاطئة في حياتنا، فنتقي الله، وليكن شهر رمضان منطلقاً لتصحيح هذه الأخطاء، وأن نحرص على عدم الإسراف والتبذير، وأن نبدل هذه العادة السيئة إلى عادة حسنة، فنبقي على ما كان يطهئ ويطبخ، ثم نقوم بتوزيعه على المستحقين من الفقراء والمساكين، أو إهداء الجيران أو المشاركة في إطعام وإفطار الصائمين في المساجد والجمعيات.

ومن الإسراف -أخي الصائم-: الإسراف في الطعام والشراب إلى حد البطنة وامتلاء المعدة بشكل خاص، فقد ذمه الشارع الحكيم على لسان نبيه ﷺ ونهى عنه، فقد روى المقدام بن معدي كرب - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (مَا مَلَأَ أَدَمِيَّ وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقْمَنَ صَلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتُلْتُ لِبَطْنِهِ، وَتُلْتُ لِشَرَابِهِ، وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ)<sup>(٣)</sup>، ولأن من امتلأ بطنه من الطعام والشراب فاتته أمور، منها:

(١) علق البخاري مجزوماً به: ٢١٨١/٥، ووصله أبو داود الطيالسي: ٢٩٩/١.

(٢) علقه البخاري مجزوماً به: ٢١٨١/٥، ووصله ابن أبي شيبة: ٥/١٧١ رقم ٢٤٨٧٨.

(٣) سنن الترمذي: ٤/٥٩٠، سنن ابن ماجه: ٢/١١١١.

قال المناوي: «لما فاتته من خيور كثيرة جعل البطن وعاء كالأوعية التي تتخذ ظروفًا توهينًا لشأنه، ثم جعله شر الأوعية لأنها تستعمل في غير ما هي له، والبطن خلق لأن يتقوم به الصلب بالطعام، وامتلاؤه يفضي إلى فساد الدين والدنيا، فيكون شرًّا منها، ووجه تحقق ثبوت الوصف في المفضل عليه أن ملء الأوعية لا يخلو عن طمع أو حرص في الدنيا، وكلاهما شر على الفاعل، والشبع يوقع في مداحض فيزيغ صاحبه عن الحق، ويغلب عليه الكسل فيمنعه من التعبد، ويكثر فيه مواد الفضول، فيكثر غضبه وشهوته ويزيد حرصه فيوقعه في طلب ما زاد على الحاجة؛ قال بعضهم: الشبع نهر في النفس يرده الشيطان، والجوع نهر في الروح ترده الملائكة»، (فيض القدير: ٥/٥٠٢).



١- القدرة على التنفس بصورة جيدة أو مريحة بشكل عام، ويؤثر على خشوعه وتدبره في الصلاة بشكل خاص.

٢- رقة القلب، وكما قال أحد السلف: «ما قل طعام امرئ قط إلا رق قلبه ونديت عيناه»<sup>(١)</sup>، ويقول الآخر: «من أحب أن ينور قلبه فليقل طعامه»<sup>(٢)</sup>.

٣- الفهم القوي، وكما قال محمد بن واسع: من قل طعامه فهم وأفهم، وصفًا ورَقًّا، وإن كثرة الطعام ليثقل صاحبه عن كثير مما يريد<sup>(٣)</sup>، وصدق من قال: غلبت بطني فطنتي<sup>(٤)</sup>.

وكما قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: «وأما فضول الطعام فهو داع إلى أنواع كثيرة من الشر، فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي، ويثقلها عن الطاعات، وحسبك بهذين شرًّا، فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام، وكم من طاعة حال دونها؛ فمن وقى شر بطنه فقد وقى شرًّا عظيمًا، والشيطان أعظم ما يتحكم من الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام، ولهذا جاء في بعض الآثار: (ضَيِّقُوا مجاري الشيطان بالصوم)<sup>(٥)</sup>، وقال النبي ﷺ: (مَا مَلَأَ آدَمِيَّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ)<sup>(٦)</sup>؛ ولو لم يكن في الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله ساعة واحدة، جثم عليه الشيطان ووعده ومناه وشهاه وهام به في كل واد، فإن النفس

(١) جامع العلوم والحكم (ص ٤٢٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) جامع العلوم والحكم (ص ٤٢٦).

(٤) عيون الأخبار (٣/ ٢٤٢).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) سبق تخريجه.

إذا شبعت تحركت وجالت وطافت على أبواب الشهوات، وإذا جاعت سكنت وخشعت وذلت»<sup>(١)</sup>.

ورحم الله الإمام الشافعي القائل: «ما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا مرة، فأدخلت يدي فتقيأتها، لأن الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف عن العبادة»<sup>(٢)</sup>، وهذا الفضيل بن عياض يقول محذراً من كثرة تناول الطعام والشراب: «خصلتان تقسيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة الأكل»<sup>(٣)</sup>.

ومن الإسراف: الإسراف في ولائم الأعراس والزواج والبذخ الزائد عن الحد المعقول الذي وضعه الشارع، الأمر الذي أزعج الغيورين، وأهل الحسبة؛ فلتنق الله في أموالنا ولنعط كل ذي حق حقه، وما بقي يصرف في وجوه الخير والإحسان وجبر المحتاجين، ولعل من بُلي بشيء من الإسراف في ولائم الأعراس أن يتصل على جمعية البر أو على فرع من فروعها وينسق مع القائمين عليها ليأخذوا ما زاد عن الحاجة ويُصرف على الفقراء والمساكين، بدلاً من إلقائه في الشوارع وإلقائه في سلة المهملات مع القاذورات؛ لأن ذلك من كفر النعمة التي أمرنا الشارع بشكرها والاقتصاد فيها.

\*\*\*\*

(١) بدائع الفوائد (٢/٤٩٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/٣٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/٤٤٠).

## المبحث الرابع عشر التخلي عن فضول المخالطة

ينبغي للصائم الحذر من فضول المخالطة، فهي الداء العضال، الجالب لكل شر، وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة، وكم زرعت من عداوة، وكم غرست في القلب من حزازة، ففضول المخالطة خسارة في الدنيا والآخرة، وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة<sup>(١)</sup>.

والضابط في الخلطة -أيها الصائم الكريم- هو مشاركة الناس في الخير والتعاون على الحق والمصالح الشرعية، والبعد عن مشاركتهم في الآثام وفضول المباحات، وإن بُلي بمجلس مختلط، فليسّل قلبه من الناس سلّ الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضرًا غائبًا، قريبًا بعيدًا، نائمًا يقظًا، ينظر إليهم ولا يبصرهم، يسمع كلامهم ولا يعيه، لأنه قد أخذ قلبه من بينهم ورقى به إلى الملأ الأعلى مع الأرواح الزكية<sup>(٢)</sup>.

فجالس -أخي الصائم- أهل الخير والصلاح، فقد روى أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: (لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا)<sup>(٣)</sup>.

وروى أبو هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: (الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدَكُمْ مَن يُجَالِسُ)<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: مدارج السالكين: ١/٤٤٥-٤٥٦.

(٢) تهذيب مدارج السالكين: ص ٢٤٦، العبادات القلبية وأثرها في حياة المؤمنين: ص ٥٥.

(٣) سنن أبي داود: ٤/٢٥٩، سنن الترمذي: ٤/٦٠٠.

(٤) سنن أبي داود: ٤/٢٥٩، سنن الترمذي: ٤/٨٩.

وروى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (إِذَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَيْرِ، فَحَامِلِ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَيْرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً) <sup>(١)</sup>، ونافخ الكير: هو الحداد، ويحذيك: يُعطيك، يُقال لغة: أحذاه يُحذيه إذا أعطاه، ويُقال أيضًا: حذاه يُحذوه حذواً، أي أعطاه، والحذية والحذوة والحذيا: العطية.

فالمصاحبة في الله والمجالسة في الله، مما حثّ عليه الإسلام، لما فيها من تدعيم للروح بين المسلمين، وتقوية للمودات، وشدّ لأواصر الصلات.

وللمصاحبة والمجالسة شروط حتى تكونا نافعتين مفيدتين:

الشرط الأول: أن تكونا في نية وضمير الصائم خصوصاً والمسلم عموماً في الله وابتغاء مرضاته، لا لمجرد مصالح دنيوية مادية بحتة.

الشرط الثاني: أن لا تشتمل أيُّ منهما على معصية لله تعالى.

الشرط الثالث: أن يتناصح الأصحاب والجلساء فيما بينهم، ويتأمرُوا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر ما استطاعوا إليه سبيلاً.

الشرط الرابع: أن يتعاون الأصحاب والجلساء فيما بينهم على البرّ والتقوى، ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان ومعصية الرسول.

الشرط الخامس: أن لا تجرّ أيُّ منهما إلى مناصرةٍ وتأيدٍ بالباطل ضدّ أصحاب الحق، تأثراً بعصبية المصاحبة أو المجالسة.

(١) صحيح البخاري: ٧٤١/٢، صحيح مسلم: ٢٠٢٦/٤.

وتحذيرًا من جليس السوء وترغيبًا بالجليس الصالح ضرب الرسول ﷺ مثلاً لكلٍ منهما.

فمثلّ الجليس الصالح بحامل المسك، ومثلّ جليس السوء بنافخ الكير، وهو الحدّاد الذي ينفخ في كيره.

فالجليس الصالح ينفع جليسه في كل حال، إنه كحامل المسك، إذا لم تشتتر منه ولم يمنحك منه عطية استمتعت من مجالسته بريح طيبة. وهكذا من يجالس أهل العلم والفضل والصلاح، فإما أن يسألهم ويأخذ منهم علماً أو نصيحة، وإما أن يبدؤوه بتعليم أو نصيحة ولو لم يسألهم، وإما أن يجدهم على عمل صالح فينتفع منهم بالافتداء وتأثير العدوى الصالحة، وإما أن يجمع كلّ ذلك، وفي كل ذلك خير عظيم.

أما جليس السوء فإنه يؤذي جليسه على كل حال، فهو كالحدّاد الذي ينفخ في كيره، ويضرب على محميّ حديده، إذا لم يطر شيء من شرار ناره على ثيابك فيحرقها وجدت من حديده وناره وكلّ ما يحيط به ريحاً منتنة مؤذية. وهكذا من يصاحب أو يجالس أهل السوء والفحش والمعصية، فهو إما أن ينساق معهم إلى مواقع الإثم التي هم فيها، فتمسه نار المعصية، وإما أن يجد ما يؤذيه من قول أو عمل أو قدوة سيئة.

ففي هذا المثال البديع وفاء بغرض النصيحة والإرشاد، وتوجيه غير مباشر يدخل في النفوس ويؤثر فيها دون أن تصدّه عقبة، وفيه تمثيل المعاني الفكرية والنفسية بأشياء مدركة بالحسّ، ومعلوم أنّ المدركات الحسية أثبت في النفوس وأرسخ من المعاني المجردة.

يُضاف إلى ذلك أنّ الأمثال البديعة تحتوي على ألوان من الجمال الفني الممتع للنفوس، والإمتاع طريق قريب للتأثير في النفوس، وتقبّلها لما جاء مُغلّفًا فيها.

وفي التوجيه الصريح لمصاحبة الصالحين، والابتعاد عن مصاحبة أهل السوء ودعاة الشرّ والفساد، جاء في قول الرسول ﷺ: (لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا) (١).

ويقول الناس في حكمهم السائرة: «الصاحب صاحب»، أي إذا كان صالحًا سحب صاحبه إلى الخير والصلاح، وإن كان سيئًا فاسدًا خبيثًا سحب صاحبه إلى مواقع السوء والفساد والخبث.

وقد أحسن الشاعر في قوله:

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ  
فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمَقَارِنِ يَقْتَدِي (٢)

وحيث ترتقي الصحبة إلى مرتبة المودة والمخاللة فإنها تكون حينئذٍ أخطر، ويكون أثرها في النفس أعمق، والأقوى إرادة من الخليلين هو الذي يجرّ صاحبه إلى مواقعه، مهما كانت مواقع خير أو مواقع شرّ، ويظل التقارب بين وجهتيهما يزيد شيئًا فشيئًا حتى يكونا بمثابة نفس واحدة ذات نسختين، وحتى يكونا على دين واحد في الفكر والسلوك، وبيانًا لهذه الحقيقة من حقائق الاجتماع الإنساني يقول الرسول ﷺ: (الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدَكُمْ مَنْ يُجَالِلُ) (٣).

الفكر من الفكر يسرق، والنفس من النفس تسرق، والطبع من الطبع يسرق، والخلق من الخلق يسرق، وسبب ذلك الصحبة والمودة، أو الإعجاب والإكبار، أو الغيرة والحسد، وأعظم كلّ ذلك تأثيرًا: الخلّة، فالخليل يسرق من طباع خليله وأخلاقه ونفسه وفكره ما لا يسرق منه أي شخص آخر، وعلة ذلك:

(١) تقدم تخرجه.

(٢) آداب الصحبة للسلمي: ص ٤٢.

(٣) تقدم تخرجه.

التجاوز المنسجم مع ميول النفس وأهوائها، وهكذا تكون العدوى الأخلاقية، حسنة كانت أو قبيحة.

فعلى العاقل أن يحسن انتقاء أصدقائه، وأن يحسن انتقاء الأصدقاء والرفقاء لأبنائه أو تلامذته، ومن يشرف على تربيتهم، وهذا من الواجبات التي تفرضها أصول التربية الإسلامية<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن جبنكة الميداني (٢/ ١٩٥-١٩٨).

## المبحث الخامس عشر

## غض البصر

امثالاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة: النور، آية: ٣٠] فهذا أمر من الله لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على محرّم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعاً، كما في حديث جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة، فأمرني أن أصرف بصري<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: لعلي: (يَا عَلِيُّ، لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَىٰ وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ)<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيح عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطَّرِيقَاتِ)، فقالوا: يا رسول الله! ما لنا من مجالسنا بدُّ نتحدّث فيها، فقال: (فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ)، قالوا: وما حقُّ الطريق يا رسول الله؟ قال: (غَضُّ الْبَصْرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ)<sup>(٣)</sup>.

ولغض البصر فوائد، منها:

أولاً: أنها تخلّص القلب من آلام الحسرة، فإن من أطلق نظره دامت حسرته:

(١) صحيح مسلم: ٣/١٦٩٩.

(٢) سنن أبي داود: ٢/٢٤٦، سنن الترمذي: ١٠١/٥.

(٣) صحيح البخاري: ٢/٨٧٠، صحيح مسلم: ٣/١٦٧٥.



يَا رَامِيًا بِسِهَامِ اللَّحْظِ مُجْتَهِدًا      أَنْتَ الْقَتِيلُ، بِمَا تَرْمِي فَلَا تُصِبُ<sup>(١)</sup>  
 ثانيًا: أنه يورث القلب نورًا وإشراقًا يظهر في العين وفي الوجه وفي  
 الجوارح.

ثالثًا: أنه يورث صحة الفراسة فإنها من النور وثمراته، وكما قيل:  
 مِرَاةٌ قَلْبِكَ لَا تُرِيكَ صَالِحَهُ      وَالنَّفْسُ فِيهَا دَائِمًا تَتَنَفَّسُ<sup>(٢)</sup>  
 رابعًا: أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه، وذلك بسبب  
 نور القلب.

خامسًا: أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته، فيجعل له سلطان البصيرة  
 مع سلطان الحجّة، وفي الأثر: «إِنَّ الَّذِي يَخَالَفُ هَوَاهُ يَفْرُقُ الشَّيْطَانَ مِنْ ظِلِّهِ»<sup>(٣)</sup>.  
 سادسًا: أنه يورث القلب سرورًا وفرحة، وانشراحًا من اللذة أعظم من  
 النظرة.

سابعًا: أنه يخلص القلب من أسر الشهوات، فإن الأسير هو أسير شهواته  
 وهواه، وكما قيل: طليق برأي العين وهو أسير.

ثامنًا: أنه يسد عنه بابًا من أبواب جهنم؛ فإن النظر باب الشهوة الحاملة على  
 موقعة الفعل.

تاسعًا: أنه يقوي عقله ويزيده ويثبته، فإن إطلاق البصر لا يحصل إلا من  
 خفة العقل وطيشه:

(١) بدائع الفوائد لابن القيم: ٤٩٦/٢.

(٢) روضة المحبين لابن القيم: ص ١٠١.

(٣) مجموع الفتاوى: ٤٢٦/١٥.

وَأَعْقَلُ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَرْتَكِبْ سَبَبًا حَتَّى يُفَكَّرَ مَا تَجْنِي عَوَاقِبُهُ<sup>(١)</sup>

العاشرة: أنه يخلص القلب من سكر الشهوة ورقدة الغفلة فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة، وقال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سورة: الحجر، آية: ٣٢].

فاتق الله أيها الصائم، ولا تكن ممن يصوم بطنه عن الطعام والشراب وترتع عينه في الحرام، فهذا والله ما عرف حقيقة الصيام، فلتصم عيوننا عن الحرام كما صامت بطوننا عن الطعام والشراب.

وما أكثر المناظر التي أصبح من المحتم على الصائم أن يربي نفسه على ترك النظر إليها، فكم من قناة فضائية يتفنن القائمون عليها باختيار أنواع الفتن، وكم من موقع إلكتروني وصل الأمر به إلى حد الإباحية، ونشر الرذيلة والفاحشة على مرأى ومسمع من الناس، حتى باتت مجاهدة النفس على غض البصر من أهم المهام لا سيما في رمضان، وصار الفشل فيها لدى الشباب ذريعة إلى الوقوع في الفحشاء والانقطاع عن عمل الخير، وضعف تأثير العبادة خصوصاً الصوم والصلاة.

فتذكر -أيها الصائم- قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [سورة: الإسراء، آية: ٣٦] فالجوارح التي ائتمن عليها العباد هم مسئولون عنها، وفيهم استعملوها، وقد اعتاد بعض الناس رؤية المنكرات أو سماعها، كرؤية المتبرجات داعيات الفتنة أو سماع الملاهي بأنواعها، وهذا كله واجب الاجتناب في شهر الصيام وغيره وتأكده في شهر الصيام ظاهر حرمة ومكانة شهر الطاعة والغفران.

وما أجمل أن يتخذ المسلم الصائم من شهر الصيام وسيلة لقطع العلائق  
والصلة بالمحرمات المرئية أو المسموعة، وسائر الشهوات، وفي الحديث القدسي:  
(يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي) <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: المنظار في بيان كثير من الأخطاء الشائعة، لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ (٨٧).

## المبحث السادس عشر احترام الوقت

احترام الوقت في شهر رمضان وعدم إضاعته فيما لا ينفع أمر مهم ينبغي على المسلم الالتزام به ومعرفة أهميته، فالوقت أغلى من كل شيء بعد الإيمان بالله، وهو حياة المسلم، ولشرف الوقت أقسم المولى -جلّ وعلا- ببعض الأوقات فقال: ﴿وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [سورة: الضحى، آية: ١-٢]، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [سورة: الليل، آية: ١-٢]، ﴿وَالفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [سورة: الفجر، آية: ١-٣]، وغير ذلك كثير، وقال الرسول ﷺ: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ) (١).

والوقت يمر مرّ السحاب، ويجري جري الرياح، وكلُّ يومٍ يمضي، وكلُّ ساعة تنقضي، وكلُّ لحظة تمرّ ليس في الإمكان استعادتها ولا تعويضها، ولذا كان الواجب على المسلم أن يحافظ على وقته، ويستفيد منه، ولقد كان السلف -رحمهم الله- أحرص ما يكون على أوقاتهم، لأنهم كانوا يعرفون قيمتها.

ويُروى عن عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- قوله: «إن الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما» (٢).

وكان حال السلف محاولتهم دائماً الترقى من حال إلى حال أحسن منها بحيث يكون يوم أحدهم أفضل من أمسه، وغده أفضل من يومه.

وفي هذا قال الشاعر:

(١) صحيح البخاري: ٢٣٥٧/٥.

(٢) مكارم الأخلاق (ص ٢٩)، ربيع الأبرار للزمخشري (ص ٣٠٥).

إِذَا مَرَّ بِي يَوْمٌ وَلَمْ أَسْتَفِدْ هُدًى وَلَمْ أَكْتَسِبْ عِلْمًا فَمَا ذَاكَ مِنْ عُمْرِي<sup>(١)</sup>

ويجدر بالمؤمن الذي يقدر قيمة الوقت وأهميته أن يملأه بفعل الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وقد أمر الله تعالى في القرآن الكريم باستباق الخيرات والمسارعة إليها قبل أن تشغل عنها الشواغل، أو تعوق العوائق، قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [سورة البقرة: ١٤٨، والمائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [سورة الحديد: ٢١] (٢).

أخي الصائم: إننا لا ندع الناس يسرقون أموالنا، لكننا نسمح لهم بسرقة أوقاتنا، بيد أن الوقت يفوق المال في قيمته، فالوقت هو الحياة.

في هذا الشهر الكريم الإفطار في ساعة معينة، والإمساك في وقت محدد، الأمة بكاملها تلتزم بهذا التحديد، وتنظيم الوقت من أهم أسباب النجاح في التغيير نحو الأفضل (٣).

فاتق الله واحذر من إضاعة الوقت عموماً وفي رمضان خصوصاً بالقليل والقال، والجلسات الفارغة، والسهرات المحرمة، مع أناس لا يخافون الله، ولا يقدرون حرمة رمضان، ولا يهمهم إلا قول أحدهم: صمْتُ لله وأديت زكاة مالي. وليس لي شأن بما بقي من الأمور، من قراءة القرآن أو الذكر والدعاء، أو الاستغفار والتوبة، والمحاسبة الجادة.

(١) ذكره ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١/١٢٢)، ورُوي من غير وجه كما في التمثيل والمحاضرة، للثعالبي: ص ١٢٧، وعزاه فيه لأبي الفتح البستي.  
 (٢) المختار للحديث في شهر رمضان (٥٦-٥٨) بتصرف.  
 (٣) مجلة الأسرة (العدد ٩٠، رمضان ١٤٢١هـ، ص ٣٦).

فلقد سأل الفضيل بن عياض رجلاً فقال له: كم أنت عليك؟ قال: ستون سنة! قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك توشك أن تبلغ، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون! فقال الفضيل: أتعرف تفسير إنا لله وإنا لله راجعون؟ فمن عرف أنه لله عبد إليه راجع فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسئول، ومن علم أنه مسئول فليعدّ للسؤال جواباً، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة! قال: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى<sup>(١)</sup>.

وقد كان جماعة من السلف الصالح يبادرون اللحظات، فنقل عن عامر ابن عبد الله القيسي أن رجلاً قال له: كلمني، فقال له: أمسك الشمس<sup>(٢)</sup>، وقال ابن ثابت البثاني: ذهبت ألقتن أبي، فقال: يا بني، دعني، فإني في وردي السادس<sup>(٣)</sup>.

قال الجريري: كنت واقفاً على رأس الجنيد في وقت وفاته وكان يوم الجمعة، وهو يقرأ القرآن، فقلت له: يا أبا القاسم، ارفق بنفسك، فقال: يا أبا محمد! أرأيت أحداً أحوج إليه مني في هذا الوقت؟ وهو ذا تطوى صحيفتي<sup>(٤)</sup>.

فسر على درب القوم، واجتهد في اللحاق بهم، ففي ذلك الخير والنجاة والسلامة.

واعرف شرف الزمان عموماً، وليالي رمضان خصوصاً، وقدر قيمتها، فلا تضيع لحظةً منها في غير قربة، وقدّم الأفضل فالأفضل، ولتكن نيتك في الخير قائمة من غير فتور.

(١) جامع العلوم والحكم (ص ٣٨٣)، وذكره مسنداً في حلية الأولياء (٨/ ١١٣).

(٢) الآداب الشرعية (٣/ ٤٥٦)، والتبصرة لابن الجوزي (٢/ ٣١٥).

(٣) مسند ابن الجعد (رقم: ١٣٩٨)، وحلية الأولياء (٢/ ٣٢٢).

(٤) الزهد الكبير للبيهقي (رقم: ٤٩٠)، ومدارج السالكين (٣/ ١٢١).

وإذا علمت حقيقة أن الموت يقطعك عن العمل، عملت صدقاً في حياتك، ما يدوم لك أجره بعد الموت، من الصلوات والصدقات والأوقاف. وتربية الأولاد والذرية تربية صالحة، ينفعك بعد الموت، وهو الوارد في قوله ﷺ: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ، إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) <sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*

## المبحث السابع عشر

### الزهد والتواضع

الزهد والتواضع من صفات مَنْ رقت نفسه، وعرف عظمة معبوده حق المعرفة وشدة ضعف نفسه، وقد كانت تلك حال الحبيب ﷺ أعرف الناس بربه، وأكثرهم له خشية، فكانت تلك المعرفة والخشية مورثين لتواضع القلب للشرع والخلق، ولقوة التعظيم لله تعالى، ونهاء الصلة به، وللزهد في الدنيا والتعلق بحياة الآخرة.

وللمسلم الصائم قدوة في رسوله ﷺ، فقد برز زهده وتواضعه ﷺ في رمضان في عدة مواطن، منها:

أولاً: صلاته ﷺ قيام الليل على حصيرة، كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كان الناس يُصَلُّونَ فِي الْمَسْجِدِ فِي رَمَضَانَ أَوْزَاعًا، فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضَرَبْتُ لَهُ حَصِيرًا فَصَلَّى عَلَيْهِ) (١).

ثانياً: تواضع معتكفه ﷺ، كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اعْتَكَفَ فِي قُبَّةِ تَرْكِيَّةٍ عَلَى سُدَّتَيْهَا قِطْعَةَ حَصِيرٍ، قَالَ: فَأَخَذَ الْحَصِيرَ بِيَدِهِ، فَتَحَّاهَا فِي نَاحِيَةِ الْقُبَّةِ، ثُمَّ أَطْلَعَ رَأْسَهُ فَكَلَّمَ النَّاسَ) (٢)، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ فَأَتَّخَذَ لَهُ فِيهِ بَيْتٌ مِنْ سَعَفٍ) (٣).

ثالثاً: سيلان ماء المطر من سقف المسجد على مصلاه ﷺ وسجوده في ماء وطين، كما في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -، وفيه: (... فَاَسْتَهَلَّتْ

(١) سنن أبي داود: ٥٠/٢.

(٢) صحيح مسلم: ٨٢٥/٢، سنن ابن ماجه: ٥٦٤/١.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ٦٧/٢.



السَّاءِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَأَمْطَرَتْ، فَوَكَّفَ الْمُسْحِدُ فِي مُصَلَّى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، فَبَصُرْتُ عَيْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ أَنْصَرَفَ مِنَ الصُّبْحِ وَوَجْهُهُ مُتَلَيُّ طِينًا وَمَاءً<sup>(١)</sup>.

رابعاً: تواضع فطوره وسحوره ﷺ، يدل لذلك حديث خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يُنْظِرُ عَلَيَّ رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فَعَلَى تَمْرَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ)<sup>(٢)</sup>.

وحديثه الآخر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، وذلك عند السحور: (يَا أَنَسُ إِنِّي أُرِيدُ الصِّيَامَ، أَطْعِمْنِي شَيْئًا) فَاتَيْتُهُ بِتَمْرٍ وَإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أَدْنَى بِلَالٍ<sup>(٣)</sup>.

خامساً: قلة طعامه ويدل لذلك حديث ضمرة بن عبد الله بن أنس عن أبيه قال: (كنت في مجلس بني سلمة -وأنا أصغرهم- فقالوا: من يسأل لنا رسول الله ﷺ عن ليلة القدر -وذلك صبيحة إحدى وعشرين من رمضان- فخرجت فوافيت مع رسول الله ﷺ صلاة المغرب، ثم قمت بباب بيته فمررت بي، فقال: ادخل فدخلت فأتى بعشائه، فرآني أكف عنه من قلتيه... الحديث)<sup>(٤)</sup>.

من هذه النصوص يتبين أن الأقرب إلى هديه ﷺ هو التواضع والزهد، "وهو ترك ما لا ينفع في الآخرة"، والتبسط وترك التكلف والتقلل من نعيم الدنيا، والحرص على الاخشوشان والبذاذة أحياناً، حتى لا تنغمس النفس في ركाम الشهوات وأودية الملذات فترديها، وتقع في حبالها فتأسرها؛ لأن أصل

(١) صحيح البخاري: ٧١٠/٢، صحيح مسلم: ٨٢٤/٢.

(٢) تقدم ترجمته.

(٣) سنن النسائي: ١٤٧/٤.

(٤) سنن أبي داود: ٥١/٢.

التعبّد: خضوع النفس وانقيادها برغبة ورضى ومحبة لحكم الشرع، والتعلق بالدنيا والاشتغال الكثير الملهي بنعمائها مناقض لذلك وصاد عنه.

وبهذا يدرك أن الحد الأدنى من الزهد واجب، وضابطه: أن لا يقارف المرء شهوة محرمة، وأن لا يلتهي بملذة مباحة عن أداء واجب، وما زاد عن ذلك من مفارقة الشهوات المكروهات أو الملذات المباحات التي تسربل المرء في أثواب الغفلة وتحول بينه وبين المستحب من عمل الآخرة ففضل ومزيد يقظة.

وليس المراد -أخي الصائم- أن نعرض عن الملذات مطلقاً، فإن تلك رهبانية مبتدعة، نفاها الله تعالى عن هذا الدين، بل المراد أن نفتفي أثر رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، الذين يجد من تأمل في سيرهم أن حياتهم كانت بحسب الحال، بحيث لا يمتنعون عن موجود من غير سرف ولا مخيلة، ولا يتكلفون حوز مفقود.

فتحصيل المال بذلك الضابط غير مذموم، لكن لا بد أن يرافق العبد أثناء ذلك التحصيل تواضع القلب لله تعالى، وإخباته له، وإقباله عليه، وطمأنينته ورضاه به، وتعلقه بنعيم الآخرة الباقي، وهذه حقيقة الزهد، لا أن نترك الإغراق في ذلك ظاهراً، والقلوب شغوفة به متطلعة إليه مشغولة بالتفكير في كيفية الظفر به وتحصيله، إذ تلك عبودية دنيا كعبودية الدرهم والدينار، لكنها جمعت مع حرص القلب بخل اليد، مهما أكثر العبد فيها من التحلي بمظاهر التواضع والورع واكتساء أردية الزهد<sup>(١)</sup>.

فليكن -أخي الصائم- رمضان فرصة لك لتدرب نفسك وتربّيها على خلق الزهد والتواضع، وليكن مثلك الأعلى في ذلك رسول الله ﷺ ثم صحابته الكرام.

(١) هكذا كان النبي ﷺ في رمضان: ص ٧٠-٧٣.

## المبحث الثامن عشر

## الأخذ بالرخص الشرعية المتعلقة بالصيام

إن مما ينبغي على الصائم الأخذ بالرخص التي رخص لنا فيها الشرع، وثمت رخص عديدة امتن الله جل وعلا بها على الصائمين؛ رفعا للحرص والمشقة عن العباد، من هذه الرخص الآتي:

أولاً: جواز الفطر في نهار رمضان للمسافر: والفطر للمسافر لا شك أنه أفضل من الصوم إن كان الصوم يشق عليه، حتى لو كان سفره بالطائرة أو سيارة مريحة، أو نحو ذلك، بل إن الأفضل للصائم المسافر الفطر في السفر مطلقاً، ومن صام فلا حرج عليه، لأن النبي ﷺ ثبت عنه هذا وهذا، وهكذا فعل الصحابة - رضي الله عنهم -، لكن إذا اشتد الحر وعظمت المشقة، تأكد الفطر وكره الصوم للمسافر، لأنه ﷺ لما رأى رجلاً قد ظلَّ عليه في السفر من شدة الحرِّ وهو صائم؛ قال عليه الصلاة والسلام: (لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ) <sup>(١)</sup>، ولما ثبت عنه ﷺ أنه قال: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ) <sup>(٢)</sup>، وفي رواية: (... كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ) <sup>(٣)</sup>، ولا فرق في ذلك بين من سافر على السيارات أو الجمال أو السفن والبواخر وبين من سافر في الطائرات، فإن الجميع يشملهم اسم السفر، ويترخصون برخصه، والله سبحانه وتعالى شرع للعباد أحكام السفر والإقامة في عهده ﷺ ولمن جاء بعده إلى يوم القيامة، فهو سبحانه وتعالى يعلم ما يقع من تغير الأحوال وتنوع وسائل السفر، ولو كان الحكم يختلف لنبه عليه سبحانه وتعالى، كما قال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً

(١) صحيح البخاري: ٢/٦٨٧، صحيح مسلم: ٢/٧٨٦.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٢/١٠٨، صحيح ابن حبان: ٦/٤٥١.

(٣) صحيح ابن حبان: ٢/٦٩.

وَبُشِّرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿ [سورة: النحل، آية: ٨٩]، وقال: ﴿وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة: النحل، آية: ٨].

ثانياً: أن من أكل أو شرب ناسياً وهو صائم، فصومه صحيح، ولا قضاء عليه، وهذا هو الراجح عند جمهور العلماء، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من نسي وهو صائم فأكَل أو شَرِبَ فَلْيُمِّمْ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ) <sup>(١)</sup>، لكن يجب عليه أن يلفظ ما في فمه حال تذكره، وكذلك يجب على الذي يراه أن يذكره أنه في نهار رمضان؛ لأن هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى.

ثالثاً: أن من أصبح جنباً من جماع أو احتلام في الليل، فإنه يصوم ولا شيء عليه، ويغتسل بعد ذلك، لحديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ: (كان رسول الله ﷺ يُصْبِحُ جُنْبًا مِنْ جِمَاعٍ لَا مِنْ حُلْمٍ ثُمَّ لَا يُفْطِرُ وَلَا يَقْضِي) <sup>(٢)</sup>.

رابعاً: السواك بعد الزوال، فإنه مرخص فيه للصائم بعد الزوال؛ بل هو مستحب في المواضع التي يستحب فيها في سائر الأحوال، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

خامساً: المضمضة والاستنشاق، ولكن ينبغي للصائم ألا يبالغ فيهما؛ خشية أن يصل شيء من الماء إلى حلقه فيفطر بذلك، لقول النبي ﷺ (وَبَالِغٌ فِي الْإِسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا) <sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) صحيح البخاري: ٢/٦٨٢، صحيح مسلم: ٢/٨٠٩.

(٢) صحيح البخاري: ٢/٦٨١، صحيح مسلم: ٢/٧٨٠.

(٣) سنن أبي داود: ١/٣٥، سنن الترمذي: ٣/١٥٥، سنن النسائي: ١/٦٦، سنن ابن ماجه: ١/١٤٢.

## المبحث التاسع عشر

### الابتعاد عما يفسد الصوم أو يجرحه

إن من أهم ما ينبغي على الصائم التنبه له أن يحفظ صومه مما يفسده أو يجرحه، ويؤثر على بقاءه واستدامته، ومن ذلك ما أشار إليه العلماء:

١- المبالغة في المضمضة والاستنشاق عند الوضوء، لقوله ﷺ: (وَبَالِغٌ فِي الْإِسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا) <sup>(١)</sup>، وقد كره النبي ﷺ المبالغة في الاستنشاق خشية أن يصل إلى جوفه شيء من الماء فيفسد صومه.

٢- القُبلة: إذ أنها قد تثير شهوة تجرُّ إلى إفساد الصوم بخروج المذي أو الجماع حيث تجب الكفارة، بل قال العلماء بجواز القبلة شريطة أن يأمن الصائم من الإنزال، ويكره ذلك إذا كان لا يأمن الإنزال، فإن قبل أو لاعب وهو صائم فأنزل فسد صومه على الصحيح من أقوال أهل العلم، وعليه القضاء ولا كفارة عليه.

٣- إدامة النظر بشهوة إلى الزوجة.

٤- الفكر في شأن الجماع.

٥- اللمس باليد للمرأة أو مباشرتها بالجسد.

٦- مضغ العلك خشية أن يتسرب بعض أجزاء منه إلى الحلق.

٧- ذوق القدر أو الطعام.

٨- المضمضة لغير وضوء أو حاجة تدعو إليها.

٩- الاكتحال في أول النهار، ولا بأس به في آخره، بل قال العلماء: إذا

اكتحل الصائم فلا شيء عليه، إلا أن يرى أثره في حلقه فالأحوط له القضاء،

والأولى ألا يكتحل نهارًا حال الصوم<sup>(١)</sup>.

١٠- الحجامه أو الفصد خشية الضعف المؤدي إلى الإفطار، لما في ذلك من التغيرير بالصوم<sup>(٢)</sup>.

بل قال العلماء: يفطر الحاجم والمحجوم وعليهما الإمساك والقضاء، لقول النبي ﷺ: (أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ)<sup>(٣)</sup>(٤).

\*\*\*\*

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٧/٢٥٣).

(٢) منهاج المسلم لأبي بكر الجزائري (٢٩٢-٢٩٣).

(٣) سنن أبي داود: ٣٠٨/٢، سنن ابن ماجه: ٥٣٧/١، صحيح ابن خزيمة: ٢٢٦/٣، صحيح ابن حبان:

٣٠١/٨، المستدرک على الصحيحين: ٥٩٠/١.

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (٧/٢٦٢).

## المبحث العشرون

## تربية الأولاد على الصلاة والصيام

في الصلاة يقول الهادي البشير عليه السلام: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ) <sup>(١)</sup>، وهذا هو هدي السلف الصالح رحمهم الله.

وروى البخاري ومسلم من حديث الربيع بنت معوذ -رضي الله عنها- قالت: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: (مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيَتِمَّ صَوْمَهُ، وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيَتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ)، فكنا بعد ذلك نصومه ونصومه صبياننا الصغار منهم إن شاء الله، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن <sup>(٢)</sup>، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناهم إياه عند الإفطار» <sup>(٣)</sup>.

وقد روى مسلم من وجه آخر فقال فيه: «إذا سألونا الطعام أعطيناهم اللعبة تلهيهم حتى يتموا صومهم» <sup>(٤)</sup>.

وقال عمر بن الخطاب لنشوان (سكران) في رمضان: «ويلك، وصبياننا صيام» فضربه <sup>(٥)</sup>.

(١) سنن أبي داود: ١/١٣٣.

(٢) اللعبة: بضم اللام المشددة بعدها عين مهملة ساكنة ثم باء موحدة ثم تاء تأنيث، وهي الشيء الذي يلعب به الصبيان، والعهن: الصوف قيل: هو المصبوغ منه (نيل الأوطار ٤/٢٧٣).

(٣) صحيح البخاري: ٢/٦٩٢، صحيح مسلم: ٢/٧٩٨.

(٤) صحيح مسلم: ٢/٧٩٨.

(٥) صحيح البخاري معلقاً مجزوماً به: ٢/٦٩٢.

والحديث دليل على أنه يستحب أمر الصبيان بالصوم للتمرين عليه إذا أطاقوه، وقد قال باستحباب ذلك جماعة من السلف منهم محمد بن سيرين والزهري والشافعي وغيرهم، واختلف أصحاب الشافعي في تحديد السن التي يؤمر الصبي عندها بالصيام، فقيل: سبع سنين، وقيل عشر، وبه قال أحمد، وقيل: اثنا عشرة، وبه قال إسحاق، وقال الأوزاعي: إذا أطاق صوم ثلاثة أيام تباعاً لا يضعف فيهن حُمْل على الصوم<sup>(١)</sup>، وقال صاحب الروض: "وعلى ولي صغير مطيق أمره به وضربه عليه ليعتاده وينشأ عليه كالصلاة"<sup>(٢)</sup>، وذلك إصلاح لا عقوبة، فاعتبرت له الطاقة لأنه قد يطيق الصلاة من لا يطيق الصوم ولا يتقيد بسن، وقال المجد: "لا يؤاخذ به ويُضرب عليه فيما دون العشر كالصلاة"<sup>(٣)</sup>.

ولعلي أسوق لك نصّاً تربوياً من الهدي النبوي، ففي الحديث المتفق عليه: أن الحسن بن علي أخذ ثمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال الرسول ﷺ: (كَنْحَ كَنْحَ) ليطحها، ثم قال: (أَمَّا شَعَرَتْ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ) - يعني أن آل محمد لا يأكلون الصدقة-<sup>(٤)</sup>، وفي الحديث: أن الطفل يجنب الحرام لينشأ عليه ويتمن<sup>(٥)</sup>.

أخي الصائم: ربّ أهلك في هذا الشهر على العبادة والاستقامة، فشهر الصوم مدرسة يتربى فيها العباد، وقم باصطحاب الأولاد إلى المساجد حتى تكون قدوة لهم في ذلك، وتذكر أنك راعٍ، وأن كل راعٍ مسؤول عن رعيته.

(١) فتح الباري (٤/٢٠١)، نيل الأوطار (٤/٢٧٣).

(٢) الروض المربع (١/٤١٥).

(٣) الفروع (٣/١٦).

(٤) صحيح البخاري: ٢/٥٤٢، صحيح مسلم: ٢/٧٥١.

(٥) فيض القدير (٤/٥٤٩).



## المبحث الحادي والعشرون الجمع بين الصيام وغيره من الفضائل

مثل الإطعام وزيارة المرضى وعيادتهم في دورهم من الأرحام والجيران وغيرهم، فقد ورد في قصة الصديق - رضي الله عنه - التي رواها أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟)، قال أبو بكر - رضي الله عنه -: أنا، قال: (فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟)، قال أبو بكر - رضي الله عنه -: أنا، قال: (فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟)، قال أبو بكر - رضي الله عنه -: أنا، قال: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟»، قال أبو بكر - رضي الله عنه -: أنا، فقال رسول الله ﷺ: (مَا اجْتَمَعَنَ فِي أَمْرِي إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ) (١).

واعلم أن عيادة المريض، ورد السلام، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس، والنصيحة، وحسن الجوار من حقوق إخوانك عليك لما ورد من أحاديث كثيرة في ذلك، منها ما جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ) (٢).

وفي رواية لمسلم بلفظ: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ)، وذكر السادس بقوله: (وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ) (٣).

ولما ورد في الحديث الآخر عن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (فُكُّوا الْعَائِي - يَعْنِي الْأَسِيرَ - وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعَوِّدُوا الْمَرِيضَ) (٤).

(١) صحيح مسلم: ٧١٣/٢.

(٢) صحيح البخاري: ٤١٨/١ واللفظ له، صحيح مسلم: ١٧٠٤/٤.

(٣) صحيح مسلم: ١٧٠٥/٤.

(٤) صحيح البخاري: ١١٠٩/٣.

## المبحث الثاني والعشرون الحرص على البقاء على طهارة

أخي الصائم! إن من شيم الصالحين البقاء على الطهارة، والمسارة إلى رفع الحدّث؛ صغيراً كان أم كبيراً.

قال النووي: «يستحب تقديم غسل الجنابة من جماع أو احتلام على طلوع الفجر، والأحاديث الصحيحة في تأخيره محمولة على بيان الجواز وإلا فالكثير من رسول الله ﷺ تقديمه على الفجر»<sup>(١)</sup>.

وأما بالنسبة للصيام فيصح صيام من واقع زوجته ليلاً وأصبح جنباً، وكذا يصح صيام من أصابته جنابة من احتلام في نومه ليلاً أو نهاراً ولا حرج عليه في تأخير الغسل حتى يطلع الفجر، وإنما يفسده الجماع نهاراً من طلوع الفجر إلى غروب الشمس<sup>(٢)</sup>، فاحذر ذلك وتنبه له وكن بعيداً كل البعد عن مسبباته.

وليحرص الصائم أن يبيت على طهارة، فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ بَاتَ طَاهِرًا بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ فَلَا يَسْتَيْقِظُ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فَلَانَ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا)<sup>(٣)</sup>.

وعن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَبِيْتُ عَلَى ذَكَرٍ طَاهِرًا فَيَتَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَسْأَلِ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ<sup>(٤)</sup>.

(١) المجموع (٦/٣٩٨).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١٠/٣٢٧).

(٣) صحيح ابن حبان: ٣/٣٢٨، وصححه الألباني في صحيح الترغيب للمنزدي: ١/٢٤٥. والشعار: ما يلي البدن من ثوب وغيره

(٤) سنن أبي داود: ٤/٣١٠، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ١/٢٤٥، وصحيح

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: (طَهَّرُوا هَذِهِ الْأَجْسَادَ، طَهَّرَكُمُ اللَّهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَبِيْتُ طَاهِرًا إِلَّا بَاتَ مَعَهُ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ، لَا يَتَقَلَّبُ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا)<sup>(١)</sup>.

قال المناوي: «قال الطيبي: عبّر بقوله: «يتعار» دون يهب أو يستيقظ ونحوهما لزيادة معنى، أراد أن يخبر من هب من نومه ذاكراً لله مع الهبوب فيسأل الله خيراً أنه يعطيه، فأوجز فقال: «يتعار» ليجمع بين المعنيين، وإنما يوجد ذلك عند من تعود الذكر فاستأنس به وغلب عليه حتى صار الذكر حديث نفسه في نومه ويقظته، وصرح عليه الصلاة والسلام باللفظ وعرض بالمعنى، وذلك من جوامع الكلم التي أوتيتها.

وظاهر قوله: «يبيت» أي أن ذا خاص بنوم الليل واشترط في ذلك المبيت على طهر» أه<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: «والطهارة عند النوم قسامان: طهارة الظاهر، وهي معروفة، وطهارة الباطن وهي بالتوبة، وهي أكد من الظاهرة، فربما مات في نومه وهو متلوث بأوساخ الذنوب، فيتعين عليه التوبة وأن يزيل من قلبه كل غش وحقن ومكروه لكل مسلم»<sup>(٣)</sup>.

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: (مَا مِنْ أَمْرٍ تَكُونُ لَهُ صَلَاةٌ بَلِيلٍ، فَيَغْلِبُهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ صَلَاتِهِ، وَكَانَ نَوْمُهُ عَلَيْهِ

(١) رواه الطبراني في الأوسط: ٢٠٤/٥ رقم ٥٠٨٧، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب: ٢٤٥/١،

وصحيح الجامع: ٣٨٣١

(٢) فيض القدير: ٤٩٧/٥.

(٣) فيض القدير: ٢٧١/٤.

صَدَقَّةً<sup>(١)</sup>.

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (مَنْ آتَى فِرَاشَهُ، وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ حَتَّى أَصْبَحَ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَّةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ)<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي ذر أو أبي الدرداء - شك شعبة - قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا مِنْ عَبْدٍ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِقِيَامِ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ فَيَنَامُ عَنْهَا، إِلَّا كَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً تَصَدَّقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ، وَكُتِبَ لَهُ أَجْرُ مَا نَوَى)<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام أبو الوليد الباجي - رحمه الله - : «قوله: إلا كتب له أجر صلاته: يريد الصلاة التي اعتادها، ويحتمل ذلك عندي وجوهاً: أحدها: أن يكون له أجرها غير مضاعف ولو عملها لكان أجرها مضاعفاً، لأنه لا خلاف أن الذي يصلّيها أكمل حالاً، ولذلك قال ﷺ لعلي وفاطمة: (أَلَا تُصَلِّيَانِ) فلما قال له علي - رضي الله عنه - : إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثها بعثها، خرج رسول الله ﷺ يضرب فخذه ويقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [سورة: الكهف، آية: ٥٤]<sup>(٤)</sup>.

ويحتمل أن يريد أن له أجر من تمنى أن يصلي مثل تلك الصلاة، ولعله أراد أجر تأسفه على ما فاته منها<sup>(٥)</sup>.

(١) موطأ مالك: ١/١١٧، سنن أبي داود: ٢/٣٤، سنن النسائي: ٣/٢٥٧، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب: ١/٢٤٦، وصححه في صحيح الجامع: ٥٥٦٧.

(٢) سنن النسائي: ٣/٢٥٨، سنن ابن ماجه: ١/٤٢٦، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ٥٨١٧.

(٣) صحيح ابن حبان مرفوعاً: ٦/٣٢٣، صحيح ابن خزيمة موقوفاً: ٢/١٩٦، وقال الألباني: حديث صحيح، صحيح الترغيب والترهيب: ١/٢٤٦.

(٤) صحيح البخاري: ١/١٧٩.

(٥) المنتقى شرح الموطأ: ١/٢١١.

وقال العلامة أبو الطيب أبادي: «إلا كتب له أجر صلاته» يفيد أنه يكتب له الأجر وإن لم يقض، فما جاء من القضاء فللمحافظة على العادة ولمضاعفة الأجر والله أعلم<sup>(١)</sup>. انتهى كلامه.

قوله: «وكان نومه صدقة عليه» قال الباجي: «يعني أنه لا يحتسب عليه به، ويكتب له أجر المصلين»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: (مَنْ تَعَارَّ مِنْ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا اسْتَجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ)<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ في الفتح: «قال في المحكم: تعار الظليم معارة: صاح، والتعار أيضاً: السهر والتمطي والتقلب على الفراش ليلاً مع كلام، وقال الأكثر: التعار اليقظة مع صوت، وقال ابن التين: إن معنى تعار استيقظ لأنه قال: من تعار فقال، فعطف القول على التعار.

ويحتمل أن تكون الفاء تفسيرية لما صوت به المستيقظ لأنه قد يصوت بغير ذكر، فخص الفضل المذكور بمن صوت بها ذكر من ذكر الله تعالى، وهذا هو السر في اختيار لفظ تعار دون استيقظ أو انتبه وإنما يتفق ذلك لمن تعود الذكر واستأنس به وغلب عليه حتى صار حديث نفسه في يقظته ونومه، فأكرم من اتصف بذلك

(١) عون المعبود: ٤/١٣٩.

(٢) المتقى شرح الموطأ: ١/٢١١.

(٣) صحيح البخاري: ١/٣٨٧.

بإجابة دعوته وقبول صلاته<sup>(١)</sup>.

ثم قال الحافظ: «قال ابن بطال: وعد الله على لسان نبيه أن من استيقظ من نومه لهجاً لسانه بتوحيد ربه والإذعان له بالملك، والاعتراف بنعمه، ويحمده عليها، وينزهه عما لا يليق به بتسيححه والخضوع له بالتكبير والتسليم له بالعجز عن القدرة إلا بعونه، أنه إذا دعاه أجابه، وإذا صلى قبلت صلاته، فينبغي لمن بلغه هذا الحديث أن يغتنم العمل به ويخلص نيته لربه سبحانه وتعالى»<sup>(٢)</sup>.

"قال أبو عبد الله الفريابي الراوي عن البخاري: «أجريت هذا الذكر على لساني عند انتباهي ثم نمت فأتاني آت فقرأ: ﴿وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾"<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَعَافَانِي فِي جَسَدِي، وَأَذَنَ لِي بِذِكْرِهِ)<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي مسعود - رضي الله عنه - قال: من قال في قيام الليل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، كان له مثل أجر أو قال: من الأجر كألف ألف حسنة<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*\*

(١) فتح الباري: ٤٠/٣، بتصرف.

(٢) المصدر السابق: ٤١/٣.

(٣) فتح الباري: ٤١/٣.

(٤) سنن الترمذي: ٤٧٢/٥، سنن النسائي في الكبرى: ٢١٧/٦، وحسنه الألباني في صحيح الجامع:

٣٢٩.

(٥) التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا: ص ٣٨٠، وللمزيد انظر: رهبان الليل، سيد بن حسين العفاني

(١/١٣١-١٣٦).

## المبحث الثالث والعشرون الاجتهاد في السنن

فالمحافظة على التطوعات، وفي مقدمتها: السنن الرواتب التي حافظ عليها رسول الهدى ﷺ، وحث عليها، وأكدها: ركعتا الفجر، وذكرت عائشة -رضي الله عنها- (أن النبي ﷺ لم يكن على شيء من النوافل أشدَّ معاهدةً منه على ركعتين قبل الصُّبح) <sup>(١)</sup>، وفي لفظ: (ما رأيت رسول الله ﷺ في شيء من النوافل أسرع منه إلى الركعتين قبل الفجر) <sup>(٢)</sup>، وقال: (ركعتا الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها) <sup>(٣)</sup>، وفي لفظ: (أحبُّ إليَّ من الدنيا جميعاً) <sup>(٤)</sup>، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (لَا تَدْعُوهُمَا وَإِنْ طَرَدَتْكُمُ الْخَيْلُ) <sup>(٥)</sup>.

ويستحب تخفيفها، فإن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (كان رسول الله ﷺ يُصَلِّي رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ فَيُخَفِّفُ حَتَّى إِنْ أَقُولُ هَلْ قَرَأَ فِيهِمَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ؟) <sup>(٦)</sup>، ويستحب أن يقرأ فيها: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [سورة: الكافرون، آية: ١] و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة: الإخلاص، آية: ١] لما روى أبو هريرة -رضي الله عنه- (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ فِي رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾) <sup>(٧)</sup>، وقال

(١) صحيح البخاري: ١/٣٩٣، صحيح مسلم: ١/٥٠١.

(٢) هذا لفظ مسلم، راجع تخريج الحديث السابق.

(٣) صحيح مسلم: ١/٥٠١.

(٤) صحيح مسلم: ١/٥٠٢.

(٥) سنن أبي داود: ٢/٢٠.

(٦) صحيح البخاري: ١/٣٩٣، صحيح مسلم: ١/٥٠١.

(٧) صحيح مسلم: ١/٥٠٢.

وقال ابن عمر: (رَمَقْتُ النَّبِيَّ ﷺ شَهْرًا، فَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾) (١) (٢).

ومن السنن الرواتب: أربع ركعات قبل العصر، لما رواه أبو داود من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (رَحِمَ اللَّهُ أُمَّرَأً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا) (٣).

وقبل الظهر أربع؛ لما روى عبد الله بن شقيق - رضي الله عنه - قال: سألت عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ، عن تطوعه فقالت: (كان يُصَلِّي فِي بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ، وَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ... (٤) الحديث (٥).

ويستحب فعل السنن في البيت؛ لحديث ابن عمر - رضي الله عنهما -: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ رَكْعَتَيْنِ وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ وَبَعْدَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ وَبَعْدَ الْعِشَاءِ رَكْعَتَيْنِ) (٦)، وقال أبو داود: "ما رأيت أحمد ركعها - يعني ركعتي الفجر - في المسجد قط، إنما كان يخرج فيقعده في المسجد حتى تقام الصلاة" (٧).

(١) سنن الترمذي: ٢/٢٧٦، سنن النسائي: ٢/١٧٠، سنن ابن ماجه: ١/٣٦٣.

(٢) المغني (١/٤٣٤).

(٣) سنن أبي داود: ٢/٣٢، سنن الترمذي: ٢/٢٩٥.

(٤) صحيح مسلم: ١/٥٠٤.

(٥) المغني (١/٤٣٤).

(٦) صحيح البخاري: ١/٣١٦.

(٧) المغني (١/٤٣٥).



ومن ذلك المحافظة على الوتر ، وكما قال الرسول ﷺ: (صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمْ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُؤْتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى) (١).

والوتر ركعة، قال أحمد: "إنا نذهب في الوتر إلى ركعة، وممن روى عنه ذلك: عثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص، وزيد بن ثابت، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأبو موسى، ومعاوية، وعائشة رضي الله عنهم، وفعل ذلك معاذ القاري، ومعه رجال من أصحاب رسول الله ﷺ، لا ينكر ذلك منهم أحد، وقال ابن عمر: الوتر ركعة، كان ذلك وتر رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وعمر" (٢).

وقد روى أبو أيوب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (الْوِتْرُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُؤْتِرَ بِخَمْسٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُؤْتِرَ بِثَلَاثٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُؤْتِرَ بِوَاحِدَةٍ فَلْيَفْعَلْ) (٣).

ومن ذلك: صلاة الضحى، وهي مستحبة، لما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: (أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكَعَتَيْ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ) (٤).

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: (أَوْصَانِي حَبِيبِي ﷺ بِثَلَاثٍ لَنْ أَدْعَهُنَّ مَا عِشْتُ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةِ الضُّحَى، وَبِأَنْ لَا أَنَامَ حَتَّى أُوتِرَ) (٥).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) المغني (١/٤٤٧).

(٣) سنن أبي داود: ٢/٦٢، سنن النسائي: ٣/٢٣٨، سنن ابن ماجه: ١/٣٧٦.

(٤) صحيح البخاري: ٢/٦٩٩، صحيح مسلم: ١/٤٩٩.

(٥) رواه مسلم (رقم: ٧٢٢)، وأبو داود (رقم: ١٤٣٣).

وروى أبو ذر عن النبي ﷺ أنه قال: (يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى) (١).

وأقلها: ركعتان، لهذا الخبر المتقدم، وأكثرها: ثمان؛ لما روت أم هانئ - رضي الله عنها - (إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ بَيْتَهَا يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ، فَاعْتَسَلَ وَصَلَّى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ، فَلَمْ أَرَ صَلَاةً قَطُّ أَخَفَّ مِنْهَا، غَيْرَ أَنَّهُ يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ) متفق عليه (٢).

ووقتها: إذا علت الشمس واشتد حرها؛ لقول النبي ﷺ: (صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ حِينَ تَرْمِضُ الْفِصَالُ) (٣) (٤).

\*\*\*\*

(١) صحيح مسلم: ٤٩٨/١.

(٢) صحيح البخاري: ٣٩٤/١، صحيح مسلم: ٤٩٧/١.

(٣) صحيح مسلم: ٥١٥/١.

(٤) انظر: المغني (١/٤٣٧).

## المبحث الخامس والعشرون البر بالوالدين

إن من الصفات اللازمة للمسلم التقي أن يكون بارًا بوالديه، لطيفاً بهما، سامعاً لأوامرهما، وصدق الله القائل: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [سورة: الإسراء، آية: ٢٤] ربياني على الهداية والاستقامة والصلاة والصيام وغيرها من شعائر العبادات، فضلاً عن الرعاية والاهتمام، لأن الذي رباه على الصوم وعلمه آدابه وأخلاقه والداه، فيزداد برًا بهما وطاعة لهما ودعاءً لهما، وهذا قليل من كثير من حقوقهما.

فأوصيك بالدعاء لهما أحياءً وأمواتاً فهم في أمس الحاجة إلى ذلك؛ خصوصاً في هذا الشهر الفضيل، وقرأ هذا الحديث وتمعن في قراءته، فقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنِّي هَذَا، فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ) <sup>(١)</sup>.

واعلم أن هذا هو هدي أنبياء الله ورسله.

أخي الصائم: اعلم أن حق الوالدين عظيم، ولذلك قدمه رسول الله ﷺ على الجهاد في سبيل الله، ففي الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: (الصَّلَاةُ عَلَى وَفَّيْهَا)، قال: ثم أي؟ قال: (تُحِبُّ الْوَالِدَيْنِ)، قال: ثم أي؟ قال: (الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) <sup>(٢)</sup>.

(١) سنن ابن ماجه: ١٢٠٧/٢ واللفظ له، مسند أحمد بن حنبل: ٥٠٩/٢.

(٢) صحيح البخاري: ١/١٩٧، صحيح مسلم: ١/٩٠.

فاتق الله فيهما، وتلطف معهما، وتدلل لهما قولاً وفعلاً، وتذكر قول الله عز وجل: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [سورة: الإسراء، آية: ٢٤] تواضع لهما بفعلك وقل: ربّ ارحمهما في كبرهما وعند وفاتهما.

قال عروة: إن أغضباك فلا تنظر إليهما شزراً، فإن أول ما يعرف به غضب المرء شدة نظره إلى من غضب عليه<sup>(١)</sup>.

فاجتهد في برهما واحترامهما وتقدير سنهما، واعلم أن ذلك من شكرهما على ما قدما من جهد وبذل ورعاية وعناية وتربية، وصدق الله القائل: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمُصِيرِ﴾ [سورة: لقمان، آية: ١٤].

\*\*\*\*

## المبحث السادس والعشرون

## العدل والإنصاف

إن الإنصاف والتجرد من حظوظ النفس والهوى، طمعًا في الأجر والثواب والدرجات العلى في جنات الفردوس؛ من صفات المؤمنين. وهو من كمال الإيثار، فإن أهل الفهم يجاذرون تكميل النفس والاندفاع خلف الهوى، فالحق ضالة المؤمن.

وقال بعض الحكماء: «لا يعد الرجل عاقلاً حتى يستكمل ثلاثاً: إعطاء الحق من نفسه في حال الرضى والغضب، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه، وألا يرى له زلة عند صحو»<sup>(١)</sup>.

وقال غيره: «الأحمق يغضب من الحق، والعاقل يغضب من الباطل»<sup>(٢)</sup>.

قال جعفر بن محمد: «ما ناصح الله عبد مسلم في نفسه فأخذ الحق لها وأعطي الحق منها إلا رزق خصلتان: رزق من الله يقنع به، ورضى من الله عنه»<sup>(٣)</sup>.

والإنصاف من بركة العلم وآدابه، ومن لم ينصف لم يفهم ولم يتفهم.

وقال بعض العلماء: «ليس معي من العلم إلا أني أعلم أني لست أعلم»<sup>(٤)</sup>.

وقال علي رضي الله عنه: «الإعجاب آفة الألباب»<sup>(٥)</sup>.

وقال غيره: «إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله»<sup>(٦)</sup>.

(١) الآداب الشرعية، لابن مفلح (١/٧١).

(٢) الآداب الشرعية، لابن مفلح (١/٧٢).

(٣) الآداب الشرعية، لابن مفلح (١/٧٢)، وانظر: المنتقى لابن عبد البر (ص: ٢٥٥).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/١٣١).

(٥) جامع بيان العلم وفضله (١/١٤٣).

(٦) جامع بيان العلم وفضله (١/١٤٣).

وإليك أخي الصائم بعض القصص التي تدل على عقل السلف وإنصافهم في هذا الباب:

١- قال الإمام ابن عبد البر: «وروى سفيان بن عيينة عن ابن أبي حسين قال: اختلف ابن عباس وزيد في الحائض تنفر (أي في الحج)، فقال زيد: لا تنفر حتى يكون آخر عهدها الطواف بالبيت، فقال حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس لزيد: سل نسياتك أم سليمان وصويحباتها، فذهب زيد فسألهن ثم جاء وهو يضحك فقال: القول ما قلت».

٢- عن عبد الله بن سعيد بن محمد الحداد عن أبيه قال: سمعت سحنون يقول: سمعت عبد الرحمن بن القاسم قال لمالك: ما أعلم أحدًا أعلم بالبيوع من أهل مصر، فقال مالك: وبم ذلك؟ قال: بك، قال: فأنا لا أعرف البيوع فكيف يعرفونها بي<sup>(١)</sup>.

فمن العقل: الإنصاف من النفس وقبول الأعذار عند الخطأ.

أخي الصائم! احذر قلة الإنصاف فإنها خصلة قبيحة، تنساق بصاحبها إلى دركات سحيقة، فتقوده إلى الظلم والكبر والتزويد والاعتساف، وتنجر به إلى الصرم والهجر والقطيعة، قال الحكيم العربي:

وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الْإِنصَافِ قَاطِعَةً      بَيْنَ الرَّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمٍ<sup>(٢)</sup>

ثم إن قلة الإنصاف تُسقط الاحترام من العيون والقلوب، وتحول بين الرجل وبين أن يزداد علمًا وفضلًا، كما أنها تحذل العلم، وتطمس شيئًا من معاملة، كما أنها تحدث فيه فسادًا عريضًا.

(١) جامع بيان العلم (١/١٣٢).

(٢) انظر: شرح ديوان أبي الطيب المتنبي: ٤/٢٤٨.

فإذا لم ينصفك محاورك فرد عليك الحق بالشمال واليمين، أو جحد جانباً من فضلك أو تعامى عما معك من الحق وهو يراه رأي العين، فلا تسايره في ذلك، ولا تكن قلة إنصافه حاملةً لك على أن تقابله بالعناد، فترد عليه حقاً، أو تجحد له فضلاً، فاحترس من أن تسري لك من محاورك عدوى هذا الخلق الممقوت فيلج في نفسك، وينشط له لسانك، وأنت تحسبه من قبيل محاربة الخصوم بمثل سلاحهم، كلا، لا يجارب الرجل خصومه بمثل اعتصامه بالفضيلة، ولا سيما فضيلة كفضيلة الإنصاف، فهي تدل على نفس مطمئنة، وأفق واسع، ونظر في العواقب بعيد.

ولئن كان الإنصاف جميلاً فلهو مع الأقران أجمل وأجمل، ذلك أن الرجل يسهل عليه أن ينصف من هو أكبر منه سنّاً أكثر مما يسهل عليه أن ينصف قرينه، ذلك لأن أكبر عائق عن الإنصاف التحاسد، وحسد الإنسان لأقرانه أكبر وأشد من حسده للمتقدمين عليه في السن، بل يسهل عليه أن ينصف أقرانه أكثر مما يسهل عليه أن ينصف من هو أحدث سنّاً منه، إذ يسبق إلى ظنه أن ظهوره مزية لمن هو أحدث عهداً منه قد تفضي إلى أن يكون ذكره أرفع.

وفضل القرين على بعض أقرانه شائع أكثر من فضل المتأخر على المتقدم، وشيوع الشيء يجعله أهون على النفس مما هو أقل شيوعاً منه، عن عمر بن سعيد عن أمه قالت: قدم ابن عمر مكة فسألوه، فقال: أتجمعون لي يا أهل مكة المسائل وفيكم ابن أبي رباح - يعني عطاء -؟<sup>(١)</sup> فابن عمر - رضي الله عنه - كان صحابياً، وعطاء بن أبي رباح - رحمه الله - كان تابعياً، ومع ذلك أنصفه ابن عمر، ولم يغمطه حقه.

فينبغي للإنسان أن يتيقظ للأحوال التي تتقوى فيها داعية العناد، ويُعد للوقوف عند حدود الإنصاف، ومقاومة تلك الداعية ما استطاع من قوة.

كذلك لا يصعب على الرجل أن ينصف قريباً أو صديقاً، بل لا يصعب عليه أن ينصف من لا تربطه به قرابة، أو صداقة، ولا تبعده منه عداوة.

والإنصاف الذي قد يحتاج فيه إلى مراوضة النفس كثيراً أو قليلاً هو أن يبدي بعض أعدائه رأياً سديداً، أو يناقشه في رأي مناقشة صائبة فهذا موطن تذكير النفس بأدب الإنصاف، وإنذارها ما يترتب على العناد من إثم وفساد.

ومن الإنصاف الذي يدل على الرسوخ في الفضيلة: أن يتحدث الرجل عن خصمه، فينسب إليه ما يعرفه له من فضل، أنشد في مجلس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قول الشاعر:

فَتَمَّ كَأَن يُدْنِيهِ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ      إِذَا مَا هُوَ اسْتَعْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ  
كَأَنَّ الثَّرِيًّا عُلِّقَتْ بِجَبِينِهِ      وَفِي خَدِّهِ الشُّعْرَى وَفِي الْآخِرِ الْبَدْرُ

فلما سمعها علي - رضي الله عنه - قال: هذا طلحة بن عبيد الله، وكان السيف ليلتئد مجرداً بينها! (١).

وإن مما يعين على اكتساب فضيلة الإنصاف أن يجب المرء لإخوانه ما يحبه لنفسه، فذلك أقرب للتقوى، وأنفى للوحشة والبغضاء، وأدعى للرحمة والمودة والقربى، فأعدل السير أن تقيس الناس بنفسك، فلا تأتي إليهم إلا ما ترضى أن يؤتى إليك (٢).

(١) رسائل الإصلاح (١/٣٨).

(٢) الأدب الصغير والأدب الكبير (ص: ٧٣).



قال النبي ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) (١).

قال الخطابي:

أَرْضَ لِلنَّاسِ جَمِيعًا	مَثَلًا مَاتَرُضِي لِنَفْسِكَ
إِنَّمَا النَّاسُ جَمِيعًا	كُلَّهُمْ أَبْنَاءُ جُنُسِكَ
فَلَهُمْ نَفْسٌ كَنَفْسِكَ	وَهُمْ حَسْرٌ كَحَسْرِكَ (٢)

ومن الإنصاف أيضًا: أن يضع المرء نفسه موضع خصمه، فذلك مما يدعو لالتماس المعاذير، والبعد عن إساءة الظن، والحذر من مواطن الظلم والاعتساف. قال ابن حزم رحمه الله: «من أراد الإنصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه، فإنه يلوح له وجه تعسُفِهِ» (٣) (٤).

\*\*\*

(١) صحيح البخاري: ١٤/١، صحيح مسلم: ٦٧/١.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ٢٨٤/٣.

(٣) الأخلاق والسير (ص: ٨٠).

(٤) انظر: أخطاء في أدب المحادثة والمجالسة (ص: ٧١-٧٥).

## المبحث السابع والعشرون

### أداء العمرة في رمضان

إن من نعم الله وفضله على أمة محمد ﷺ أن شرع لها من العبادات ما عَظُم أجره وقل جهده، ومن ذلك: أداء العمرة في شهر رمضان المبارك، لما رواه ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ لما رجع من حجة الوداع قال لامرأة من الأنصار اسمها أم سنان: (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَحْجِي مَعَنَا؟)، قالت: لم يكن لنا إلا ناضحان، فحج أبو ولدها وابنها على ناضح، وترك لنا ناضحًا ننضح عليه، قال: (إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَاعْتَمِرِي، فَإِنَّ عُمْرَةَ فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً) <sup>(١)</sup>.

والمعنى أنها: تعدل في الأجر والثواب أجر وثواب الحجة مع رسول الله ﷺ، وهذا فضل من الله ونعمة ينبغي ألا تفوت على أصحاب الهمم العالية من المؤمنين الصادقين، مع صدق النية والتجرد والمحافظة على الصلوات الخمس جمعة وجماعة، مع الحرص والعناية بالأهل والأولاد، وألا يتركوا للسهر على الدشوش والقنوات الفضائية المحرمة، وللذهاب إلى الأسواق بلا مبرر أو ضرورة والوقوع في الحرام، فكل هذا يؤثر تأثيرًا عظيمًا على عبادتك ودينك، وينقص من أجر العمرة التي جئت من أجل أدائها.

واعلم أن قول المصطفى ﷺ: (تَعْدِلُ حَجَّةً) أي: تقابلها وتمثلها في الثواب، قال الطيبي: «وهذا من باب المبالغة وإلحاق الناقص بالكامل ترغيبًا وبعثًا عليه، وإلا كيف يعدل ثواب العمرة ثواب الحج»، فعلم أنها لا تقوم مقامها في إسقاط الفرض للإجماع على أن الاعتذار لا يجزئ عن فرض الحج، وفيه أن الشيء يشبه الشيء ويجعل عدله إذا أشبهه في بعض المعاني لا كلها، وأن ثواب العمل

(١) صحيح البخاري: ٢/٦٣١، صحيح مسلم: ٢/٩١٧.

يزداد بزيادة شرف الوقت كما يزيد بحضور القلب وخلص النية، فإن أفضل أوقات العمرة رمضان»<sup>(١)</sup>.

وهذا من فضل الله تعالى ونعمه على عباده، فقد صارت العمرة بمنزلة الحج في الثواب بانضمام رمضان إليها، وهذا يدل على أن ثواب العمل يزيد بزيادة شرف الوقت، كما يزيد بحضور القلب وخلص القصد، والله تعالى منعم متفضل، يتفضل بما يشاء على من يشاء فيما يشاء، لا معقب لحكمه، ولا رادّ لفضله.

والعمرة تحصل بأداء مناسكها، ولو لم يمكث المعتمر بعدها في مكة، لكن من وفقه الله تعالى للبقاء بجوار بيته الحرام شهر رمضان، أو ما تيسر منه فقد مُنح نعمة عظيمة لا يقدرها قدرها إلا الصالحون المشمرون الذين يدركون قيمة الأوقات الشريفة والأماكن الفاضلة.

إن بقاء الإنسان بجوار بيت الله الحرام في هذه الأيام المباركة له أثر كبير في نشاط المسلم وعبادته وإقباله على الله تعالى، معرضاً عن الدنيا بقلبه وقالبه، حافظاً لوقته، يسهل عليه فعل الطاعة من الصلاة والصدقة، والذكر وتلاوة القرآن.

وقد جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال ﷺ: (صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيْمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ)<sup>(٢)</sup>.

(١) فيض القدير (٤/٣٦١).

(٢) صحيح البخاري: ١/٣٩٨، صحيح مسلم: ٢/١٠١٣.

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيهَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيهَا سِوَاهُ) (١).

فعلى المسلم أن يستفيد من وقته، ويغتنمه في الأعمال الصالحة لشرف الزمان والمكان، وما هي إلا أيام معدوات تنقضي سريعاً، يربح فيها الممثل المطيع، ويخسر فيها العاصي المضيع، وعليه أن يصلي التراويح خلف الإمام، ولا ينصرف قبله، ليكتب له قيام ليلة، كما تقدم أول الكتاب.

ومن صحب أهله فعليه أن يحفظهم ويتفقدهم؛ فإن من الناس من يهمل نساءه وأولاده من بنين وبنات، فهم في لهو ولعب من خروج للأسواق وتسكع في الطرقات، وإيذاء لعباد الله، وفي هذا فساد عريض، وهذا من ضعف القوامة، وغلبة النساء والأولاد، نسأل الله السلامة، ومثل هؤلاء الأولياء بلدهم خير لهم لو كانوا يعلمون.

وعلى الإنسان أن يمنع نساءه من التطوع بالطواف طوال أيام الشهر رمضان، لما في ذلك من المحاذير العظيمة، بسبب الزحام طوال الأيام، بل إنني أنصح الرجل نفسه ألا يكثر من الطواف أوقات الزحام، بل يدع المجال لمن يطوف طواف النسك، وعليه أن يشتغل بالصلاة وتلاوة القرآن وغير ذلك من أنواع الطاعة.

وعلى المرأة المسلمة أن تعلم أن صلاتها في منزلها أفضل من صلاتها في المسجد سواء في مكة أو في غيرها؛ لعموم قوله ﷺ: (لَا تَمْتَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ،

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٣/٣٤٣، سنن ابن ماجه: ١/٤٥١، قال البوصيري في الزوائد (١/٤٥٣): "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات"، وصححه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٢١٤).

وَيَوْمِيَنَّ خَيْرٌ هُنَّ<sup>(١)</sup>. وذلك لأن صلاتها في بيتها أستر لها وأبعد عن الفتنة ومزاحمة الرجال، وإذا أرادت الخروج لصلاة التراويح أو التهجد فعليها أن تكون محتشمة بعيدة عن كل ما يثير، وعلى وليّها منعها من ذلك، وأن ينتبه لمثل هذه الأمور التي يغفل عنها كثير من الناس.

\*\*\*\*

(١) صحيح البخاري: ٣٠٥/١، صحيح مسلم: ٣٢٧/١، دون قوله: (وَيَوْمِيَنَّ . . .) فهي لأبي داود: ٥٥/١، من طريق آخر.

## المبحث الثامن والعشرون المسارعة إلى الخير

قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة: آل عمران، آية: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [سورة: المزمل، آية: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة: العنكبوت، آية: ٦٩].

وقال رسول الله ﷺ: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ) (١).

وقال رسول الله ﷺ: (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُضْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمِيسِي كَافِرًا، أَوْ يُمِيسِي مُؤْمِنًا وَيُضْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِّنَ الدُّنْيَا) (٢).

وقال رسول الله ﷺ: (المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضعيفِ، وفي كلِّ خيرٍ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان) (٣).

(١) سبق تحريجه.

(٢) صحيح مسلم: ١١٠/١.

(٣) صحيح مسلم: ٢٠٥٢/٤.

وفي الحديث القدسي: (يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصَيْهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ بِهَا) (١).

ولله در القائل:

إِنْ لَمْ تَكُنْ لِلْحَقِّ أَنْتَ فَمَنْ يَكُونُ

وَالنَّاسُ فِي مِحْرَابِ لَذَاتِ الدُّنْيَا عَاكِفُونَ (٢)

قال العلامة ابن رجب الحنبلي في كتابه «لطائف المعارف»: «لما سمع الصحابة - رضي الله عنهم - قول الله - عز وجل -: ﴿فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٤٨] وقوله: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة الحديد: ٢١]، فهموا أن المراد من ذلك أن يجتهد كل واحد منهم أن يكون هو السابق لغيره إلى هذه الكرامة، والمسارع إلى بلوغ هذه الدرجة العالية، فكان أحدهم إذا رأى من يعمل عملاً يعجز عنه خشي أن يكون صاحب ذلك العمل هو السابق له فيحزن لفوات سبقه، فكان تنافسهم في درجات الآخرة واستباقهم إليها، كما قال تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [سورة: المطففين، آية: ٢٦]، ثم جاء من بعدهم فعكسوا الأمر، فصار تنافسهم في الدنيا الدنية وحظوظها الفانية» (٣).

قال الحسن - رحمه الله -: «إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة»، وقال: «من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره».

(١) صحيح مسلم: ٤/١٩٩٤.

(٢) قصائد للفجر الآتي، مأمون جرار: ص ٧٢.

(٣) لطائف المعارف (ص: ٢٤٤).

وقال وهيب بن الورد: «إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل»، وقال بعض السلف: «لو أن رجلاً سمع برجل أطوع منه لله كان ينبغي أن يجزئه ذلك».

وقال رجل لمالك بن دينار: «رأيت فيما يرى النائم منادياً ينادي: الرحيل الرحيل، فما رأيت أحداً يرتحل إلا محمد بن واسع فصاح مالك وغشي عليه...» ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [سورة: الواقعة، آية: ١٠-١١].

قيل لبعض المجتهدين في الطاعات: لم تُعذب هذا الجسد؟ قال: كرامته أريد.

وَإِذَا كَانَتِ النَّفْسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ<sup>(١)</sup>

صاحب الهمة العلية، والنفس الشريفة التواقة لا يرضى بالأشياء الدنية الفانية، وإنما همته المسابقة إلى الدرجات الباقية.

قال عمر بن عبد العزيز: «إن لي نفساً تواقة، ما نالت شيئاً إلا تآقت إلى ما هو أفضل منه، وإنما لما نالت هذه المنزلة -يعني الخلافة- وليس في الدنيا منزلة أعلى منها، تآقت إلى ما هو أعلى منها -يعني الآخرة-».

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ<sup>(٢)</sup>

وجاءت مولاة لعمر بن عبد العزيز فقصت أنها رأت في المنام كأن الصراط قد نُصب على جهنم وهي تزفر على أهلها، وذكرت أنها رأت رجلاً مرواً على الصراط فأخذتهم النار، قالت: ورأيتك يا أمير المؤمنين وقد جيء بك، فوقع مغشياً عليه، وبقي زماناً يضطرب وهي تصيح في أذنيه: رأيتك والله قد نجوت<sup>(٣)</sup>.

(١) البيت للمتنبي، انظر: الحماسة الغربية: ٢/١٢٥٥.

(٢) البيت المتنبي، انظر: الحماسة المغربية: ١/٥٣٠.

(٣) انظر ما سبق في لطائف المعارف: ص ٢٤٤-٢٤٥.



أخي: لما علم الصالحون قصر العمر، وحثهم حادي: ﴿سَارِعُوا﴾ [سورة: آل عمران، آية: ١٣٣] طووا مراحل الليل مع النهار انتهابًا للأوقات، أصغ سمعك لنداء ربك: ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة: الذاريات، آية: ٥٠] وبادر طيِّ صحيفتك، واحسر عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الموتى، وشمّر للسباق غدًا، فإن الدنيا ميدان المتسابقين، واعلم أنها خلقنا لنحيا مع الخالق، ونافس في الفردوس فإن الرحمن - جل جلاله - قد غرس غراسه بيده.

يا إخوتاه: سيروا إلى ربكم سيرًا جميلًا.

أَيَا صَاحِ هَذَا الرِّكْبِ قَدْ سَارَ مُسْرَعًا

وَنَحْنُ قَعُودُ مَا الَّذِي أَنْتَ صَانِعُ

أَنْرَضِي، بِأَنْ تَبْقَى، الْمَخْلَفُ بَعْدَهُمْ

صَرِيحَ الْأَمَانِ وَالْغَرَامِ يَنَازِعُ

عَلَى نَفْسِهِ فَلَئِكَ مَنْ كَانَ بَاكِيًا

أَيَذْهَبُ وَقْتُ وَهُوَ بِاللَّهُوَ ضَائِعُ<sup>(١)</sup>

كن بقلبك بل بكلك مع القوم الذين قال عنهم ابن القيم في كتابه: «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»<sup>(٢)</sup>: «رفع لهم علم الجنة فشمروا إليه، ووضع لهم صراطها المستقيم فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر في أبد لا يزول ولا ينفد، بصباية عيش إنما هو كأضغاث أحلام، أو كطيف زار في المنام، مشوب بالنعص، ممزوج بالنعص،

(١) ص ٤ بتصرف يسير.

(٢) النجوم الزاهرة: ٢٨٠/٨.

إن أضحك قليلاً أبكى كثيراً، وإن سر يوماً أحزن شهوراً، آلامه تزيد على لذاته، وأحزانه أضعاف أضعاف مسرّاته، أوله مخاوف، وآخره متالف...»<sup>(١)</sup>.

أخي: استجلب نور القلب بدوام الجِد، إنه استعلاء ثمّنه التعب، ليكن شعارك الصبر وراحتك التعب.

إن الداعية المسلم لا يملك نفسه حتى يسوغ له أن يمنح نفسه إجازة، وإنها هو وقف لله تعالى.

واعلم أخي الكريم أن الراحة للرجال غفلة، كما يقول الفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وأتعب الناس من جلّت مطالبه.

قال شعبة: لا تقعدوا فراغاً فإن الموت يطلبكم.

سأل سائل ابن الجوزي: أيجوز أن أفسح لنفسي في مباح الملاهي؟ فقال له: عند نفسك من الغفلة ما يكفيها.

يقول ابن القيم: لا بد من سنة الغفلة ورقاد الغفلة، ولكن كن خفيف النوم.

وانتبه من رَقْدَةِ الْغَفْلَةِ فَالْعُمُرُ قَلِيلٌ وَاطَّرِحَ سَوْفَ وَحَتَّى فَهْمَا دَاءٌ دَخِيلٌ<sup>(٢)</sup>

فاخلع الراحة أخي الكريم، وليكن شعارك قول معلم الخير أحمد بن حنبل لابنه: «يا بني لقد أعطيتُ المجهود من نفسي».

رحمك الله يا ابن حنبل نفس هُوها التعب.

(١) انظر: رهبان الليل، سيد بن حسن العفاني (١/ ٣٥-٤٧).

(٢) التبصرة لابن الجوزي: ١/ ٩٦.

استمع إليه حين يُسأل: متى يجد العبد طعم الراحة؟ فيقول: عند أول قدم تضعها في الجنة.

طوبى لمن أظماً نفسه ليوم الري الكامل، طوبى لمن جوع نفسه ليوم الشبع الأكبر، طوبى لمن ترك شهوات حياة عاجلة إلى نعيم حياة آجلة وموعد غيب لم يره<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*

(١) انظر: ما سبق في رهبان الليل، سيد بن حسين العفاني (١/٣٥-٤٧).

## المبحث التاسع والعشرون صلة الأرحام

إن مما ينبغي للصائم أن يقوم به ويجعله من أولياته اليومية: صلة الرحم، ولقد كان الأمر بصلة الرحم من محكمات الشرائع التي اتفق عليها جميع الرسل عليهم السلام، وأخذ الله الميثاق بها على من قبلنا من الرسل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهََ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [سورة: البقرة: آية: ٨٣].

وبالنظر في شريعتنا الإسلامية نجد أن الأمر بصلة الرحم كان من أوائل الأوامر المكية حتى أنه لا تكاد تُذكر دعوة النبي ﷺ إلا ويُذكر أنه يأمر بالصلة وينهى عن القطيعة، قال عمرو بن عبسة السلمي: دخلت على النبي ﷺ فسألته: ما أنت؟ قال: (أنا نبي). فقلت: وما نبي؟ قال: (أرسلني الله). فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: (أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يُشرك به شيء). قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: (حُرٌّ وَعَبْدٌ). قال: ومعه يومئذ أبو بكرٍ وبلالٌ ممن آمن به<sup>(١)</sup>.

وفي سؤال النجاشي لجعفر، وسؤال هرقل لأبي سفيان عما يدعو إليه النبي ﷺ، وهو سؤال أسس الإسلام وأوليَّاته أخبراهما أن النبي ﷺ جاء بصلة الأرحام، ونهى عن قطيعتها؛ مما يدل على أن صلة الأرحام أساس في الإسلام، وأن الأمر بها جاء في بداية بناء الشريعة.

وقد قرنها الله تعالى مع الإيمان وعدها من البر المأمور به، قال تعالى: ﴿وَلَا كِنِّ الْبِرِّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٧٧]، إلى أن قال:

(١) صحيح مسلم: ٥٦٩/١.

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [سورة: النساء، آية: ٣٦]، وقال النبي ﷺ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحْمَةً) <sup>(١)</sup>.

والنبي ﷺ حين دعا قومه فكذبوه ذكرهم بالقربى؛ لأهميتها، وطلب منهم أن يعاملوه معاملة القريب لا معاملة العدو؛ لأنه بدعوته لهم عاملهم بذلك، ولا يريد منهم أجراً عليها، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [سورة: الشورى، آية: ٢٣]، ولما دعا عشيرته على الصفا في أول صدعه بالحق ذكر الرحم فقال: (فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَابَّلَهَا بِبِلَالِهَا) <sup>(٢)</sup>، فجعل للرحم حرارة تطفأ بماء الصلة.

وصلة القريب حق أوجهه الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [سورة: الإسراء، آية: ٢٦]، ولو أخطأ القريب على قريبه فلا يسقط حقه من الصلة مهما كان خطؤه، وقد أخطأ مسطح على أبي بكر حين خاض في الإفك، فعزم أبو بكر على قطع صلته عنه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ﴾ [سورة: النور، آية: ٢٢]، فعاد أبو بكر رضي الله عنه إلى صلته <sup>(٣)</sup>.

أخي الصائم: اعلم أن الله تعالى قد قطع كل توارث إلا توارث القرابة، قال تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [سورة: الأنفال، آية: ٧٥]، وقدمهم في الإنفاق على غيرهم، وجعلهم بعد الوالدين، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ٢١٥].

(١) صحيح البخاري: ٢٢٧٣/٥، صحيح مسلم: ٦٨/١.

(٢) صحيح البخاري: ١٠١٢/٣، صحيح مسلم: ١٩٢/١.

(٣) صحيح البخاري: ٩٤٢/٢، صحيح مسلم: ٢١٢٩/٤.

وجاءت الشريعة الإسلامية بالنهي الشديد عن التفاخر بالأنساب؛ لأنها من أعمال الجاهلية، ومعلوم أن تعلّم الأنساب والاشتغال بها مظنة للتفاخر بها، لكن هذه المفسدة المظنونة ملغاة؛ لتحقيق مصلحة أعظم وهي صلة الرحم، فأمر النبي ﷺ بتعلم النسب لأجل ذلك وقال: (تَعَلَّمُوا مِنْ أُنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ) <sup>(١)</sup>. وفي رواية: (اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم، فإنه لا قرب لرحم إذا قطعت وإن كانت قريبة، ولا بعد لها إذا وصلت وإن كانت بعيدة) <sup>(٢)</sup>.

وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على المنبر: "تعلموا أنسابكم ثم صلوا أرحامكم والله إنه ليكون بين الرجل وبين أخيه شيء ولو يعلم الذي بينه وبينه من داخله الرحم لأوزعه ذلك عن انتهاكه" <sup>(٣)</sup>.

وأخبر أبو ذر رضي الله عنه (أن النبي ﷺ أوصاه أن يصل أرحامه وإن أدبرت) <sup>(٤)</sup>.

وتأمل -أخي الصائم- عظيم أمر صلة الرحم في هذا الحديث العظيم، إذ روت عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ) رواه مسلم <sup>(٥)</sup>.

وفي حديث آخر: (إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ. فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتَهُ وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتَهُ) <sup>(٦)</sup>.

(١) سنن الترمذي: ٤/٣٥١، مسند أحمد بن حنبل: ٢/٣٧٤.

(٢) المستدرک علی الصحیحین: ١/١٦٥، سنن البيهقي: ١٠/١٥٧.

(٣) صحيح البخاري في الأدب المفرد: ١/٣٩.

(٤) صحيح ابن حبان: ٢/١٩٤، مسند أحمد بن حنبل: ٥/١٥٩.

(٥) صحيح مسلم: ٤/١٩٨١.

(٦) صحيح البخاري: ٥/٢٢٣٢.

وامتدح الله الواصلين لأرحامهم، فقال تعالى: ﴿يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [سورة: الرعد، آية: ٢١]، وذم القاطعين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [سورة: الرعد، آية: ٢٥].

أخي الصائم: رغم تطور وسائل المواصلات والاتصال التي قربت كل بعيد، ويسرت التواصل بين الناس، وقطعت كل عذر للقطيعة، فإن كثيراً من الناس لم يوفقوا لصلة أرحامهم، ومنهم من لم يسلموا من قطيعتها، وهذا من الخذلان وعدم التوفيق، ومن قلة البركة فيما رزقهم الله من وسائل الاتصال والمواصلات.

إن اختلاف الطباع والعقول وطرائق التفكير والتباين في المعرفة والاهتمامات بين القرابة أسباب تجعل أناساً منهم لا يحتملون قرابتهم، ولا يجنون مجالستهم، ولا يأنسون بالحديث معهم؛ لبعد ما بينهم، لكن ليس للمسلم اختيار في ذلك؛ فإنه إن اختار جلساءه وزملاءه فلا خيار له في قرابته، فعليه أن يحتمل جهلهم، ولا يغير بمعرفته عليهم، ويجتهد في صلتهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وأحياناً تكون قطيعة الرحم بأسباب فتن وإحن بين القرابات سعى بها واشٍ بينهم يوحد نارها لغرض في نفسه؛ فاستحوذ عليهم لضعف عقولهم، وسوء ظنونهم، وعدم قدرتهم على صد الوشاة عنهم، وإلا فمن نقل لك نقل عنك، أو تكون القطيعة بسبب إرث اختلفوا في قسمته، واتهم بعضهم بعضاً بالاستئثار به، أو بسبب عداوات قديمة ورثوها عن آبائهم وكل أولئك يجب على المؤمن بعظيم حق الرحم أن يتجاوزها، ولا يجعلها عوائق عن واجب الصلة ولا يقدر على ذلك إلا الأقوياء من الناس، الذين يجعلون رضا الله تعالى فوق أي اعتبار مهما كان.

ومن الخذلان العظيم، والإثم المبين أن يبتلى الرجل بقطيعة أقرب الناس إليه من إخوانه وأخواته وأعمامه وعماته وأخواله وخالاته ثم يعدي هذه الكبيرة من الذنوب لزوجته وولده فيأمرهم بها، ويقصرهم عليها، ويعاقبهم على صلتهم لو وصلوا أرحامهم فيحمل وزره مع وزرهم، ويكون داعياً للإثم والعدوان والبغي.

إن النفوس الكبيرة هي التي تحتمل أذى القرابة، ولا تحتمل في دواخلها شيئاً عليهم مهما فعلوا، وتؤدي حقوقهم ولو قوبلت على إحسانها بالإساءة، وعلى صلتها بالقطيعة؛ فإن مطلوب المؤمن رضا الله تعالى لا رضا خلقه، وغايته أن يكون عبداً لله تعالى وليس متبعاً لما تهوى نفسه.

وتأمل -أخي الصائم- قول النبي ﷺ: (أَنْ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ الصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ) <sup>(١)</sup>. والكاشح هو المبغض المعادي، فانظر كيف جعل النبي ﷺ صلته أفضل من صلة القريب المحب، وسبب ذلك أن الإخلاص في هذه الصلة متمحض؛ وقد تزيل هذه الصلة بغضه وعداوته فتكون سبباً في سلامته من الإثم، وأما صلة القريب المحب فإن النفوس تهواها وتميل إليها.

أخي الصائم: اتق الله وصل أرحامك في رمضان وغيره، واحذر القطيعة، وربّ أهلك وأولادك على الصلة؛ فإنها سبب لطول العمر وبسط الرزق، مع ما فيها من الثواب والأجر، واحرص وأنت تصل أرحامك على سؤالهم عن حالهم، فإنه أدعى لإدخال السرور عليهم وإشعارهم بأنك معهم في سرائهم وضررائهم، واغتنم فرصة هذا الشهر الكريم في دعوتهم إلى الخير والحق، واستثمر روح الإرادة التي جعلت الصائم يصوم نهار رمضان كاملاً، ومن كان كذلك فهو

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٤١٦/٥، سنن البيهقي: ٢٧/٧.



أدعى لقبول النصح والدعوة إلى الخير، واحرص على الهدية عند صلتك لأرحامك ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، فإنك بذلك تملك قلوبهم وتحوز محبتهم ورضاهم، وخص بذلك فقراء أرحامك وتفقّد محتاجيهم ومعوزيهم ومساكينهم، وقم بخدمتهم وأدّ حقوقهم.

وإن لم يكن التواصل ممكناً بالتزاور فليكن بالاتصال بوسائل الاتصال الحديث من هاتف وإنترنت وغير ذلك.

\*\*\*\*

## المبحث الثلاثون

### ترك المحرمات

أخي الصائم: إن الصوم فرصة للتغيير لمن ابتلاه الله تعالى بتعاطي الحرام، من خمر ومخدرات ، أو دخان و مسكرات ، أن لا يفعل بعد إفطاره ما يخل بهذه العزيمة القوية ، أو يوهنها ، أو يقلل من شأنها ، تلك العزيمة التي جعلته يمسك طوال ساعات النهار ، فيهدم في ليله ما بناه في نهاره من قوة الإرادة التي صبر بسببها عن محبوباته ومألوفاته . فما أحزمه لو استغل شهر الصيام كمدرسة يتدرب بها على هجر ما يكرهه هو ، أو يكرهه الشارع ، من مألوفاته التي اعتاد أكلها ، أو شربها ، أو مقاربتها . تالله ما أحزمه لو واصل هذه الحمية عن ذلك بالليل ، كما عملها في النهار<sup>(١)</sup> .

أخي الصائم : إني أشجع فيك إيمانك العظيم ، و يقينك بالله تعالى ، فمن الذي جعلك تمتنع عن تعاطي هذه السموم في وقت الصيام إلا خوفك من الجبار ، ومراقبتك للواحد القهار ، وإلا فَمَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْلَمُ أَنَّكَ صَائِمٌ أَوْ لَا ؟!! ولكن شعورك بنظر الله إليك ، ومراقبته لك ، صرفك عن تعاطي الحرام في وقت الصيام.

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ<sup>(٢)</sup>

وإني أتساءل بصدق . . الإرادة التي استطاعت أن تصوم لأكثر من اثنتي عشرة ساعة ، أتعجز عن مواصلة مسيرتها الإصلاحية ؟!! والعزيمة التي

(١) انظر: صفوة الآثار والمفاهيم (٣/٩١) .

(٢) انظر: حلية الأولياء: ٩/٢٢٠ .

صمدت عن تعاطي هذا البلاء ، لهذه الفترة الطويلة أثناء النهار . . أتتهار في آخر لحظات الإسفار ، وإرخاء الليل الستار؟!!

أين الهمة التي لا تقف أمامها الجبال الشامخات ؟ وأين العزيمة التي لا تصدها العاتيات !! استعن بالله تعالى على ترك هذا البلاء ، فالنصر صبر ساعة، والفرج قريب ، وإن الله مع الصابرين .

\*\*\*\*

## المبحث الحادي والثلاثون إخفاء الطاعات ما أمكن

إن إخفاء الطاعات من أجل الإخلاص لله من صفات سلف الأمة الصالح، فقد كانوا -رحمهم الله- يسترون عباداتهم ويخفون طاعاتهم، خوفاً من دواعي الرياء والسمعة ونحوه مما يخذش الإخلاص أو ينقصه، وهالك طرفاً من سيرهم وأخبارهم:

قال الزبير بن العوام -رضي الله عنه-: «أيكم استطاع أن يكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل»<sup>(١)</sup>.

وقال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: «إذا أصبحتم صياماً فأصبحوا مدهنين»<sup>(٢)</sup>.

وقال الحسن البصري -رحمه الله-: «إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقواماً ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدر على أن يعملوه في سر فيكون علانية أبداً»<sup>(٣)</sup>.

وقال -رحمه الله-: «إن كان الرجل ليجلس المجلس فتجيئه عبرته فيردها، فإذا خشي أن تسبقه قام»<sup>(٤)</sup>.

(١) الزهد لابن المبارك (رقم: ١١٠٩).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (رقم: ٩٧٥٧).

(٣) الزهد لابن المبارك (ص: ٤٥).

(٤) الزهد للإمام أحمد (ص: ٢٦٢).

وصام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله، وكان خزازًا يحمل معه غذاءه، فيتصدق به في الطريق ويرجع عشاءً فيفطر معهم<sup>(١)</sup>.

وكان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل، وكان علي بن الحسين -رحمه الله- قد وجدوا بظهره أثرًا مما كان ينقل الجرب بالليل إلى منازل الأرامل<sup>(٢)</sup>.

وهذه قصة عجيبة كلها دروس وعبر للإمام عبد الله بن المبارك، يقول ابن الجوزي في صفة الصفوة: «كان عبد الله بن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس، وكان ينزل الرقة في خان، فكان شابٌ يختلف إليه ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث، قال: فقدم عبد الله الرقة مرة فلم يرَ ذلك الشاب، وكان مستعجلًا فخرج في النفير، فلما قفل من غزوته ورجع الرقة سأل عن الشاب، فقالوا: إنه محبوس لدين ركبه، فقال عبد الله: وكم مبلغ دينه؟ فقالوا: عشرة آلاف درهم، فلم يزل يستقصي حتى دُلَّ على صاحب المال، فدعا به ليلاً ووزن له عشرة آلاف درهم، وحلفه أن لا يخبر أحدًا ما دام عبد الله حيًّا، وقال: إذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس»<sup>(٣)</sup>.

وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى يصلي فإذا دخل الداخل نام على فراشه<sup>(٤)</sup>.

(١) تاريخ دمشق (١٧/١٢٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/٣٩٣).

(٣) تاريخ بغداد (١٠/١٥٩)، وتاريخ دمشق (٣٢/٤٥٥).

(٤) سير أعلام النبلاء (٤/٢٦٤).

وكان عمل الربيع بن خثيم كله سرّاً، إن كان الرجل يجيء وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه<sup>(١)</sup>.

وخرج قوم في غزاة إلى كابل وفي الجيش صلة بن أشيم، فنزل الناس عند العتمة، فقال أحدهم: لأرْمَقن عمله فأنظر ما يذكر الناس من عبادته، فصلى العتمة ثم اضطجع، فالتمس غفلة الناس حتى إذا قلت: قد هدأت العيون وثب فدخل غيضة قريباً منا، ودخلت في إثره فتوضأ ثم قام يصلي<sup>(٢)</sup>.

وقال موسى بن يسار: صحبت محمد بن واسع من مكة إلى البصرة فكان يصلي الليل أجمع، يصلي في المحمل جالساً يومئ برأسه إيماءً، وكان يأمر الحادي يكون خلفه فيرفع صوته حتى لا يفطن له<sup>(٣)</sup>.

وكان محمد بن أسلم الطوسي يدخل بيتاً له ويغلق بابه، ولم أدر ما يصنع، حتى سمعت ابناً له صغيراً يحكي بكاءه، فنهته أمه، فقلت لها: ما هذا؟ قالت: إن أبا الحسن يدخل هذا البيت فيقرأ ويبكي؛ فيسمعه الصبي فيحكيه، وكان إذا أراد أن يخرج غسل وجهه واكتحل فلا يرى عليه أثر البكاء<sup>(٤)</sup>.

أخي الكريم! هذه حال السلف الصالح فأين موقعك ومكانك، بل وأين حالك من حالهم، فاجتهد في اللحاق بهم والتأسي بفعالهم، واصدق الله تبارك وتعالى وتجرد في نيتك، واسع إلى تحقيق مرضاة الله يرص الله عنك ويكتب لك التوفيق والقبول في الأرض.

\*\*\*\*

(١) صفة الصفوة (٢/١٠٧).

(٢) الزهد لابن المبارك (ص: ٢٩٥)، وصفة الصفوة (٣/٢١٧).

(٣) تاريخ دمشق (٥٦/١٥٢).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٢/٢٠١).

## المبحث الثاني والثلاثون الحذر من استصغار الذنوب

لما رواه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهِنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يَهْلِكُنَّهُ)، وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلاً: (كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاقَةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ؛ حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا فَأَجَّجُوا نَارًا وَأَنْضَجُوا مَا قَدَّفُوا فِيهَا) <sup>(١)</sup>.

فاتق الله وانظر إلى عظمة من عصيت لا إلى المعصية التي اقترفت، واعلم أنك إذا اجتنبت الكبائر كفر الله عنك الصغائر، قال تعالى: ﴿إِنْ تَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [سورة: النساء، آية: ٣١]، أي: إذا اجتنبت كبائر الآثام التي نهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب، وأدخلناكم الجنة، ولهذا قال: ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [سورة: النساء، آية: ٣١] <sup>(٢)</sup>.

ومما ينبغي الحذر منه في هذا المقام أن الصغيرة قد يقترن بها ما يُلْحِقُهَا بالكبائر، بل يجعلها في أعلى رتبتها، من ذلك:

١ - الإصرار والمواظبة: ولذلك فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها كان العفو عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها، ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على حجر على توالٍ فتؤثر فيه، ولو صب دلو من الماء عليه دفعة واحدة لم يؤثر، فكذلك القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيرها في إظلام القلب، إلا أن

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٤٠٢/١.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٤٨١).

الكبائر قلماً يُتصوّر الهجوم عليها بغتة دون سوابق ولواحق من جملة الصغائر، فكل كبيرة تكتنفها صغائر سابقة ولاحقة.

٢- استصغار الذنب: فإن الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه، صغر عند الله، لأن استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكرهيته له، وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به، واستصغاره يصدر عن الإلف به، وذلك يوجب شدة الأثر في القلب، والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات، والمحذور تسويده بالسيئات.

قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا» -قال أبو شهاب: بيده فوق أنفه- (١).

وإنما يعظم الذنب في قلب المؤمن، لعلمه بجلال الله، فإذا نظر إلى عظم من عُصي به، رأى الصغيرة كبيرة.

٣- السرور بالصغائر، والتبجح بها، واعتداد التمكن من ذلك نعمة، والغفلة عن كونها سبب الشقاوة: وفي هذه الحال مفاصد وذنوب تجعل الصغيرة كبيرة منها:

أولاً: المجاهرة التي تحجب عفو الله ورحمته عن المذنب، قال رسول الله ﷺ: (كُلُّ أُمَّتِي مُعَافٍ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ) (٢)، وفي المجاهرة خمس جنائيات: الأولى: الذنب نفسه، الثانية: ذكره بعد إتيانه أو إتيانه في مشهد غيره، الثالثة: كشف ستر الله الذي

(١) صحيح البخاري: ٥/٢٣٢٤.

(٢) صحيح البخاري: ٥/٢٢٥٤، صحيح مسلم: ٤/٢٢٩١.



أسدله عليه، الرابعة: تحريك الرغبة في الشر فيمن أسمعه ذنبه أو أشهده فعله، الخامسة: ترغيب غيره فيه، والحمل عليه، وتهيئة الأسباب له.

ثانياً: إشاعة الفاحشة بين المؤمنين، وهذه تدعو إلى استمرار المعصية واستصغارها وإفهاها، ومن دعا إلى معصية، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها، لأن الدال على الشرّ كفاعله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة: النور، آية: ١٩].

ومن شاء أن يدرك أن السرور بالمعاصي والتبجح بها يؤدّي إلى ما ذكرنا، فليقرأ الآيات السابقة لهذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَاذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة: النور، آية: ١٥-١٨].

فانظر كيف وصفهم بأنهم استصغروا المعصية ثم فرحوا بها ونشروها، فحذّروهم أن يعودوا لمثلها، لأنها عظيمة عند الله، وتؤدي إلى إشاعة الفاحشة في المجتمع الإسلامي، فسبحان الذي أودع كلامه أسراراً وعجائب وفوائد لا يعقلها إلا العالمون الذين ولّوا وجوههم شطر كتاب ربهم تلاوةً وتدبراً وتعليماً، فهداهم الله صراطاً مستقيماً.

٤ - التهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وإمهاله إياه: ولا يدري الجاهل أنه إنما يُمهّل مقتاً، ليزداد بالإمهال إثماً، فيظن أن تمكنه من المعاصي عنايةً من الله به، فيكون ذلك لأمنه مكر الله، وجهله بمكانم الغرور، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوُا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ

الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فَيَأْنُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسُ الْمَصِيرُ ﴿ [سورة: المجادلة، آية: ٨].

وهذا القدر كافٍ في تفاصيل ما تعظم به الصغائر من الذنوب، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون<sup>(١)</sup>.

أخي الكريم! كان الإمام أحمد بن حنبل يمشي في الوحل ويتوقى، فغاصت رجله فخاض، وقال لأصحابه: هكذا العبدُ لا يزال يتوقى الذنوبَ، فإذا واقعها خاضها<sup>(٢)</sup>.

وخاتمة الحديث ما جاء عن أنس -رضي الله عنه- قال: (إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ)<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*\*

(١) حادي الروح إلى أحكام التوبة النصوح، لسليم بن عيد الهلالي (ص ٣٩-٤٣).

(٢) الآداب الشرعية، لابن مفلح (١/١١٢).

(٣) صحيح البخاري: ٥/٢٣٨١.

## المبحث الثالث والثلاثون تزكية النفس

تزكية النفس هي دعوة الأنبياء وخلاصة رسالتهم، ولذا لما دعا موسى عليه السلام فرعون قال له: ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ [سورة: النازعات، آية: ١٨]، وقال الله تعالى عن دعوة النبي ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة: الجمعة، آية: ٢].

قال ابن القيم: «تزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشد، فمن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة التي لم يجيء بها الرسل فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيه من معرفة الطبيب، فالرسل أطباء القلوب فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحتها إلا من طريقهم وعلى أيديهم وبمحض الانقياد والتسليم لهم»<sup>(١)</sup>.

أخي الصائم! لقد بين النبي ﷺ معنى تزكية النفس بكلمة جامعة مانعة حيث قال ﷺ: (ثَلَاثٌ مِّنْ فَعَلِهِنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَن عَبَدَ اللَّهَ وَحَدَهُ وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ رَافِدَةٌ عَلَيْهِ كُلُّ عَامٍ وَلَا يُعْطَى الْهَرَمَةَ وَلَا الدَّرِنَةَ وَلَا الْمَرِيضَةَ وَلَا الشَّرْطَ اللَّئِيمَةَ وَلَكِنْ مَن وَسَطَ أَمْوَالِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ، وَزَكَى عَبْدَ نَفْسِهِ)، فقال رجل: ما تزكية المرء نفسه يا رسول الله! قال: (يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُ مَا كَانَ)<sup>(٢)</sup>.

(١) مدارج السالكين (٢/٣٢٨).

(٢) سنن أبي داود: ١٠٣/٢، سنن البيهقي الكبرى: ٩٦/٤ وهذا لفظه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم: ١٠٤٦).

وهذه الكلمة هي جماع معنى الإحسان، وهي تعبد باسم الله العليم، وما يقتضيه العلم من صفات الكمال والجمال، ففي الحديث إشارة إلى التعبد بالأسماء والصفات، وأن ذلك الطريق الأمثل لتزكية النفس وتطهيرها، أي أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

أخي الصائم! إن أعظم ما تزكو به النفوس هو التوحيد، قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [سورة: فصلت، آية: ٦-٧]: «قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يعني الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله، وكذا قال عكرمة، وهذا كقوله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [سورة: الشمس، آية: ٩-١٠]، وكقوله جلت عظمته: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [سورة: الأعلى، آية: ١٤-١٥]، وقوله عز وجل: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّى﴾ [سورة: النازعات، آية: ١٨]، والمراد بالزكاة ههنا طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة، ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك»<sup>(١)</sup>.

ولتعلم أخي الكريم أن حاجة العباد إلى التوحيد فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، إذ لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة ولا راحة إلا بالتوحيد والعمل الخالص لله، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [سورة: طه، آية: ١٢٤]، ولذلك كان الأنبياء والرسل أعظم الناس انشراحاً في الصدور، وطمأنينة في القلوب، وراحة في البال مع ما كان يصيبهم من أذى وابتلاء ومحن إلا أنهم لعظم توحيدهم ولعظيم توكلهم على الله - عز وجل - كانوا أعظم الناس انشراحاً في الصدور.

## الفصل الخامس

ما يتعلق بالعشر الأواخر

وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: إحياء العشر الأواخر من رمضان

المبحث الثاني: الامتكاف

المبحث الثالث: تحري ليلة القدر

المبحث الرابع: أداء زكاة الفطر

المبحث الخامس: أداء سنن وصلاة العيد

المبحث السادس: التكبير في عيد الفطر

## المبحث الأول إحياء العشر الأواخر من رمضان

إذا علمنا أن شهر رمضان أفضل الشهور، كانت نتيجة ذلك أن نجتهد فيه اغتناماً لفضله، وإذا علمنا أن العشر الأواخر أفضل أيامه، وأفضل لياليه، كانت نتيجة ذلك أن نكثر الاجتهاد فيها، وألا نضيع منها وقتاً في غير منفعة.

وهذه الأيام العشر يستحب فيها أربعة أشياء:

١- إحيائها كلها.

٢- زيادة الاجتهاد فيها بالأعمال الأخرى.

٣- إظهار النشاط فيها والقوة.

٤- الاعتكاف واعتزال الشهوات والملذات.

إحياء الرسول ﷺ العشر الأواخر: ثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشرُ أحياناً اللَّيْلَ وَأَيَّقَطَ أَهْلَهُ وَجَدَّ وَشَدَّ الْمُتَزَرَ) <sup>(١)</sup>.

وكذلك جاء عنها أنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يخلط العشرين من رمضان بصلاة و نوم، فإذا كان في العشر لم يذق غمضاً) <sup>(٢)</sup>. أي: في الليالي العشر لا يذوق غمضاً، بل يقوم ليله كله دون نوم.

(١) صحيح البخاري: ٧١١/٢، صحيح مسلم: ٨٣٢/٢.

(٢) مسند أحمد بن حنبل بنحوه: ١٤٦/٦.

و في حديث آخر: (إذا دخل العشر الأواخر من رمضان طوى فراشه)<sup>(١)</sup>.  
يعني: فراش النوم ليلاً في آخر ليالي الشهر. و في حديث آخر تأكيد الإحياء بقولها:  
(وأحيا ليله كله)<sup>(٢)</sup>.

أقسام الناس في إحياء العشر الأواخر:

ينقسم الناس في إحياء هذه الليالي إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: يحيونها بالعبادات:

هناك من يحيون العشر الأواخر من رمضان بالعبادات، فيحيونها بالصلاة،  
وطول القيام والركوع والسجود، اقتداءً بفعل نبيهم ﷺ فقد كان يديم الصلاة في  
هذه الليالي؛ فإنه صلى ليلة ببعض صحابته حتى خشوا أن يفوتهم السحور<sup>(٣)</sup>،  
وكذلك صلى مرة ومعه رجل من أصحابه -وهو حذيفة- فقرأ في ركعة واحدة  
ثلاث سور: سورة البقرة وسورة آل عمران، وسورة النساء، يقرأ بتدبر، ويقف  
عند آية الرحمة فيسأل، وعند آية العذاب فيتعوذ، يقول: فما صلى ركعتين، أو أربع  
ركعات حتى جاءه المؤذن للصلاة<sup>(٤)</sup>.

وهذا هو الأصل في إحياء هذه الليالي، فتجد المجتهدين قبل سنوات  
يهتمون بهذه الليالي، ويولونها زيادة نشاط وعبادة، اقتداءً بفعل نبيهم ﷺ بحيث  
إنهم يزيدون في قيام هذه الليالي، ويقطعون الليل كله في الصلاة، فيصلون عشر  
ركعات، ويقرؤون فيها نحو جزء ونصف، ثم يستريحون نحو نصف ساعة ثم  
يصلون أربع ركعات بسلامين في ساعتين، أو ساعة ونصف على الأقل يقرؤون

(١) معجم الأوسط: ١٣/٦.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ٣٠٤/٢٢.

(٣) سنن أبي داود: ٥٠/٢، سنن الترمذي: ١٦٩/٣، سنن النسائي: ٨٣/٣، سنن ابن ماجه: ٤٢٠/١.

(٤) صحيح مسلم: ٥٣٦/١.

فيها ثلاثة أجزاء، أو جزئين ونصفاً، ثم يستريحون نحو ساعة أو أقل، ثم يصلون ست ركعات تستغرق ساعتين ونصفاً، أو ثلاث ساعات، يقرؤون فيها أيضاً ثلاثة أجزاء أو ثلاثة ونصفاً، ثم يستريحون قليلاً، ثم يصلون الوتر، فيكون ليلهم كله عامراً بالصلاة، وإنما يتخللها فترات راحة، وذلك اقتداء بما كان عليه السلف و الصحابة و من بعدهم.

وكان الصحابة يصلون في ليالي رمضان ثلاثاً وعشرين ركعة، وربما صلى بعضهم، أو بعض التابعين كما عند الإمام مالك في رواية ستاً وثلاثين<sup>(١)</sup>، وعند الإمام الشافعي يصلي في ليالي رمضان إحدى وأربعين ركعة في رواية عنه<sup>(٢)</sup>، فيصلون أربع ركعات، وتستغرق نصف ساعة، يستريحون بعدها نحو خمس أو عشر دقائق، ثم يصلون أربعاً وهكذا، ولذلك سموها هذا القيام بالتراويح، حيث إنهم يرتاحون بعد كل أربع ركعات. فهذه الأفعال هي حقاً إحياء لهذه الليالي في العبادة.

ويدخل في إحياء تلك الليالي أيضاً إحيائها بالقراءة؛ فإن هناك من يسهر ليالي العشر يصلون ما قدر لهم، ثم يجتمعون حلقات، ويقرؤون ما تيسر من القرآن في بيت من بيوت الله في المساجد، أو في بيت أحدهم رجاء أن تُحَقَّق الفضائل التي رتبت على ذلك، وقد قال رسول الله ﷺ: (وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحففتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده)<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: بداية المجتهد: ٢١٩/١.

(٢) سنن الترمذي: ١٦٠/٣.

(٣) صحيح مسلم: ٢٠٧٤/٤.



فإذا اجتمع جماعة، عشرة أو عشرون، أو نحو ذلك يقرؤون القرآن؛ يقرأ أحدهم، وبقيتهم يستمعون له، ناظرين في مصاحفهم، ثم يقرأ الثاني، حزباً أو نصف حزب، أو رابعه، ثم يقرأ الثالث.. وهكذا، فيصدق عليهم أنهم يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، فيُحيون ليلهم بالطاعات والقربات.

كذلك إذا أحيوا الليل بتعلم أو تعليم كان ذلك أيضاً أحياءً لهذه الليالي بطاعة. فإذا أحيينا ليلنا أو جزءاً من ليلنا في تعلم علوم دينية، كان ذلك إحياء لهذه الليالي بطاعة تنفعنا إن شاء الله.

فهؤلاء هم الذين ربحوا ليلهم، واستفادوا من وقتهم.

القسم الثاني: يحونها في التكسب وفي التجارات:

ويندرج في هذا القسم أولئك الذين يحيون ليلهم في التكسب، في تجاراتهم، وفي صناعاتهم وفي دكاكينهم؛ وهؤلاء قد ربحوا نوعاً من الربح، وهو ربح عابر؛ ربح دنيوي، لكنه قد يكون عند بعضهم أنفس وأغلى ثمناً مما حصل عليه أهل المساجد، وأهل القراءات، وأهل العلم! ولكنهم في الحقيقة قد خسروا أكثر مما ربحوا، فترى أحدهم يبيت ليله كله في مصنعه، أو في متجره أو حرفته، أو نحو ذلك. فهذا قد أسهر نفسه، وأحياى ليله، ولكن في طلب الدنيا الدنيئة!

فإذا كان ممن رغب عن الأعمال الأخروية، وزهد فيها، وأقبل على الدنيا بكليته، وانصرف إليها ولم يعمل لآخرته، خيف عليه أن يكون ممن قال الله تعالى في حقهم: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوْفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَاهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة: هود، آية: ١٥-١٦].

وهذه الآية فيمن جعل دنياه أكبر همه، ونسي أو تناسى الآخرة، ولم يعمل لها، وكان مقصده وديدنه السعي وراء هذا الحطام؛ بل جعلها هي مقصده، لا

يعمل ولا يسعى ولا يكدح إلا لها، حتى كأنها معبوده، فيصدق عليه أنه عابد لدنياه، وأنه عابد لدرهمه وديناره، ويتحقق عليه التعس، ويدعى عليه بقول النبي ﷺ: (تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ) <sup>(١)</sup>.

ولكن بعضهم قد يحصل على جزء من الصلاة والقراءة ولا يكون غافلاً عن ربه ولا متغافلاً عن الذكر، ولا منشغلاً عن القراءة، فيستصحب معه -مثلاً- كتاب الله يقرأ فيه في أوقات فراغه، ويذكر ربه في أوقات فراغه، ويصلي ما قدر له، ويأتي بورد صغير معه. وهذا قد ربح نوعاً من الربح، وإن لم يكن الربح الأكمل، فهذا على طرف، لكن فاته الخير الكثير.

### القسم الثالث: يخيونها في اللهو واللغو:

ويشمل أغلبية الناس؛ فإننا نراهم يخيون ليلهم، ولكن في لهو، وسهو!! فتراهم يجتمعون في بيوتهم ومجالسهم يتبادلون الفكاهات والضحك، والقتيل والقال، وربما تجاوز الأمر بهم إلى الغيبة، وإلى النميمة، وإلى الكلام في أعراض الناس، وما أشبه ذلك، ولا يذكرون الله في مجالسهم إلا قليلاً، ولا يستصحبون شيئاً من القرآن، ولا من كتب الدين والعلم!

وينقطع ليل أحدهم، أو ليل جماعتهم ليس لهدف سوى نوم النهار، هكذا قصدوا!! فيفوت عليهم الأمان:

الأول: أنهم لا يشاركون المصلين في الصلوات، ولا يشاركون القراء في قراءتهم.

والثاني: أنهم لا يشاركون أهل الأرباح الدنيوية في أرباحهم، فيفوت عليهم هذا وهذا!!

ولا يحزنون على خسارتهم، وأي خسارة تلك التي لا يشعرون بها؟! ألا وهي مضي هذه الأيام والليالي الشريفة دون أن يستغلوها، ودون أن يستفيدوا منها.

فما أعظم خسارتهم! وما أعظم حسرتهم حينما يرون أهل الأرباح قد تقاسموا الأرباح! وحينما يرون أهل الحسنات قد ضوعفت لهم حسناتهم. فهؤلاء لا خير دين، ولا خير دنيا، بل ربما يكتسبون مآثم بكلام لا فائدة فيه؛ فإن كلام ابن آدم مكتوب عليه، يقول الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة: ق، آية: ١٨].

ويقول النبي ﷺ: (كُلُّ كَلَامٍ بَنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيٍ عَنِ مُنْكَرٍ أَوْ ذِكْرٍ لِلَّهِ) <sup>(١)</sup>.

و يصدق على ذلك قول الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [سورة: النساء، آية: ١١٤].

وهؤلاء قد يكتب عليهم ما يُسألون عنه، ويحاسبون عليه: لماذا قلت كذا؟ ولماذا تكلمتم بكذا؟ ولماذا لم تستخدموا ألسنتكم التي سخرها الله لكم في ذكر الله؟ ولماذا أبعدتم آذانكم عن استماع ما فيه طاعة الله تعالى، وفيما يرضيه؟ فلا يجدون لهذا السؤال جواباً!

#### القسم الرابع: يميونها في المعاصي كبرها وصغيرها:

وهؤلاء كثير أيضاً -والعياذ بالله- وهم الذين يميون هذه الليالي الشريفة في ضد الطاعة! فتراهم يسهرون على آلات اللهو، والمجون: ينصتون إلى الأغاني الفاتنة، وإلى الأشرطة الماجنة، وإلى رؤية الصور والأفلام الخليعة!

(١) سنن الترمذي: ٦٠٨/٤، سنن ابن ماجه: ١٣١٥/٢.

وربما زادوا على ذلك هذه النظرات التي ينظرونها إلى ما يثير الشهوات المحرمة؛ فإن سماع هذه الأغاني الفاتنة يزرع في القلوب محبة الزنا والفساد؛ فيدفعهم ذلك إلى طلب المحرمات، وكذلك فإن مشاهدتهم لتلك الصور الخليعة تزرع في قلوبهم محبة الشرور، فتدفعهم اندفاعاً كلياً إلى أن يأتوا ما لا يحل لهم من زنا، أو شرب خمر، أو ما أشبه ذلك، وكثير منهم لا تحلو مجالسهم ولا تلذ إلا إذا شنّفوا أسماعهم بالأغاني الخليعة! ومتّعوا أعينهم بالصور الهابطة! وعطّروا أفواههم بالكلام القبيح! وملاؤوا شهواتهم وبطونهم بالأشربة المحرمة من خمر ونحوها! فيجمعون بذلك بين ترك الطاعة، وارتكاب المعصية، أو ما يسبب محبة المعصية.

فمثل هؤلاء مع كونهم محرومين، فإنهم آثمون إثماً كبيراً، وهؤلاء موجودون بكثرة، ويشكو منهم كثير من الهيئات ممن يأمرون بالمعروف، أو ينهون عن المنكر بكثرة، وغالباً ما يعثرون عليهم حتى في نهار رمضان ويقبض عليهم وهم في سكر!! فلا صيام، ولا ابتعاد عن المحرمات! وسبب ذلك أنهم طوال ليلهم وهم يتفكرون بهذه المحرمات كما زعموا! فيتهدى بهم ذلك إلى محبة هذه المعاصي، والتلذذ بها، فيستعملونها في النهار ويتركون الصيام، الذي هو ركن من أركان الإسلام، ويجمعون بين المعصية وترك الطاعة -والعياذ بالله-.

و كثيراً ما يختطفون النساء في الأسواق! ويتابعونهن، ويلمزونهن! وذلك كله من أسباب ضعف الإيمان وقلته في القلوب، وحلول المعاصي ومقدمات الكفر بدلاً منه.

فهذه أقسام الذين يميون هذه الليالي، فليختر المسلم لنفسه ما يناسبه من هذه الأقسام!!

استحباب زيادة الاجتهاد في العشر الأواخر:

ورد في حديث عائشة: (كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشرُ أحياً اللَّيْلَ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ وَجَدَّ) (١). و الجَدُّ هو: بذل الجهد في طلب الطاعات، أو في فعلها، أي: بذل ما يمكنه من الوسع.

وذلك يستدعي أن يأتي الطاعة بنشاط، ورغبة، وصدق ومحبة. ويستدعي أن يبعد عن نفسه الكسل، والخمول، والتثاقل، وأسباب ذلك، ففي أي شيء يكون هذا الجَدُّ؟

\* الجد في الصلاة؛ فيصلي في الليل والنهار ما استطاع.

\* الجد في القراءة؛ أن يقرأ ما تيسر من القرآن بتدبر وخشوع وقلب حاضر.

\* والجد في الذكر؛ أن يذكر الله ولا ينساه، ولا زال لسانه رطباً بذكر الله.

\* والجد في الدعاء؛ أن يدعو ربه تضرعاً وخفية وأن يكثر من الدعاء.

\* والجد في الأعمال الخيرية المتعددة من النصائح والعبادات، وما أشبه ذلك.

\* والجد في العلم والتعلم وما يتصل بذلك، أي الاجتهاد في الأعمال كلها.

إيقاظ الأهل في العشر الأواخر:

ويدخل في ذلك أمر الأهل - وهم الأولاد والنساء - بالصلاة، فيستحب للمسلم أن يوقظ أهله بهدف الصلاة، وأن يذكرهم بفضلها.

وكان السلف رحمهم الله يوقظون أهلهم حتى في غير رمضان، وكان عمر -رضي الله عنه- إذا كان آخر الليل أيقظ أهله كلهم، وأيقظ كل صغير وكبير يطيق الصلاة، وكان يقرأ قول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾<sup>(١)</sup> [سورة: طه، آية: ١٣٢].

يستشهد بهذه الآية على الحرص على صلاة النافلة، وذلك دليل على محبة الصحابة والسلف -رضي الله عنهم- للإكثار من أعمال الخير في الليل والنهار.

لذلك يتأكد على المسلم أن يوقظ أهله وإخوته، وأولاده ونساءه، ومن يتصل به، ومن له ولاية عليه، يوقظهم لأجل أن يقوموا في هذه الليالي الشريفة، فهي ليال محصورة، إنما هي عشر ليال، أو تسع ليال إذا لم تكتمل ليالي الشهر إلى ثلاثين ليلة بأن كان الشهر ناقصاً يوماً، فلا تفوت على الإنسان الباحث عن الخير أن يغتنمها، ويستغل أوقاتها.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: (إِذَا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلِّيَا رَكَعَتَيْنِ كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ)<sup>(٢)</sup>.

وقد وردت أحاديث بفضائل كثيرة في إيقاظ الأهل في مثل هذه الليالي وغيرها.

### إظهار النشاط والقوة في العشر الأواخر:

ثبت عنه ﷺ أنه كان في ليالي العشر يغتسل كل ليلة بين العشاءين أو بعد العشاء، والقصد من هذا الاغتسال أن يأتي الصلاة بنشاط بدن، ومن نشاط البدن يأتي نشاط القلب.

(١) موطأ مالك: ١/١١٩، وعبد الرزاق المصنف: ٤٩/٣.

(٢) سنن أبي داود: ٣٣/٢، سنن ابن ماجه: ٤٢٣/١.

ومن احترام هذه الليالي وتعظيمها أن النبي ﷺ وصحابته كانوا يتجملون لهذه الليالي، فيلبس أحدهم أحسن ثيابه، ليكون ذلك أيضاً أنشط لبدنه، وأنشط لقلبه، حتى إن كثيراً منهم يتجملون في هذه الليالي بثياب لا يلبسونها لغيرها.

ومما يفعلونه للنشاط والقوة: استعملهم للطيب في البدن، وفي الثوب، وفي المساجد، فكانوا يستعملون النضوح، والنضوح هي: الأطياب السائلة، حتى يكون الإنسان طيب الريح، ويكون بعيداً عن الروائح الكريهة، لأن الملائكة تحب الريح الطيب، وتتأذى مما يتأذى منه ابن آدم، وكذلك يطيبون مساجدهم بالنضوح، وبالذخنة التي هي المجامر.

فمثل هذه مما تكسب النشاط في البدن، والنشاط في القلب، ومتى كان القلب والبدن نشيطين لم يملّ الإنسان ولم يكل، ومتى كان البدن كسولاً ضعف قلبه، ومملّ من العبادة، وكسل عنها.

وكثيراً ما يذم الله تعالى أهل الكسل، كما ذكر الله تعالى ذلك في وصفه المنافقين بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ [سورة: النساء، آية: ١٤٢].

فالمسلم يأتي بالأعمال التي تحب إليه العبادة وتجعله منشغراً بالقلب، مقبلاً عليها بكليته، غير غافل ولا ساه، بعيداً عن كل ما يلهي القلب ويشغله عن طاعة مولاه عز وجل.

أخي الصائم: أحي ليالك بالعبادة وليكن لك في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة، فقد (كان ﷺ يَحْلُطُ الْعَشْرِينَ بِصَلَاةٍ وَنَوْمٍ؛ فَإِذَا كَانَ الْعَشْرَةَ شَمَّرَ وَشَدَّ الْمُتَزَّرَ) (١).

(١) مسند أحمد بن حنبل: ١٨٦/٦.

وهذه العشر أيام معدودة وليال محدودة، بل إنها -والله- فرصة العمر، فمن ضيعها فهو لما سواها أضيع، والمحروم من حُرْم الخير والقبول والعتق من النار في هذه الليالي العظيمة، ويكفيك أن رسول الله ﷺ ترك الأهل والأزواج واعتكف في مسجده، طمعاً فيما عند الله، وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بنا نحن المقصرون المذنبون.

فكن أيها الصائم! ممن يقدر هذه العشر، ولا تتهاون بشأنها وتُفرط في اغتنامها، لأنها والله الذي لا إله إلا هو الموسم الذي يتنافس فيه المتنافسون، والفرصة التي يغتنمها أصحاب الهمم العالية، فكن واحداً من هؤلاء.

نعم إن العشر الأواخر الفرصة الأخيرة في شهر رمضان تحلّ لتكون العزاء لمن فرط في أول الشهر أو التاج الخاتم لمن أصلح ووقى فيما مضى<sup>(١)</sup>.

ولا تنس أن تقول كما كان يقول، كما قالت عائشة -رضي الله عنها-: يا رسول الله! أرأيت إن علمتُ أيّ ليلة ليلة القدر ما أقول فيها، قال: (قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَأَعْفُ عَنِّي)<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*

(١) شعاع المحراب (٥/٣٦٨).

(٢) سنن الترمذي: ٥/٥٣٤، سنن ابن ماجه: ٢/١٢٦٥.



## المبحث الثاني الاعتكاف

\* حقيقة الاعتكاف:

الأصل في الاعتكاف أنه الإقامة في المكان طويلاً، ولزومه، والاشتغال فيه، وكان المشركون يعكفون عند الأوثان كما في قوله تعالى: ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ﴾ [سورة: الأعراف، آية: ١٣٨]. وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [سورة: الأنبياء، آية: ٥٢]. وقولهم: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ [سورة: الشعراء، آية: ٧١].

وجعل الله عكوف المسلم و اعتكافه لزوم المسجد، فقال تعالى: ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٧]. فجعل العكوف لزوم المساجد.

فالأصل أن المعتكف يفرغ نفسه وينفرد في مكان ويشغل نفسه بالعبادة، وينقطع عن الدنيا وينقطع عن أهلها.

فالاعتكاف هو لزوم المسجد طاعة لله تعالى، والقصد منه التفرغ للعبادة، وأن لا يخرج من المسجد إلا لضرورة ملحة لا يجد منها بداً، كأن يحضر طعامه وشرابه إذا لم يجد من يحضره له، وكذلك الخروج للخلاء وللوضوء وغير ذلك.

قال ابن رجب رحمه الله: "معنى الاعتكاف وحقيقته: قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق" (١).

(١) لطائف المعارف: ص ١٩١.

حكمه: والاعتكاف في شهر رمضان سنة ثابتة عن النبي ﷺ، يتفرغ فيها المسلم طاعة لله - عز وجل - وتقرّباً إليه، وعليه الاجتهاد في تحري ليلة القدر، وقد أشار الله تعالى إليه في القرآن بقوله: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٧].

والاعتكاف من الشرائع القديمة، لقوله تعالى: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٢٥].

ويسمى الاعتكاف: جواراً، لقوله ﷺ: (كُنْتُ أَجَاوِرُ هَذِهِ الْعَشْرَ ثُمَّ قَدْ بَدَأَ لِي أَنْ أَجَاوِرَ هَذِهِ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ) <sup>(١)</sup>.

قال الوزير: «لا يحل أن يسمى هذا الاعتكاف، خلوة، واستظهر في الفروع الكراهة» <sup>(٢)</sup>.

وأقلّ الاعتكاف عند الجماعة: ساعة، وعند الشافعية ولو لحظة من ليلٍ أو نهارٍ، وظاهره أن اللحظة لا تسمى اعتكافاً، وجزم به الموفق <sup>(٣)</sup>.  
ولو نذر اعتكافاً وأطلق أجزأته ساعة.

ويستحب أن لا ينقص الاعتكاف عن يوم وليلة خروجاً من خلاف مَنْ يقول: أقله ذلك <sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح البخاري: ٢/٧١٠، صحيح مسلم: ٢/٨٢٤.

(٢) انظر: كشف القناع (٢/٣٤٨).

(٣) انظر: الفروع (٣/١١٨)، وكشاف القناع (٢/٣٤٧).

(٤) انظر: كشف القناع (٢/٣٤٧).

ولما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى متوقفاً على جمعيته على الله ولم يشعته بإقباله بالكلية على الله تعالى، فإن شعث القلب لا يلتمه إلا الإقبال على الله تعالى، وكان فضول الطعام والشراب وفضول مخالطة الأنام، وفضول الكلام، وفضول المنام، مما يزيده شعثاً ويشتته في كل وادٍ، ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى، أو يضعفه، أو يعوقه ويوقفه: اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله تعالى، وشرعه بقدر المصلحة، بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه، ولا يضره ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة، وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى، وجمعيته عليه، والخلو به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق، والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكره وحبه، والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلها، ويصير لهم كله به، والخطرات كلها بذكره، والتفكير في تحصيل مراضيه وما يقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق، فيعده بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له، ولا ما يفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم.

ولما كان هذا المقصود إنما يتم مع الصوم، شرع الاعتكاف في أفضل أيام الصوم، وهو العشر الأخير من رمضان، ولم ينقل عن النبي ﷺ أنه اعتكف مفطراً قط، بل قد قالت عائشة - رضي الله عنها -: (لَا اعْتِكَافَ إِلَّا بِصَوْمٍ) <sup>(١)</sup>.

ولم يذكر الله سبحانه وتعالى الاعتكاف إلا مع الصوم، ولا فعله رسول الله

ﷺ إلا مع الصوم.

(١) سنن البيهقي الكبرى: ٣١٧/٤، سنن الترمذي: ١١٢/٤.

وقال المجد والشيخ والشارح وغيرهم: «ليس في اشتراط الصوم في الاعتكاف نص من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قياس صحيح، وما روي عن عائشة فموقوف»<sup>(١)</sup>.

وثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ اعتكف، واعتكف أصحابه معه، وبقي الاعتكاف مشروعاً لم ينسخ، ففي الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله عنها- (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ثُمَّ اعْتَكَفَ أَرْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ)<sup>(٢)</sup>، وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه- أن النبي ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط ثم قال: (إِنِّي اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ أَلْتَمِسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ، ثُمَّ أُتَيْتُ فَقِيلَ لِي: إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْتَكِفَ فَلْيَعْتَكِفْ)<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام أحمد -رحمه الله-: "لا أعلم عن أحد من العلماء خلافاً أن الاعتكاف مسنون" <sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا يكون الاعتكاف مسنوناً بالنص والإجماع.

والاعتكاف سنة للرجال والنساء، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يعتكف في رمضان، واستقر أخيراً اعتكافه في العشر الأواخر، وكان يعتكف بعض نسائه معه، ثم اعتكفن من بعده عليه الصلاة والسلام.

(١) انظر: حاشية الروض المربع، للشيخ عبد الرحمن بن قاسم (٣/٤٧٥).

(٢) صحيح البخاري: ٧١٣/٢، صحيح مسلم: ٨٣١/٢.

(٣) صحيح البخاري: ٧١٣/٢، صحيح مسلم: ٨٢٦/٢.

(٤) انظر: سبل السلام (٢/١٧٤).

## \* الحكمة من الاعتكاف:

إن الحكمة من الاعتكاف: الانقطاع عن الدنيا، وعن الانشغال بها وبأهلها، والتفرغ للعبادة، والاستكثار منها. وإنما كان الاعتكاف في المساجد لأجل ألا يترك صلاة الجماعة مع المسلمين التي هي علامة وشعيرة من شعائر الإسلام.

## \* مكان الاعتكاف:

ومحل الاعتكاف: المساجد التي تقام فيها صلاة الجماعة، لقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٧] وإذا كان يتخلل اعتكافه جمعة فالأفضل أن يكون اعتكافه في المسجد الجامع إذا تيسر ذلك، لثلا يحتاج إلى الخروج إليها، فإن اعتكف في غيره فلا بأس أن ييكر إلى صلاة الجمعة.

فإذا عزمت -أخي الصائم- على الاعتكاف فعليك أن تختار المسجد الذي تصلى فيه الجمعة، حتى لا تخرج إلا عند انتهاء مدة الاعتكاف، والأفضل أن يكون في زمان فاضل تضاعف فيه العبادات حتى يجمع بين فضل الزمان وفضل المكان.

واحرص أن يكون مكان اعتكافك أحد المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، أو المسجد النبوي، أو المسجد الأقصى بالنسبة إلى من هم بجواره، فهذه المساجد لها ميزاتها، وذلك لفضل العبادة بها، وأما بقية مساجد الدنيا فإنها متساوية.

## \* أعمال المعتكف:

وينبغي للمعتكف أن يشتغل بطاعة الله -عز وجل- من صلاة وقراءة قرآن وذكر الله؛ لأن هذا هو المقصود من الاعتكاف، ولا بأس أن يتحدث إلى أصحابه قليلاً، لا سيما إذا كان في ذلك فائدة.

## \* الخروج من المسجد:

وأما خروجه من المسجد فقد قسمه الفقهاء إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: جائز، وهو الخروج لأمر لا بد منه شرعاً، أو طبعاً، كالخروج لصلاة الجمعة، والأكل والشرب - إن لم يكن له من يأتيه بهما - والخروج للوضوء، والغسل الواجبين، ولقضاء حاجة البول والغائط.

القسم الثاني: الخروج لطاعة لا تجب عليه، كعيادة المريض، وشهود الجنائز، فإن اشترطه في ابتداء الاعتكاف جاز، وإلا فلا.

القسم الثالث: الخروج لأمر ينافي الاعتكاف، كالخروج للبيع والشراء، وجماع أهله ونحو ذلك، فهذا لا يجوز لا بشرط، ولا بغير شرط<sup>(١)</sup>.

## \* زمانه:

وليس لوقته حد محدود في أصح قولي العلماء، ولا يشترط له الصوم، ولكن مع الصوم أفضل، والسنة له أن يدخل معتكفه حين ينوي الاعتكاف ويخرج بعد مضي المدة التي نواها، وله قطع ذلك إذا دعت الحاجة إلى ذلك؛ لأن الاعتكاف سنة ولا يجب بالشروع فيه إذا لم يكن مندوراً، لقوله ﷺ: (مَنْ نَدَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ)<sup>(٢)</sup>.

ويستحب الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان تأسياً بالنبي ﷺ، ويستحب لمن اعتكفها دخول معتكفه بعد صلاة الفجر من اليوم الحادي والعشرين اقتداءً بالنبي ﷺ، ويخرج متى انتهت العشر، وإن قطعه فلا حرج عليه إلا أن يكون مندوراً كما تقدم، والأفضل أن يتخذ مكاناً معيناً في المسجد يستريح

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (١٠٨/٢٠).

(٢) صحيح البخاري: ٢٤٦٣/٦.

فيه إن تيسر ذلك، ويشرع للمعتكف أن يكثر من الذكر وقراءة القرآن، والاستغفار والدعاء والصلاة في غير أوقات النهي، ولا حرج أن يزوره بعض نسائه، ويتحدثن معه، وزارته ﷺ مرة صافية -رضي الله عنها- وهو معتكف في رمضان، فلما خرجت قام معها إلى باب المسجد<sup>(١)</sup>، فدل ذلك على أنه لا حرج في ذلك، وهذا العمل منه ﷺ يدل على تواضعه، وحسن سيرته مع أزواجه عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم<sup>(٢)</sup>.

واعلم أن مَنْ نذر اعتكافاً زمنًا معينًا دخل معتكفه قبل ليلته الأولى، لأن أوله يبدأ بغروب الشمس فيدخل قبل الغروب ليلة إحدى وعشرين ويخرج من معتكفه بعد آخره بعد غروب الشمس ليلة العيد.

والأفضل بقاؤه في المسجد إلى أن يخرج لصلاة العيد، بل هو المستحب، ذكر ذلك أهل العلم ومنهم الإمام مالك، ويقول: إنه بلغه عن أهل الفضل الذين مضوا<sup>(٣)</sup>.

وقال إبراهيم النخعي: «كانوا يستحبون ذلك»<sup>(٤)</sup>، وقال المجد وغيره: «ليصل طاعة بطاعة»<sup>(٥)</sup>، ولما ورد من الترغيب في قيام ليلة العيد. وقال ابن الماجشون: «إنه السنة المجمع عليها»<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح البخاري: ٧١٧/٢، صحيح مسلم: ١٧١٢/٤.

(٢) تحفة الإخوان، للشيخ ابن باز (ص ١٨٣-١٨٤).

(٣) الفروع (٣/١٢٧)، المغني (٣/٨١).

(٤) الفروع (٣/١٢٧)، المغني (٣/٨١).

(٥) الفروع (٣/١٢٧).

(٦) الفروع (٣/١٢٧).

## \* مدة الاعتكاف:

إذا أراد المسلم أن يعتكف؛ فأقل الاعتكاف يوم وليلة، يعني أربعاً وعشرين ساعة، حتى يصدق عليه أنه معتكف، وما عدا ذلك فيه خلاف؛ فبعضهم يرى أن من اعتكف يوماً أي من طلوع الشمس إلى غروبها، أو ليلة من غروبها إلى طلوعها يكون اعتكافاً، وبعضهم يرى أنه لا بد من يوم وليلة حتى يتحقق الحديث.

\* شروط صحته: النية، الإسلام، العقل، التمييز، عدم ما يوجب الغُسل، لحديث: (فَإِنِّي لَا أَحِلُّ الْمَسْجِدَ لِحَائِضٍ وَلَا جُنْبٍ) <sup>(١)</sup>، كونه بمسجد، لقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٧].

وفي بداية المجتهد: شروط الاعتكاف ثلاثة: «النية، والصيام، وترك مباشرة النساء» <sup>(٢)</sup>.

وعلى المعتكف ألا يخرج إلا لما لا بد له منه، وكان النبي ﷺ (لَا يَدْخُلُ الْبَيْتَ إِلَّا لِلْحَاجَةِ الْإِنْسَانِ) <sup>(٣)</sup>، متفق عليه <sup>(٤)</sup>.

أخي الصائم: عليك أن تغتنم ساعات اعتكافك في ما يفيدك، واحرص على كل ما يقربك إلى الله عز وجل من صلاة وتلاوة للقرآن الكريم ومدارسته، وعليك أن تنقطع عن العلاقات الدنيوية، ولا تفتح باب الزيارة لمن يزورك إلا قليلاً، كأن تكون لك حاجة في الزيارة، لأن فتح باب الزيارة للأهل والأولاد والأصدقاء يجعل المسجد كالبيت، لا فرق بينهما، كما أنه يفتح الباب أمام الكلام الذي لا فائدة منه.

(١) سنن أبي داود: ٦٠ / ١، وصححه ابن خزيمة: ٢٨٤ / ٢.

(٢) بداية المجتهد: ٢٣٠ / ١.

(٣) المغني (٦٨ / ٣).

(٤) صحيح البخاري: ٧١٤ / ٢، صحيح مسلم: ٢٤٤ / ١.



وعلى المعتكف ألا ينشغل بالدنيا وبأهلها، فلا يسأل من رأى، ولا من سمع عن أمر من أمور الدنيا، ولا عن خبر من أخبارها، ولا يهتم بأمر من أمورها، وبعد ذلك يعكف على العبادة؛ فينتقل من جنس الصلاة سواء التراويح أو غيرها، أو التقرب بالرواتب ونحوها، ينتقل إلى القراءة والذكر، والدعاء والابتهاال إلى الله، وما أشبه ذلك، مع حضور القلب حتى يجمع بين خشوع القلب وحضوره، وبين التكلم باللسان مع اتصافه أيضاً بالخشوع والخضوع.

ولأجل ذلك ذكر ابن رجب أن بعضهم يقول في تعريف الاعتكاف: (أنه قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق) <sup>(١)</sup>. والعلائق بمعنى العلاقات فتقطع علاقتك بفلان وفلان، وتنقطع منها عن جميع الخلائق، ويتصل قلبك بربك بحيث يكون ذكر الله على قلبك دائماً، قائماً ويقظان، قائماً وقاعداً ومضطجعاً.

تذكر الله في كل حالاتك، وتتأمل، وتعقل ما تقول إذا كنت مشتغلاً بذلك. وإن قرأت القرآن قرأته بتدبر.

ومن أهم ما ينبغي للمعتكف أن يتجنبه: الجماع والمباشرة وقت الاعتكاف، فإن ذلك من محظورات الاعتكاف، بل أجمعوا على أن المعتكف إذا جامع عامداً بطل اعتكافه <sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*

(١) لطائف المعارف: ص ١٩١.

(٢) انظر: المغني (٣/٧٢).

## المبحث الثالث

### تحري ليلة القدر

ليلة القدر ليلة فاضلة وشريفة ومباركة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [سورة: القدر، آية ١] إلى آخر السورة، قال بعض العلماء: وهي أفضل ليالي السنة<sup>(١)</sup>، وقالوا: قول الله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [سورة: القدر، آية: ٣] معناه خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر<sup>(٢)</sup>.

فمن فضائلها: أن القرآن أنزل فيها، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [سورة: القدر، آية ١]، وقال تعالى: ﴿حَمِّ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [سورة: الدخان، آية: ١-٣].

قال ابن عباس وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

والفضيلة الثانية: في وصفها بأنها خير من ألف شهر قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [سورة: القدر، آية: ٣].

والفضيلة الثالثة: وصفها بأنها مباركة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾ [سورة: الدخان، آية: ١].

والفضيلة الرابعة: أنها تنزل فيها الملائكة والروح: أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون

(١) تحفة الأحوذى (٣/٣٨٦).

(٢) تفسير الطبري (٣٠/٢٥٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٥٣٠).

عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيماً له، وأما الروح فقيل: المراد به ههنا: جبريل عليه السلام<sup>(١)</sup> وخصه بالذكر لشرفه.

الفضيلة الخامسة: وصفها بأنها سلام، أي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو يعمل فيها أذى كما قاله مجاهد<sup>(٢)</sup>، ويكثر فيها السلامة من العقاب والعذاب بما يقوم به العبد من طاعة الله عز وجل.

الفضيلة السادسة: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [سورة: الدخان، آية: ٤] أي يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها، كل أمر محكم لا يبدل ولا يغير<sup>(٣)</sup>، وكل ذلك مما سبق علم الله تعالى به وكتابه له، ولكن يظهر للملائكة ما سيكون فيها ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم<sup>(٤)</sup>.

الفضيلة السابعة: أن الله تعالى يغفر لمن قامها إيماناً واحتساباً ما تقدم من ذنبه، كما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)<sup>(٥)</sup>.

وقوله: (إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا) أي تصديقاً بوعد الله بالثواب عليه، وطلباً للأجر لا لقصد آخر من رياء أو نحوه<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٥٣٢).

(٢) الدر المنثور (٨/٥٧٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/١٣٨-١٣٩).

(٤) شرح النووي على مسلم (٨/٥٧).

(٥) سبق نخرجه.

(٦) فتح الباري (٤/٢٥١)، والمختار (٢٣٧-٢٣٨).

وسميت بليلة القدر لابتداء نزول القرآن الذي يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال، والشرك والتوحيد، وصراط الله المستقيم وطريق الهلاك والشقاء المقيم.

وينبغي تحري هذه الليلة المباركة في ليالي الوتر من العشر الأخير من رمضان، لما رواه أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِي كُلِّ وَتْرٍ) <sup>(١)</sup>.

هل هي ثابتة أم متنقلة بين الليالي؟

قال أبو قلابة: إنها تنتقل في ليالي العشر، قال الشافعي: كان هذا عندي والله أعلم أن النبي ﷺ كان يجيب على نحو ما يُسأل، فعلى هذا كانت في السنة التي رأى أبو سعيد النبي ﷺ يسجد في الماء والطين ليلة إحدى وعشرين، وفي السنة التي رأى أبي بن كعب علامتها ليلة سبع وعشرين، وقد ترى علامتها في غير هذه الليالي <sup>(٢)</sup>.

ورجح بعض أهل العلم أنها تنتقل وليست في ليلة معينة كل عام، قال النووي - رحمه الله -: «وهذا هو الظاهر المختار لتعارض الأحاديث الصحيحة في ذلك، ولا طريق إلى الجمع بين الأحاديث إلا بانتقالها» <sup>(٣)</sup>، وروي عن أبي قلابة أنه قال: ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر <sup>(٤)</sup>.

لماذا أبهم الله علم هذه الليلة؟ قال بعض أهل العلم: أبهم الله تعالى هذه الليلة على الأمة ليجتهدوا في طلبها، ويجدوا في العبادة في الشهر كله، طمعاً في

(١) صحيح البخاري: ٧١٠/٢، صحيح مسلم: ٨٢٤/٢.

(٢) المغني (٦١/٣).

(٣) المجموع للنووي (٤٥٨/٦).

(٤) مصنف عبد الرزاق (رقم: ٧٦٩٩).

إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة يوم الجمعة ليكثرُوا من الدعاء في اليوم كله، وأخفى الأجل وقيام الساعة، ليجد الناس في العمل حذرًا منها<sup>(١)</sup>، لذلك أخفى الله علم هذه الليلة لطلب الاجتهاد والتشمير للسعي في الطاعة والتعبد والاستمرار عليها، فإن الإنسان خُلِق حريصًا على تحصيل الخير بأنواعه بأقل طريق وأيسره.

علامتها: المشهور في علاماتها ما ذكره أبي بن كعب عن النبي ﷺ: (أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بَيضَاءَ لَا شُعَاعَ لَهَا)<sup>(٢)</sup>، وورد هذا الحديث بدون لفظ: (بَيضَاءَ)<sup>(٣)</sup>، وفي بعض الأحاديث: (بَيضَاءَ مِثْلَ الطُّسْتِ)<sup>(٤)</sup>، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: (بلجة سمحة، لا حارة ولا باردة، تطلع شمسها صبيحتها لا شعاع لها)<sup>(٥)</sup>، وورد من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةٌ طَلِقَةٌ، لَا حَارَةٌ وَلَا بَارِدَةٌ، تُصْبِحُ الشَّمْسُ يَوْمَهَا حَمْرَاءَ ضَعِيفَةً)<sup>(٦)</sup>، وورد في حديث واثلة -رضي الله عنه-: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ بُلْجَةٌ، لَا حَارَةٌ وَلَا بَارِدَةٌ، وَلَا سَحَابَ فِيهَا وَلَا مَطَرَ وَلَا رِيحَ، وَلَا يُرْمَى فِيهَا بِنَجْمٍ...)<sup>(٧)</sup>.

(١) المغني (٣/ ٦١-٦٢).

(٢) صحيح مسلم: ٥٢٥/١.

(٣) صحيح مسلم: ٥٢٥/١، سنن الترمذي: ٤٤٥/٥.

(٤) سنن أبي داود: ٥١/٢، دون قوله: (بيضاء).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (رقم: ٨٦٧٨) عن الحسن البصري مرسلًا، وليس فيه: «لا حارة ولا باردة».

(٦) رواه ابن خزيمة (رقم: ٢١٩٢).

(٧) المعجم الكبير للطبراني (رقم: ١٣٩)، ومعنى بلجة: مضينة. مضينة.

فيستحب طلبها والاجتهاد في إدراكها، لأن الرسول ﷺ كان يجتهد في طلبها في العشر الأواخر من رمضان، وكان إذا دخل العشر الأخير أحيا ليله وأيقظ أهله وجد وشد المنزر، وهذا الحديثان صحيحان<sup>(١)</sup>.

ويسن الإكثار من الصلاة فيها والدعاء والاجتهاد في ذلك وغيره من العبادات فيها، لقوله ﷺ: (مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)<sup>(٢)</sup>، ولحديث عائشة -رضي الله عنها- في الدعاء حينما سألت الرسول ﷺ قائلة: أ رأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: (قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي)<sup>(٣)</sup>.

فيستحب الدعاء فيها بما جاء في حديث عائشة، ويستحب إحيائها بالعبادة إلى مطلع الفجر، قال تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [سورة: القدر، آية: ٥]، قال الشافعية: معناه أنها سلام من غروب الشمس إلى طلوع الفجر<sup>(٤)</sup>.

ولعل أبرز ما يمكن للصائم فعله ليرفع مكانته عند خالقه فينال شرف هذه الليلة هو الآتي:

أولاً: التهيؤ لهذه الليلة الشريفة من خلال إراحة الجسد بالنهار، والتقليل من الخلطة، وتوقّي الزحام، وتبكير الخروج إلى المسجد لمن لم يكن معتكفاً، والتقليل من الطعام، وترتيب أوضاع من بقي من الأهل في المنزل؛ لتقلل دواعي الخروج من المسجد، ومن ذلك: شراء حاجيات العيد قبل العشر أو قبل دخول

(١) المجموع للنووي (٤٥٨/٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) المجموع (٤٥٩/٦).

الشهر، حيث قلة الزحام وتوفر البضائع ورخص الأسعار، وفوق ذلك: توفير وقت الغنيمة وحفظه عن الهدر في الأسواق.

ثانياً: تطهير النفس وتخليتها من الذنوب والمعاصي من خلال توبة نصوح من كبائر الذنوب؛ لأن الذي قال: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) <sup>(١)</sup>، هو نفسه ﷺ الذي كان يقول: (الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفَّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ) <sup>(٢)</sup>، فعلق تكفير الذنوب، والتجاوز عن خطئ العبد بمفارقة الكبائر واقعاً أو حكماً من خلال أوبة مُستجمعة لشروط القبول.

ثالثاً: العناية بملء القلب بمحبة الله تعالى وتعظيمه ومشاهدة آلائه في الأنفس والآفاق، ومن مهابته وإدراك عظم الاضطراب إلى فضله وإحسانه، وعظيم نعيمه وشديد عقابه، وأنه لا مفر منه إلا إليه سبحانه، إذ كلما زاد العبد من كسر قلبه وإذلاله وزيادة إجلاله لخالقه ومعرفته به سبحانه وتعالى كلما تهيأت له فرصة القبول وإمكانية مضاعفة الأجور، فاحذر -أخي الصائم- من أن تكون ممن يعنى بعمل الظاهر، ولاحظّ وافراً له من عمل الباطن، فإن ما قلّت عنايتك به هو أساس الإخلاص وركيزة النجاة.

رابعاً: العناية باختيار الأعمال والقرب الظاهرة والباطنة التي سيتودد العبد إلى الله عز وجل بها في هذه الليلة المباركة، إذ للطاعات رُتب، وقد يفتح على عبد في قربة من الخشوع والخضوع والانكسار وإظهار الافتقار للرب الجليل ما لا يفتح في أخرى، والموفق من رزق فقهاً ومزيد إخلاص وكبير تأسّ بالنبي ﷺ.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

خامساً: تجنب تضيية الوقت في تحديد ليلة القدر، والتحقق من توفر علاماتها، والجدل في ذلك؛ لأنه على حساب بذل الوسع في القرب، وتحصيل الليلة والظفر بأجورها غير مرتبط بتحديدتها ومعرفة كونها تلك الليلة من تلك، بل كلما اجتمع للعبد فيها من خلال التقوى، ومعالم الخضوع، والعناية بأعمال القلوب، وزيادة الذل، والاجتهاد في العمل، كان أكثر أهياً لتحصيلها والظفر بإحسان الله جل وعلا وامتنانه على عباده فيها، فلا تكن -أخي الصائم- ممن يشتغل بما لا يعنيه، ويدع ما يهيمه وينجيهِ.

سادساً: الحرص على قيام بقية ليالي رمضان، وعدم التهاون فيها؛ لأن النبي ﷺ قال: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) (١).

ومع أننا لا ننكر تفاوت عمل النبي ﷺ في ليالي رمضان، كما يدل عليه حديث عائشة رضي الله عنها قال: (كان النبي ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ) (٢)، بل حتى في ليالي العشر، كما في حديث أبي ذر -رضي الله عنه- قال: صُفْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَمَضَانَ فَلَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئاً مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، فَلَمَّا كَانَتِ السَّادِسَةُ لَمْ يَقُمْ بِنَا، فَلَمَّا كَانَتِ الْخَامِسَةُ قَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ نَقَلْتَنَا قِيَامَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، قَالَ: فَقَالَ: (إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ) قال: فلما كانت الرابعة لم يقم، فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه والناس فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح، قال: قلت: ما الفلاح؟ قال: السُّحُورُ، ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا بِقِيَةِ الشَّهْرِ (٣).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) صحيح مسلم: ٨٢٢/٢.

(٣) سنن أبي داود: ٥٠/٢، سنن النسائي: ٨٣/٣.



لكن الشأن ليس في التفاوت؛ إذ الخير كله في التأسّي بالنبي ﷺ كيفية وكمية، بل المصيبة في إتيان المحرمات، وتضييع الواجبات، وتفويت الجماعات، والاشتغال بالملهيات، وترك الحفاظ على السنن الرواتب، والإعراض عن تلاوة القرآن ومدارسته، وإهمال أعمال القلوب، والتقلل من الذكر والدعاء والصدقة وسائر أعمال البر، حتى كأن رمضان في حياة كثير من الناس لا يفرق عن بقية أيام العام بغير الطعام!

وذلك والله من تضييع النفس، وتفويت الفرص، وعدم استثمار الوقت، ومخالفة حال السلف الصالح وسمتهم، والذين كانوا يحرصون غاية الحرص على استغلال هذه الفرصة الثمينة بالتقرب إلى الله جل وعلا بأنواع الطاعات من صلاة وذكر وصدقة ووجوه الإحسان وسائر أعمال البر.

بل إنه ليخشى على من تمادى في الغي أن يكون قريباً من قوله ﷺ حين صعد المنبر: "فلما ارتقى درجة قال: (آمين)، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: (آمين)، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: (آمين)، فلما نزل قلنا: يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه! قال: (إن جبريل عرض علي فقال: بعداً لمن أدرك رمضان فلم يغفر له، قلت: آمين، فلما رقيت الثانية قال: بعداً لمن ذكرت عنده فلم يصلّ عليك، قلت: آمين، فلما رقيت الثالثة قال: بعداً لمن أدرك أبواه الكبر عنده فلم يدخله الجنة، قلت: آمين) (١).

وليس هذا فحسب، بل إن من عباد الله من لا يعنى بغير ليلة سبع وعشرين، مع أن الصحيح أن ليلة القدر ليست مقصورة عليها، وإن كانت من أوكد الليالي التي هي مظنتها.

(١) المستدرك على الصحيحين: ١٧٠/٤.

ومنه من يزيد على ذلك فيعنى بها عناية غير شرعية، كأن يخصها بعمره؛ مع أن النبي ﷺ لم يحث أمته على الاعتمار في هذه الليلة تحديداً، وإنما حثهم على عمرة في مطلق الشهر: أوله أو أوسطه أو آخره، فمن لم تتهياً له العمرة إلا فيها فلا بأس من الاعتمار، أما أن يتقصدها بعمره معتقداً خاصيتها بذلك فالظاهر أنه غير مشروع، ولذا ترى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وهم أكثر حرصاً على الخير، لم يحثوا على الاعتمار في هذه الليلة، ولم يحرصوا على أن تكون عمرتهم فيها، وكانوا يشتغلون في الليلة التي تتحرى كونها ليلة القدر بالمشروع فيها، وهو القيام، وهذا لا ينفي أن العمرة وسائر القرب المندوبة في العشر أفضل لشرف الزمان، فكيف إذا انضاف إليه شرف المكان، لكن ثبوت الفضل شيء، واعتقاد خاصية تلك الليلة بشيء لم تخص به شيء آخر، والله أعلم.

ومنه من لا يعنى بليالي الشفع من العشر الأواخر؛ بحجة أن ليلة القدر محصورة في ليالي الوتر، وهذا يحتاج إلى تحرير؛ فإن ليلة القدر تنتقل في سائر العشر؛ لأن الوتر المذكور في ليالي العشر يكون باعتبار الماضي، وباعتبار المستقبل، فيكون باعتبار الماضي، فتطلب ليلة إحدى وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين، وليلة خمس وعشرين، وليلة سبع وعشرين، وليلة تسع وعشرين، ويكون باعتبار ما بقي، كما قال النبي ﷺ: (تَاسِعَةٌ تَبْقَى، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى) (١)، فعلى هذا إذا كان الشهر ثلاثين يكون ذلك ليالي الإشفاع، وتكون الاثنتين والعشرين تاسعة تبقى، وليلة أربع وعشرين سابعة تبقى.. وإن كان الشهر تسعاً وعشرين كان التاريخ بالباقي كالتاريخ بالماضي.

وإذا كان الأمر كذلك فينبغي أن يتحراها المؤمن في ليالي العشر الأواخر جميعها، كما قال النبي ﷺ: (تحروها في العشر الأواخر) <sup>(١)</sup>، وإن كانت تأتي في السبع الأواخر أكثر، وأكثر ما تكون ليلة سبع وعشرين <sup>(٢)</sup>، والله أعلم.

فاجتهد -أخي الصائم- في تحري هذه الليلة المباركة، وإحيائها، حتى تستجلب بركتها، إذ اللحظات عزيزة، والنفوس مقصرة، والفرص تزول، والعمر ينقضي، والحساب آت، ولا يبقى أمام العبد إلا التعرض لرحمة ربنا تبارك وتعالى <sup>(٣)</sup>.

\*\*\*\*

(١) تقدم تخريجه.

(٢) مجموع الفتاوى: ٢٥/٢٨٥.

(٣) هكذا كان النبي ﷺ في رمضان: ١٣٩-١٤٥.

## المبحث الرابع أداء زكاة الفطر

وهي الصدقة التي تخرج في آخر رمضان، وفي ليلة عيد الفطر وصباح عيد الفطر، وسميت بزكاة الفطر لأنها شرعت عند إتمام الشهر، وفي الزمن الذي يفطر فيه الصائمون من رمضان، فهي زكاة الإفطار، أو صدقة عيد الفطر الذي بعد إكمال رمضان.

والأصل في مشروعيتها: عموم الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [سورة: الأعلى، آية: ١٤-١٥] والأحاديث فيها صحيحة.

وأجمع المسلمون على وجوبها، وسند الإجماع: ما جاء في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ: (فَرَضَ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى كُلِّ حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (١).

قال جمهور السلف والخلف: معنى «فرض»: ألزم وأوجب (٢).

والحكمة من مشروعيتها: الإحسان إلى الفقراء والمساكين والكف لهم عن السؤال في أيام العيد، ليشاركوا الأغنياء في فرحهم وسرورهم ويكون عيداً للجميع، وكذلك الاتصاف بخلق الكرم وحبّ المواساة، ومنها: تطهير الصائم مما يحصل في صيامه من نقص ولغو، وكذلك إظهار شكر نعمة الله بإتمام صيام شهر رمضان وقيامه وفعل الطاعات فيه، لما رُوي من حديث ابن عباس قال: (فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللُّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً

(١) صحيح البخاري: ٢/٥٤٧، صحيح مسلم: ٢/٦٧٧.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/٥٨).

لِلْمَسَاكِينِ<sup>(١)</sup>، فهي ترقع خلل الصيام، وهكذا كل عبادة تتعلق بعبادة أخرى فإنها تكون مكملة لها ومتممة لما نقص منها<sup>(٢)</sup>.

وأداء زكاة الفطر يكون من الأصناف الخمسة وهي: البر، والتمر، والشعير، والزبيب، والأقط، بل ويجوز إخراجها من غالب قوت البلد، وعلى هذا فيجوز إخراجها من الأرز، بل هو الأفضل لأنه أنفع للناس.

قال ابن المنذر: «وأجمع أهل العلم على أن على المرء صدقة الفطر إذا أمكنه عن نفسه وعن أولاده الأطفال الذين لا أموال لهم، وإذا كان للطفل مال أخرج عنه من ماله، وعلى المرء صدقة الفطر عن ممتلكه، ذكرهم وأنثاهم، صغيرهم وكبيرهم، مَنْ غاب منهم وَمَنْ حضر، علم بموضعه أو لم يعلم به<sup>(٣)</sup>».

وتجب بغروب الشمس ليلة الفطر، للحديث المتقدم، ولأنه وقت الفطر من رمضان، وقيل: وقت وجوبها طلوع الفجر من يوم العيد لأن الليل ليس محلًّا للصوم، وإنما يتبين الفطر الحقيقي بالأكل بعد طلوع الفجر، وهو أفضل الأوقات لإخراجها<sup>(٤)</sup>.

ويجوز أن تقدم زكاة الفطر قبل العيد بيوم أو يومين، لما في ذلك من التوسعة على المعطي والآخذ، أما قبل ذلك فإن الراجح من أقوال أهل العلم أنه لا يجوز<sup>(٥)</sup>.

(١) سنن أبي داود: ١١١/٢، سنن ابن ماجه: ٥٨٥/١.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام للشيخ البسام (٧٢/٣).

(٣) الإقناع لابن المنذر (١٨١/١).

(٤) مواهب الجليل (٣٧٣/٢).

(٥) كشف القناع (٢٥٢/٢).

وتجب على المرأة سواء أكان لها زوج أم لا، وبه قال الثوري وأبو حنيفة وابن المنذر، وقال مالك والشافعي والليث وأحمد وإسحاق: تجب على زوجها إلحاقاً بالنفقة، وفيه نظر لأنهم قالوا: إن أعسر وكانت الزوجة أمة وجبت فطرتها على السيد بخلاف النفقة فافترقا، واتفقوا على أن المسلم لا يخرج عن زوجته الكافرة مع أن نفقتها تلزمه<sup>(١)</sup>.

والصحيح: وجوب زكاة الفطر على الزوج لزوجته، وذلك لوجوب نفقتها في حالة اليسر والعسر، لأنها على سبيل المعاوضة.

وتجب على الصغير لكن المخاطب عنه وليه، فوجوبها على هذا في مال الصغير وإلا فعلى من تلزمه نفقته، وهذا قول الجمهور، وقال محمد بن الحسن: هي على الأب مطلقاً فإن لم يكن له أب فلا شيء عليه، وعن سعيد بن المسيب والحسن البصري، لا تجب إلا على من صام، واستدل لهما بحديث ابن عباس مرفوعاً: (صَدَقَةُ الْفِطْرِ طَهْرَةٌ لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ)<sup>(٢)</sup> أخرجه أبو داود، وأجيب بأن ذكر التطهير خرج على الغالب، كما أنها تجب على من لم يذنب كمتحقق الصلاح أو من أسلم قبل غروب الشمس بلحظة<sup>(٣)</sup>.

نقل ابن المنذر الإجماع على أنها لا تجب على الجنين، قال: وكان أحمد يستحبه ولا يوجبه، ونقل بعض الحنابلة رواية عنه بالإيجاب<sup>(٤)</sup>، وإخراجها مروى عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه -<sup>(٥)</sup>.

(١) فتح الباري (٣/٣٦٩)، نيل الأوطار (٤/٢٥١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) فتح الباري (٣/٣٦٩).

(٤) فتح الباري (٣/٣٦٩).

(٥) شرح الزركشي (١/٤٠٩)، وقال العراقي: «ولا يصح عن عثمان خلاف ما قلناه» (طرح الشرب في شرح التقريب ٤/٥٧).

## مقدار زكاة الفطر:

ذكر في حديث أبي سعيد أنها صاع من أحد الأصناف المذكورة، وقد اختلف في مقدارها من البر، فرأى معاوية الاكتفاء بنصف صاع منه، لكونه أفضل من الشعير، وأن الفقراء قد لا يأكلون الشعير أحياناً؛ بل يطعمونه الدواب والبهائم، وكذا التمر؛ سيما الرديء منه، فنصف الصاع من البر يعدل الصاع من الشعير في القيمة، ثم هو أنفع من الشعير للفقراء، وقد عمل بذلك كثير من الصحابة، ذكرهم الحافظ في شرح البخاري وغيره<sup>(١)</sup>.

وورد في ذلك حديث حسنه الترمذي، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن النبي ﷺ بعث منادياً في فجاج مكة (ألا أن صدقة الفطر واجبة على كل مسلم، ذكر أو أنثى حر أو عبء، صغير أو كبير، مدان من قمح، أو سواه صاع من طعام)<sup>(٢)</sup>.

ولكن حديث أبي سعيد أصح منه، وفيه: صاع من طعام، وقد فسره الخطابي بالبر وهو الأولى، وقد اختار أبو سعيد البقاء على ما كان عليه وقت النبي ﷺ، وهو إخراج الصاع كاملاً دون موافقة معاوية على رأيه.

ثم إن الصاع معروف، وهو أربعة أمداد، والمد من البر ملء الكفين المتوسطين مجموعتين، وقدّر الصاع بأنه خمسة أرطال وثلث بالعراقي، والصاع معروف في هذه البلاد، وهو مع العلاوة يقارب ثلاثة كيلو، وبدون علاوة نحو كيلوين ونصف، والاحتياط إكمال الثلاثة.

(١) انظر: فتح الباري: ٣/ ٣٧٣.

(٢) سنن الترمذي: ٣/ ٦٠.

## هل يجزئ إخراج القيمة؟

ولا يجزئ إخراج القيمة؛ لأن ذلك خلاف هدي رسول الله ﷺ، وخلاف ما أمر به، فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ) <sup>(١)</sup>، واعلم أن إخراج القيمة مخالف لعمل أصحاب رسول الله ﷺ، حيث كانوا يخرجونها طعامًا من سائر قوت البلد، وكيف ورسول الله ﷺ يأمرك باتباع منهجهم والسير على هدفهم فيقول: (فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ) <sup>(٢)</sup>، فالزم طريقهم وسر على دربهم، تهتدي وتؤجر على ذلك.

واعلم أنها تدفع لفقراء البلد الذي صمت فيه، وغيرهم من أهل الزكاة، ولو دفعتها لفقير واحد فلا حرج، والأفضل توزيعها إن أمكن.

\*\*\*\*

(١) صحيح البخاري: ٢/٩٥٩، صحيح مسلم: ٣/١٣٤٣.

(٢) سنن أبي داود: ٤/٢٠٠، سنن الترمذي: ٥/٤٤، سنن ابن ماجه: ١/١٥.



## المبحث الخامس أداء سنن وصلاة العيد

العيد: اسم لما يعود ويتكرر، إما بعود الأسبوع أو الشهر أو السنة، من الاجتماع العام على وجه مخصوص، وأكثر ما يطلق على أيام الفرح والسرور والأنبساط، ولهذا يقول بعض السلف: "كل يوم يمر بك وأنت في طاعة وعبادة فهو لك عيد".

وفي ذلك يقول بعضهم شعراً:

عِيدِي مُقِيمٌ وَعِيدُ النَّاسِ مُنْصَرِفٌ  
وَالْقَلْبُ مِنِّي عَنِ اللَّذَاتِ مُنْحَرِفٌ  
وَلِي قَرِينَانِ مَا لِي مِنْهُمَا خَلْفٌ  
طُولُ الْحَيْنِ وَعَيْنٌ دَمْعُهَا يَكِفُ<sup>(١)</sup>

فأعياد المسلمين ثلاثة:

- \* عيد يتكرر كل أسبوع وهو يوم الجمعة.
- \* وعيد يحتفلون به بعد إكمال صومهم.
- \* وعيد وقت موسم حجهم ونسكهم.

فشرع الله لهم بعد إكمال صلاتهم المكتوبة سبعة أيام أن يكون السابع يوم الجمعة، وهو عيد لهم، ولكنه يوم عبادة يجتمعون فيه ويؤدون فيه صلاة خاصة، تجمع أهل البلد كلهم، وفيه يستمعون إلى الخطب والنصائح والمواعظ، ويلتقي بعضهم ببعض، ويتبادلون التحية والسلام، ويتفقدون أحوال إخوانهم، ويطمئن بعضهم على صحة إخوانه، ويتعرفون أحوال المرضى والمعوزين، ويخفف بعضهم

(١) تاريخ دمشق: ٤٥/٦٢.

عن بعض، ونحو ذلك من المصالح الكبيرة التي تترتب على هذا الاجتماع والتلاقي.

كما شرع لهم بعد إكمال صومهم وما معه من العبادات التي يتقربون بها إلى ربهم في شهر رمضان، أن يكون اليوم الذي بعده عيداً لهم، يظهر فيه الفرح والسرور، ويتبادلون التهئة والتبريك، بإكمال صومهم، وإدراك يوم عيد الفطر الذي يسمى: يوم الجوائز؛ حيث يحصلون على جوائز المغفرة والرحمة والعق من النار، وليس هو يوم أشر وبطر وسهو وهو وغناء وزمر وباطل، ولهذا يفتح بصلاة العيد التي فيها المواعظ والنصائح، وفيها إظهار التكبير والتسبيح، امثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٥].

وشرع العيد الثاني السنوي وقت أداء المناسك الخاصة بالحرم المكي، وبعد إكمال العشر الأول من شهر ذي الحجة التي يشرع فيها التعبد والذكر والدعاء والعمل الصالح، وفي آخرها أيام ذبح الأنسك والقرابين، فناسب أن يكون اليوم العاشر يوم عيد لجميع المسلمين في جميع البلاد، يتقربون فيه بذبح الأضاحي، ويؤدون فيه صلاة العيد وخطبتيه، وينصتون لما فيها من المواعظ والتعليقات، فهذه أعياد المسلمين.

فأما أعياد الكفار: فهي خاصة بهم، كيوم النيروز، ويوم المهرجان، وعيد المولد، أو رأس السنة الميلادية، ومثلها ما أحدثه بعض المسلمين: كالمولد النبوي ونحوه، فهي أعياد تخصهم، وقد برئ الإسلام منها ومن أهلها، وعلى هذا فلا تجوز مشاركتهم فيها، سواء في عيد الأسبوع كالسبت لليهود والأحد للنصارى، أو أعياد السنة المعروفة عندهم، فيحرم على المسلم الاحتفال بها لكونها مبتدعة أو منسوخة، ولا تجوز تهنئتهم ولا التبريك لهم، ولا إظهار الفرح بتلك الأعياد، ولا

الأكل من أطعمتهم أو ما يقدمون لزملائهم من فواكه وحلوى و نحو ذلك، لما فيه من الرضا بتلك الأعياد المبتدعة والإقرار بها.

ولقد جاءت الشريعة الإسلامية بعد ختام شهر رمضان بتشريع صلاة العيد في المصلى مع جماعة المسلمين، مع ملاحظة ما يلي:

أولاً: أكل تمرات قبل الخروج إلى صلاة العيد (عيد الفطر) ولتكن على وتر، لما رواه الإمام البخاري من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: كان النبي ﷺ: (لَا يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمْرَاتٍ)، وفي رواية: (وَيَأْكُلُهُنَّ وَتَرًا)<sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر: «قال المهلب: (الحكمة في الأكل قبل الصلاة أن لا يظن ظان لزوم الصوم حتى يصلى العيد، فكأنه أراد سدّ هذه الذريعة)، وقال غيره: لما وقع وجوب الفطر عقب وجوب الصوم استحب تعجيل الفطر مبادرة إلى امتثال أمر الله ويشعر بذلك اقتصاره على القليل من ذلك، ولو كان لغير الامتثال لأكل قدر الشبع، وأشار إلى ذلك ابن جرير... وقيل: لأن الشيطان الذي يجبس في رمضان لا يطلق إلا بعد صلاة العيد فاستحب تعجيل الفطر بداراً إلى السلامة من وسوسته...»<sup>(٢)</sup>.

والحكمة في استحباب التمر لما في الحلو من تقوية البصر الذي يضعفه الصوم، ولأن الحلو مما يوافق الإيمان، ويعبر به المنام، ويرق به القلب، وهو أيسر من غيره ومن ثم استحب بعض التابعين أن يفطر على الحلو مطلقاً كالعسل، رواه ابن أبي شيبة عن معاوية بن قررة وابن سيرين وغيرهما<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري: ٣٢٥ / ١.

(٢) فتح الباري (٢/٤٤٧).

(٣) فتح الباري (٢/٤٤٧).

ثانياً: مشروعية التجميل لصلاة العيد، لفعل أصحاب رسول الله ﷺ، وأما المرأة فتخرج غير متجملة ولا متطيبة ولا متبرجة ولا سافرة.

ثالثاً: التبكير إلى العيد وهو مستحب، ولذلك بوب البخاري في صحيحه<sup>(١)</sup>، باب التبكير إلى العيد، وقال عبد الله بن بسر المازني حينما أبطأ الإمام بالخروج إلى الصلاة قال: إنا كنا قد فرغنا ساعتنا هذه وذلك حين التسييح<sup>(٢)</sup>، وكذلك حديث البراء بن عازب قال: خطبنا النبي ﷺ يوم النحر قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ...»<sup>(٣)</sup>، وهو دال على أنه لا ينبغي الاشتغال في يوم العيد بشيء غير التأهب للصلاة والخروج إليها، ومن لازمه أن لا يفعل قبلها شيء غيرها، فاقضى ذلك التبكير إليها<sup>(٤)</sup>.

رابعاً: مشاركة المجتمع الفرحة بالعيد وصلاته، ويتمثل ذلك في خروج النساء (العواتق والحِيض إلى المصلى) لحديث أم عطية -رضي الله عنها-: (أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُخْرِجَهُنَّ فِي الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى، الْعَوَاتِقَ وَالْحِيضَ وَذَوَاتِ الْخُدُورِ، فَأَمَّا الْحِيضُ فَيَعْتَزِلْنَ الصَّلَاةَ، وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ، وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ)<sup>(٥)</sup>.

وفي صحيح البخاري من حديث أم عطية -رضي الله عنها- قالت: (كنا نُؤْمَرُ أَنْ نُخْرِجَ يَوْمَ الْعِيدِ حَتَّى نُخْرِجَ الْبِكْرَ مِنْ خِدْرِهَا، حَتَّى نُخْرِجَ الْحِيضَ فَيَكُنَّ خَلْفَ النَّاسِ، فَيَكْبُرْنَ بِتَكْبِيرِهِمْ، وَيَدْعُونَ بِدَعَائِهِمْ، يَرْجُونَ بَرَكَةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَطَهْرَتَهُ)<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح البخاري: ٣٢٩/١.

(٢) علقه البخاري مجزوماً به في الموضوع السابق، سنن أبي داود: ٢٩٥/١، سنن ابن ماجه: ٤١٨/١.

(٣) صحيح البخاري: ٣٢٩/١، صحيح مسلم: ١٥٥٢/٣.

(٤) فتح الباري (٤٥٧/٢).

(٥) صحيح البخاري: ٣٣١/١، صحيح مسلم: ٦٠٦/٢.

(٦) صحيح البخاري: ٣٣٠/١، صحيح مسلم: ٦٠٥/٢.

خامساً: شرعية التكبير في موضع الصلاة، وفي الطريق إلى صلاة العيد، ورفع الصوت به، امثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٥] فيسن للمسلمين إظهار التكبير والجهر به، فهو من شعائر ذلك اليوم، وصفته:

(الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله و الله أكبر، الله أكبر و الله الحمد).  
وإن شاء قال:

(الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً. وتعالى الله جباراً قديراً، وصلى الله على محمد النبي وسلم تسليماً كبيراً)، أو نحو ذلك من التكبير. ويكبر كل فرد وحده، ولا يجوز التكبير الجماعي الذي هو اجتماع جماعة على التكبير بصوت واحد ووقت واحد، لكن من لا يعرف صيغة التكبير لجهل أو عجمة يجوز له متابعة بعض من يكبر حتى يتعلم.

سادساً: ليس قبل صلاة العيد تنفل ولا سنة، والتنفل في المصلى لو فعل لُنُقِل، ومن أجازَه رأى أنه وقت مطلق للصلاة، ومن تركه رأى أن النبي ﷺ لم يفعله ومن اقتدى فقد اهتدى، قاله ابن العربي<sup>(١)</sup>.

ويؤيده ما رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- (أن النبي ﷺ خَرَجَ يَوْمَ الْفِطْرِ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَمْ يُصَلِّ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا، وَمَعَهُ بِلَالٌ)<sup>(٢)</sup>.

(١) فتح الباري (٢/٤٧٦).

(٢) صحيح البخاري: ١/٣٢٧، صحيح مسلم: ٢/٦٠٢.

والفرح بصيام هذا الشهر وقيامه، وأي نعمة أعظم من ذلك، وصدق الله القائل: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [سورة يونس: ٥٨].

واعلم أن التهنئة بالعيد مستحبة لأنك تدخل السرور والفرحة على قلوب إخوانك المسلمين، ولأنه عيد يفرح به المسلمون، لما رواه أبو داود في سننه من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قدم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: (مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟)، قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمُ الْأَضْحَى وَيَوْمُ الْفِطْرِ) <sup>(١)</sup>.

واعلم -أخي الصائم- أن يوم العيد هو يوم فرح للمسلمين وسرورهم، فيه يتجملون ويلبسون أحسن الثياب، وفيه يتزاورون ويتبادلون التهاني والتبريك بهذا اليوم المبارك، ويدعون ربهم أن يعيد عليهم من بركاته، وأن يعود عليهم مرات بعد مرات، وهم في غاية النصر والتمكين والهناء، والعيش الرغيد والحياة السعيدة، وفيه يعودون المرضى ويتواصلون الأرحام، ويجتمع الأقارب ويتلاقون بعد طول الغيبة.

ويجوز فيه إظهار شيء من الفرح والمرح واللهو المباح، ففي الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تناولت الأنصار يوم بعث، وليستا بمغنياتين، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه، و دخل أبو بكر فانتهرني، وقال: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ، وذلك في يوم عيد، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: (دَعُوهَا يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَإِنَّ عِيدَنَا) <sup>(٢)</sup>. فدل على أنه يباح لمثل

(١) سنن أبي داود: ١/٢٩٥، سنن النسائي: ٣/١٧٩.

(٢) صحيح البخاري: ١/٣٢٤، صحيح مسلم: ٢/٦٠٧.

عائشة سماع شيء من الشعر الذي فيه ترويح عن النفس وجلب للفرح والانبساط إذا لم يكن فيه شيء من التمطيط والتكسير والتهيج بما يثير الغرائز ويدفع إلى اقتراف الفواحش، ولهذا قالت: "وليستا بمغنيتين" أي ليستا بمن يعرف الغناء الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن، كالذي فيه وصف الحدود والقدود و الخمر ونحو ذلك.

وفي الصحيح أيضاً عنها قالت: وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب فقال ﷺ: (تَشْتَهِيَنَّ تَنْظُرِينَ) فقلت: نعم، فأقامني وراءه خدي على خده، وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة، حتى إذا مللت قال: (حَسْبُكَ)، قلت: نعم، قال: (فَادْهَبِي) قالت: فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو. رواه البخاري في عدة مواضع<sup>(١)</sup>، وهو دليل على جواز اللعب بالسلاح على طريق التواثب للتدرب على الحرب والتنشيط عليه، لما فيه من تمرين الأيدي على آلات الحرب، وفيه أن للعيد خصوصية بمثل هذا التدرب والتمرن على آلات الحرب وتعلم كيفية حملها.

وللأسف الشديد أن هناك من يجعل يوم العيد و الأيام بعده أيام لهو ولعب وغناء وطرب، ويجتمع الخلق الكثير ويعملون ولائم، وينفقون الأموال الطائلة في إصلاح الأطعمة، ويسرفون في ما ينفقونه من الأموال في اللحوم والفواكه وأنواع المأكّل التي يعدونها للمغنين وأهل الزمر واللهو، ويستعملون الضرب بالطبول وإنشاد الأغاني الملحنة الفاتنة، وما يصحبها من التمايل والطرب، ويستمر بهم هذا الفعل بضعة أيام، حتى إنهم يسهرون أكثر الليل ويفوتون صلاة الصبح في وقتها وجماعتها.

(١) صحيح البخاري: ١/٣٢٣، صحيح مسلم: ٢/٦٠٨.

ولا شك أن هذه الأفعال تدخل في التحريم، وتجري إلى مفسد ما أنزل الله بها من سلطان، وتدخل في اللهو الذي عاب الله أهله بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثُ﴾ [سورة: لقمان، آية: ٦]. وفي الوصف الذي ذم الله به أهل النار بقوله: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هُوءًا وَلَعِبًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [سورة: الأعراف، آية: ٥١].

فننصح من يريد نجاة نفسه أن يربأ بها عن هذه الملاهي، وأن يحرص على حفظ وقته فيما ينفعه، وأن يبتعد عن المعاصي والمخالفات، وأن لا يقلد أهل اللهو والباطل ولو كثروا أو كبرت مكانتهم.

ويعتقد البعض من الناس أن شرعية العيد بعد رمضان عبارة عن الفرح بخروجه والتخلص منه، لأنه يحول بينهم وبين ملذاتهم ومشتياتهم، ويفطمهم عن عاداتهم النفسية التي مرنت عليها نفوسهم، واعتادتها أهواؤهم طوال العام، فهم يعتبرونه شهر حبس وحيلولة بينهم وبين ما يشتهون، وقد يستشهد بعضهم بقوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سورة: سبأ، آية: ٥٤].

قال ابن رجب في لطائف المعارف<sup>(١)</sup> في الكلام على النهي عن صوم آخر شعبان قال: "ولربما ظن بعض الجهال أن الفطر قبل رمضان يراد به اغتنام الأكل لتأخذ النفوس حظها من الشهوات قبل أن تمنع من ذلك بالصيام، ولهذا يقولون: هي أيام توديع للأكل، وتسمى: تنحيساً واشتقاقه من الأيام النحسات.. وذكر أن أصل ذلك من النصارى، فإنهم يفعلونه عند قرب صيامهم، وهذا كله خطأ و جهل ممن ظنه، ولربما لم يقتصر كثير منهم على الشهوات المباحة، بل يتعدى إلى المحرمات، وهذا هو الخسران المبين، وأنشد لبعضهم:

إذا العِشْرُونَ من شعبانَ وُلّت  
فواصل شربَ ليلك يالتهار  
ولا تشرب بأقداح صغار  
فإن الوقت ضاق على الصغار

(١) لطائف المعارف: ص ١٤٥ بتصرف يسير.



وقال آخر:

جَاءَ شَعْبَانُ مُنْذِرًا بِالصِّيَامِ فَاسْقِيَانِي رَاحًا بِبَاءِ الْغَمَامِ  
ومن كانت هذه حاله فالبهائم أعقل منه، وله نصيب من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [سورة: الأعراف، آية: ١٧٠]، و ربما تكره كثير منهم بصيام رمضان، حتى إن بعض السفهاء من الشعراء كان يسبه، و كان للرشيد ابن سفيه فقال مرة شعراً:

دَعَايَ شَهْرُ الصَّوْمِ لَأَكَانَ مِنْ شَهْرٍ وَلَا ضُمَّتْ شَهْرًا بَعْدَهُ آخِرَ الدَّهْرِ  
فَلَوْ كَانِ يَعْبُدِينِي الْأَنَامُ بِقُدْرَةٍ عَلَى الشَّهْرِ لَأَسْتَعْدَيْتُ جَهْدِي عَلَى الشَّهْرِ  
فأخذه داء الصرع فكان يصرع في كل يوم مرات متعددة، ومات قبل أن يدركه رمضان آخر.

وهؤلاء السفهاء يستثقلون رمضان لاستثقالهم العبادات فيه، فكثير منهم لا يصلون إلا في رمضان، ولا يجتنب كبائر الذنوب إلا فيه، فيشق على نفسه مفارقتها لمألوفها، فهو يعد الأيام والليالي ليعود إلى المعصية، ومنهم من لا يقوى على الصبر عن المعاصي فهو يواقعها في رمضان" ا. هـ. هكذا ذكر ابن رجب رحمه الله عن أهل زمانه ومن قبلهم.

ولا شك أن الدين يزداد غربة والأمر في شدة، والكثير من هؤلاء الذين يتوقفون ظاهراً عن مألوفاتهم يفرحون بانقضاء الشهر وانصرافه، فالعيد عندهم يوم فرحتهم برجعهم إلى دنياهم وملاهيهم ومكاسبهم المحرمة أو المكروهة، فأين هؤلاء ممن يحزنون ويستأوون لانقضاء الشهر؟!، بل من الذين يجعلون السنة كلها صياماً وقياماً وعبادات وقربات، ويحمون أنفسهم عن جميع الملذات فضلاً عن المحرمات؟! فالله يرحمهم فما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل:

نَزَلُوا بِمَكَّةَ فِي قَبَائِلِ هَاشِمٍ وَنَزَلْتُ بِالْبَيْدَاءِ أْبَعَدَ مَنْزِلٍ (١)

## المبحث السادس التكبير في عيد الفطر

يسن التكبير المطلق - وهو الذي لم يقيد بأدبار الصلوات - والجهر به في ليلتي العيدين إلى فراغ الخطبة لقوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٥]، وفي كل عشر ذي الحجة، وعن علي - رضي الله عنه - أنه كان يكبر حتى يُسمع أهل الطريق<sup>(١)</sup>.

وقال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: «حق على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال أن يكبروا الله حتى يفرغوا من عيدهم»<sup>(٢)</sup>.

وجاء عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وأبي سلمة - رحمهم الله - أنهم كانوا يكبرون ليلة الفطر في المسجد يجهرون بالتكبير<sup>(٣)</sup>.

وكان الشافعي - رحمه الله - يقول إذا رأى هلال شوال: «أحببت أن يكبر الناس جماعة وفرادى، في المسجد والأسواق والطرق والمنازل ومسافرين ومقيمين، في كل حال وأين كانوا، وأن يظهروا التكبير ولا يزالون يكبرون حتى يغدوا إلى المصلى، وبعد الغدو حتى يخرج الإمام للصلاة...»<sup>(٤)</sup>.

وصفة التكبير: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر والله الحمد»<sup>(٥)</sup>.

(١) الكافي (١/٢٣٥).

(٢) تفسير الطبري (٢/١٥٧).

(٣) الأم (١/٢٣١).

(٤) الأم (١/٢٣١).

(٥) الكافي (١/٢٣٦)، والمغني (٢/١٢٧).

وكان ابن المبارك - رحمه الله - يقول إذا خرج من يوم الفطر: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر والله الحمد، الله أكبر على ما هدانا»<sup>(١)</sup>، وقال ابن المنذر: «وكان مالك لا يجذّ فيه حدًّا»<sup>(٢)</sup>، وقال الإمام أحمد: «هو واسع»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*\*

(١) المغني (٢/١٢٧).

(٢) تفسير القرطبي (٢/٣٠٧).

(٣) تفسير القرطبي (٢/٣٠٧).



## الفصل السادس

### ما بعد رمضان

وفيه مقدمة وعدة مباحث:

المقدمة: وداع شهر رمضان

المبحث الأول: كثرة الاستغفار

المبحث الثاني: قضاء رمضان لمن لم يصمه

المبحث الثالث: الصيام عن مات وعليه صيام

المبحث الرابع: صيام الست من شوال

المبحث الخامس: الاجتهاد في النوافل

المبحث السادس: الاستقامة بعد رمضان

المبحث السابع: الدعاء بقبول الصيام

## المقدمة وداعاً يا شهر رمضان

ورد في الحديث أن صيام رمضان سبب لمغفرة الذنوب، وكذا قيامه، وقيام ليلة القدر، والصحيح: أن المغفرة تختص بالصغائر، لقوله ﷺ: (الصَّلَاةُ الْخُمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ)<sup>(١)</sup> رواه مسلم. والجمهور على أن الكبائر لا بد لها من توبة.

ثم إن العبد بعد فراق رمضان وقد كُفِّرَتْ عنه سيئاته، يجب عليه أن يحافظ على الصالحات، ويحفظ نفسه عن المحرمات، وتظهر عليه آثار هذه العبادات في بقية حياته، فذلك من علامات قبول صيامه وقيامه وقرباته، فإذا كان بعد رمضان يجب الصلوات ويحافظ على الجمع والجماعات، ويكثر من نوافل الصلاة، ويصلي من الليل ما قدر له، ويُعوِّد نفسه على الصيام تطوعاً، ويكثر من ذكر الله تعالى ودعائه واستغفاره، وتلاوة القرآن الكريم وتدبره وتعقله، ويتعاهد الصدقة، ويصل أرحامه ويبر أبويه، ويؤدي ما عليه من الحقوق لربه وللعباد، ويحفظ نفسه ويصونها عن الآثام وأنواع الجرائم، وعن جميع المعاصي وتنفر منها نفسه، ويستحضر دائماً عظمة ربه ومراقبته وهيبته في كل حال، إذا كان كذلك بعد رمضان، فإنه دليل قبول صيامه وقيامه، وتأثره بما عمل في رمضان من الصالحات والحسنات.

ومع ذلك فإن صفة الصالحين وعباد الله المتقين الحزن والأسى على تصرف الأيام الشريفة، والليالي الفاضلة، كليالي رمضان، وهذه صفة السلف الصالح وصدر هذه الأمة رحمهم الله تعالى، فلقد يجزنون لانصراف رمضان، ومع ذلك يدأبون في ذكره، فيدعون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم، ثم يدعونه ستة أشهر أن

يبلغهم رمضان، فتكون سنتهم كلها في ذكر هذا الشهر، فهو دليل على عظم موقعه في نفوسهم، ويقول قائلهم:

سَلَامٌ مِنَ الرَّحْمَنِ كُلَّ أَوَانٍ      عَلَى خَيْرِ شَهْرٍ قَدْ مَضَى - وَزَمَانٍ  
سَلَامٌ عَلَى شَهْرِ الصَّيَامِ فَإِنَّهُ      أَمَانٌ مِنَ الرَّحْمَنِ أَيُّ أَمَانٍ  
لَسْنَا فَنَيْتُ أَيَّامَكَ الْغُرْبَةَ      فَمَا الْحَزْنَ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ بِفَانٍ<sup>(١)</sup>

لقد ذهبت أيامه وما أطعتم.

وكتبت عليكم فيه آثامه وما أضعتم.

وكانكم بالمشمرين وقد وصلوا وانقطعتم.

أترى ما هذا التوبيخ لكم؟!!

أوما سمعتم قلوب المتقين إلى هذا الشهر تحن؟! ومن ألم فراقه تنن؟

كيف لا تجري للمؤمن على فراقه دموع؟! وهو لا يدري هل بقي له في عمره إليه رجوع!

تَذَكَّرْتُ أَيَّاماً مَضَتْ وَلِيَالِيَا      خَلَّتْ فَجَرَتْ مِنْ ذِكْرِهِنَّ دُمُوعٌ<sup>(٢)</sup>

أين حرق المجتهدين في نهاره؟!، أين قلق المتهجدين في أسحاره؟!، فكيف حال من خسر في أيامه ولياليه؟!، ماذا ينفع المفرط فيه بكاؤه وقد عظمت فيه مصيبته وجل عزاؤه؟!، كم نُصح المسكين فما قبل النصح؟!، كم دعي إلى المصالحة فما أجاب إلى الصلح؟!، كم شاهد الواصلين فيه وهو متباعد؟!!

كم مرت به زمر السائرين وهو قاعد؟!، حتى إذا ضاع الوقت وخاف المقت ندم على التفريط حين لا ينفع الندم، وطلب الاستدراك في وقت العدم، دموع المحبين

(١) انظر: مشيخة أبي الطاهر بن أبي الصقر: ص ١٦٣.

(٢) انظر: طلائع السلوان: ص ١٧٦.

تدفق، قلوبهم من ألم الفراق تشقق. عسى وقفه للوداع تطفي من نار الشوق ما أحرق، عسى توبة ساعة وإقلاع ترفو من الصيام ما تحرق.

عسى منقطع عن ركب المقبولين يلحق، عسى أسير الأوزار يطلق، عسى من استوجب النار يعتق، لا شك أن شهر رمضان أفضل الشهور، فقد رفع الله قدره وشرفه على غيره، وجعله موسماً للخيرات، وجعل صيامه وقيامه سبباً لمغفرة الذنوب وعتق الرقاب من النار، فتح فيه أبوابه للطالبيين، ورغب في ثوابه المتقين، فالظافر من اغتنم أوقاته، واستغل ساعاته، والخاسر من فرط في أيامه حتى فاتته، جعله الله مطهراً من الذنوب وساتراً للعيوب وعامراً للقلوب، فيه تعمر المساجد بالقرآن والذكر والدعاء والتهجد، وتشرق فيها الأنوار وتستنير القلوب.

\*\*\*\*



## المبحث الأول كثرة الاستغفار

قال تعالى: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾،

[سورة: الذاريات، آية: ١٧-١٨].

وقد تتعجب -أخي الصائم- : من أي شيء يستغفرون؟، أيستغفرون من قيام الليل؟! هل قيام الليل ذنب؟، أيستغفرون من صلاة التهجد؟ هل التهجد ذنب؟، نقول: إنهم عمروا لياليهم بالصلاة، وشعروا بأنهم مقصرون فحتموها بالاستغفار، كأنهم يقضون ليلهم كله في ذنوب، فهذا حال الخائفين؛ إنهم يستغفرون الله لتقصيرهم.

ويقول بعضهم:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ صِيَامِي      طُولَ زَمَانِي وَمِنْ صَلَاتِي  
صَوْمٌ يُرَى كُلُّهُ خُرُوقٌ      وَصَلَاةٌ أَيْمًا صَلَاةٌ<sup>(١)</sup>

فيستغفر أحدهم من الأعمال الصالحة، حيث إنها لا بد فيها من خلل، ولذلك يندب ختم الأعمال كلها بالاستغفار، بل بالأخص في مثل هذه الليالي.

وقد جاء قول النبي ﷺ في حديث سلمان: (فأكثرُوا فيه من أربع خصال، خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى لكم عنهما، أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فلا إله إلا الله، والاستغفار. وأما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما: فتسألون الله الجنة، وتستعيذون من النار) رواه ابن خزيمة<sup>(٢)</sup>.

فهذا ونحوه دليل على أنك متى وفقت لعمل فغاية أمنيته العفو، وتختم عملك بالاستغفار، إذا قمت الليل كاملاً، فاستغفر بالأسحار، كما مدح الله

(١) لطائف المعارف: ص ٢١٥.

(٢) صحيح ابن خزيمة: ٣/١٩١.

المؤمنين بقوله: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، [سورة: الذاريات، آية: ١٨]. فإذا وُفِّقَت لقيام مثل هذه الليالي، فاطلب العفو، أي: اطلب من ربك أن يعفو عنك، فإنه تعالى عفوٌ يحب العفو.

والعفوُّ من أسماء الله تعالى، ومن صفاته، وهو الصفح والتجاوز عن الخطايا وعن المخطئين.

فأكثر -أخي الصائم- من الاستغفار؛ لأنه من صفات أهل التقوى، وهو مشروع في كل وقت، وهناك أحوال وأوقات مخصوصة يكون للاستغفار فيها فضل، فيستحب الاستغفار مثلاً بعد الفراغ من أداء العبادة؛ ليكون كفارة لما يقع فيها من خلل أو تقصير، فلا تنس نفسك من هذه العبادة العظيمة والتي هي كفارة لما حصل خلال صيام هذا الشهر من تقصير وكسل ونسيان، فهذا رسول الهدى ﷺ يعدُّ له أصحابه في المجلس الواحد مائة مرة: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) <sup>(١)</sup>، والرسول ﷺ بهذا المسلك العظيم والمنهج القويم ينطلق من أمر الله له بقوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [سورة: محمد، آية: ١٩].

أخي الكريم! يناديك ربك في الحديث القدسي فيقول: (يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُحْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَعْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَعْفِرْ لَكُمْ) <sup>(٢)</sup>. وختامًا: اعلم يا أخي أن الاستغفار سبب لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات، والاستغفار سبب لدفع العقوبات والعذاب، والاستغفار سبب لتفريج الهموم وجلب الأرزاق والخروج من المشكلات والمضائق، والاستغفار سبب لنزول الأمطار والإمداد بالأموال والبنين والبنات والأنهار، وصدق الله القائل:

(١) سنن أبي داود: ٨٥/٢، سنن الترمذي: ٤٩٤/٥، سنن ابن ماجه: ١٢٥٣/٢.

(٢) صحيح مسلم: ١٩٩٤/٤.

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مُمْدِرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ  
وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ [سورة: نوح، آية: ١٠-١٢].

أخي الصائم: اعلم أن الاستغفار ختام الأعمال الصالحة كلها، فتختم به الصلاة والحجّ وقيام الليل، وتختم به المجالس، فإن كانت ذكراً كان كالطابع عليها، وإن كانت لغواً كان كفارة لها، فكذلك حري أن يُختَم صيام رمضان بالاستغفار.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار يأمرهم بختم رمضان بالاستغفار والصدقة: صدقة الفطر، فإن صدقة الفطر طهرة للصيام من اللغو والرفث، والاستغفار يرقع ما تجرح من الصيام باللغو والرفث.

وقال عمر في كتابه: «قولوا كما قال أبوكم آدم عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة: الأعراف، آية: ٢٣].

وقولوا كما قال نوح عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة: هود، آية: ٤٧].

وقولوا كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [سورة: الشعراء، آية: ٨٢].

وقولوا كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [سورة: القصص، آية: ١٦].

وقولوا كما قال ذو النون عليه السلام: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة: الأنبياء، آية: ٨٧] (١).

(١) انظر: لطائف المعارف، لابن رجب (ص: ٢٣٢).

فصيامنا يحتاج إلى استغفار نافع وعمل صالح له شافع، فكم تحرق صيامنا  
بسهام الكلام ثم نرقعه وقد اتسع الخرق على الراقع، كيف نرفو خروقه بمخيط  
الحسنات ثم نقطعه بحسام السيئات القاطع.  
كان بعض السلف إذا صلى صلاة استغفر من تقصيره فيها كما يستغفر  
المدنّب من ذنبه.

وختامًا: فقد جمع الله سبحانه وتعالى بين التوحيد والاستغفار في قوله:  
﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [سورة: محمد، آية: ١٩] (١).

\*\*\*\*

## المبحث الثاني قضاء رمضان لمن لم يصمه

إن من أفطر في رمضان لعذر من مرض أو سفر أو حيض أو نفاس أو غير ذلك، فعليه القضاء، لحديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: (كان يَكُونُ عَلَيَّ الصَّوْمُ مِنْ رَمَضَانَ فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْضِيَ إِلَّا فِي شَعْبَانَ) <sup>(١)</sup> ولا يجب القضاء على الفور، بل وجوبه على التراخي، فيجوز لمن عليه أيام من رمضان أن يؤخر القضاء إلى شعبان؛ لفعل عائشة رضي الله عنها، ولو كان التأخير غير جائز لما فعلته رضي الله عنها وواظبت عليه؛ لأن الظاهر اطلاع النبي ﷺ على ذلك.

والمبادرة بالقضاء أولى من التأخير؛ لأن ظاهر صنيع عائشة رضي الله عنها إثارة المبادرة، حيث اعتذرت عن تأخير القضاء بكونها لا تستطيع، ولو استطاعت لما أخرته إلى شعبان.

والمبادرة بالقضاء فيها مسارعة لإبراء الذمة، والاحتياط في الدين، وقد ينسى الإنسان لاسيما إذا كانت الأيام قليلة، والمبادرة بالقضاء داخلية في عموم الأدلة الدالة على المسارعة إلى عمل الخير.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة: آل عمران، آية: ١٣٣]. وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [سورة: المؤمنون، آية: ٦١].

ولا يجب التتابع في القضاء، بل يجوز القضاء متتابعاً ومفرقاً، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٤].

(١) صحيح البخاري: ٢/٦٨٩، صحيح مسلم: ٢/٨٠٢.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - " لا بأس أن يفرق " (١).

وذلك أن التتابع إنما وجب في الشهر لضرورة أدائه فيه، فأما بعد انقضاء رمضان، فالمراد صيام عدة ما أفطر؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٤]، ولم يشترط تتابعاً، فإن هذه العدة تصدق على ما كان مجتمعاً ومتفرقاً؛ لأنه يحصل من كل منهما عدة، ولهذا قال بعدها: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٥] (٢).

والتتابع في القضاء أفضل للمكلف مسارعة إلى إسقاط الفرض. وخروجاً من خلاف من أوجب التتابع، ولأنه أنشط للصائم إذا قضى - ما عليه متتابعاً بخلاف ما إذا فرق لاسيما إذا كانت الأيام كثيرة.

والسنة كلها ظرف للقضاء، لعموم الآية، إلا أيام العيدين وأيام التشريق، فلا يصح القضاء فيها، للنهي عن صومها؛ لقول عمر - رضي الله عنه -: (إِنَّ هَذَيْنِ يَوْمَانِ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ صِيَامِهِمَا: يَوْمُ فِطْرِكُمْ مِنْ صِيَامِكُمْ، وَالْأُخْرُ يَوْمٌ تَأْكُلُونَ فِيهِ مِنْ نُسُكِكُمْ) (٣). ولقول عائشة - رضي الله عنها - وابن عمر - رضي الله عنهما -: (لم يُرَخَّصْ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ أَنْ يُصَمَّنَ إِلَّا مَنْ لَمْ يَجِدِ الْهُدْيَ) (٤).

ويجوز القضاء في عشر ذي الحجة على الراجح من قولي أهل العلم، وهو قول الجمهور؛ لدخولها في عموم ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٤] من غير تقييد بوقت دون وقت، فيكون عاماً في جميع الأوقات، ولا يخرج من عمومه

(١) علقه البخاري (١٨٨/٤) ووصله عبد الرازق (٢٤٣/٤)، والدارقطني (١٩٢/٢) وابن أبي شيبة

(٣/٣٣، ٣٤) وسنده صحيح، وفي المسألة آثار عن الصحابة تفيد ذلك.

(٢) انظر: مسائل الإمام أحمد للبخاري ص ٨٥.

(٣) صحيح البخاري: ٧٠٢/٢، صحيح مسلم: ٧٩٩/٢.

(٤) صحيح البخاري: ٧٠٣/٢.

إلا ما أخرجه الدليل، وقد خصّ الدليل أيام العيدين والتشريق، وأيام شهر رمضان الحاضر؛ وما عدا ذلك فباق على العموم.

ولا يجوز تأخير القضاء إلى رمضان الثاني؛ لأن عائشة رضي الله عنها جعلت شعبان هو الغاية، فإن أخره بعذر بأن اتصل عجزه من مرض، أو سفر ونحوهما ولم يستطع القضاء حتى جاء رمضان، فلا شيء عليه، لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة: البقرة، آية: ٢٨٥]. فيقضي ما عليه من أيام بعد نهاية رمضان الحاضر.

فإن فرّط وأخر القضاء بغير عذر حتى جاء رمضان، فإنه يصوم بعد رمضان الحاضر، وليس عليه إطعام، لقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٤]، وعليه التوبة والاستغفار من هذا التقصير.

وقد أفتى بعض الصحابة رضي الله عنهم كابن عباس وأبي هريرة بالإطعام عن كل يوم مسكيناً مع القضاء، ولعل هذا من باب الاجتهاد والتأديب لهذا المفرط وجبر هذا التقصير بإيجاب الإطعام عليه.

فقد روى الدارقطني في سننه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - فيمن فرط في قضاء رمضان حتى أدركه رمضان آخر. قال: يصوم هذا مع الناس، ويصوم الذي فرط فيه، ويطعم لكل يوم مسكيناً<sup>(١)</sup>. وورد نحو هذا عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، والأخذ بهذه الفتوى وجيه ولو على سبيل الاستحباب<sup>(٢)</sup>؛ لأن هذا النوع من جبر التقصير بالصدقة، والصدقة مندوب إليها عموماً.

\*\*\*

(١) سنن الدارقطني: ١٩٧/٢، وقال: "إسناده صحيح"، وكذا ما ورد عن ابن عباس إسناده صحيح (١٩٧/٢).

(٢) من يقول: إن مذهب الصحابي ليس بحجة يمكنه الأخذ بهذا القول ولو على وجه الاستحباب، أما الوجوب فلم يثبت فيه شيء يصح رفعه إلى النبي ﷺ والله أعلم.

## المبحث الثالث

### الصيام عن مات وعليه صيام

لحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (من مات وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ) <sup>(١)</sup>.

فمن مات وعليه صوم واجب فإنه يشرع لوليه أن يقوم بقضاء الصوم عن قريبه؛ لأنه إحسان إليه وبر وصلة، ويرأبه إن شاء الله.

والحديث عام في كل صوم واجب على الميت، سواء كان واجباً بالشرع كصوم رمضان، أو واجباً بالنذر، وهذا على أحد القولين، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أمي ماتت وعليها صوم نذر. أفأصوم عنها؟، قال ﷺ: (أَرَأَيْتَ لو كان على أُمِّكَ دَيْنٌ فَفَضَّيْتَهُ أَكَانَ يُودِّي ذَلِكُ عَنْهَا؟) قالت: نعم، قال ﷺ: (فَصُومِي عَنْ أُمِّكَ) <sup>(٢)</sup>.

وفي رواية قال: (جاء رَجُلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمٌ شَهْرٍ أَفَأَقْضِيهِ عَنْهَا؟) فقال ﷺ: (لو كان على أُمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَهُ عَنْهَا؟) قال: نعم. قال: (فَدَيْنُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى).  
وفي رواية قال: (إِنَّ أُخْتِي مَاتَتْ) <sup>(٣)</sup>.

فهذه الروايات تفيد أن الرسول ﷺ سئل عن صوم النذر، وسئل عن صوم شهر، وهو محتمل أن يكون رمضان، وأن يكون نذراً، وفي كلها يقول: (فدين الله

(١) صحيح البخاري: ٢/٦٩٠، صحيح مسلم: ٢/٨٠٣، وعند البزار زيادة: (إن شاء)، حسنها الهيثمي في المجمع (٣/١٧٩) وقال الحافظ في التلخيص (٢/٢٢١): (وهي ضعيفة لأنها من طريق ابن لهيعة) يعني بذلك أنه تفرد بها وهو ضعيف، والله أعلم.

(٢) صحيح مسلم: ٢/٨٠٤ واللفظ له.

(٣) حديث ابن عباس في صحيح البخاري: ٢/٦٩٠، صحيح مسلم: ٢/٨٠٤. وانظر: فتح الباري

(٤/١٩٤)، وانظر: تحقيق أحمد شاكر للمسند رقم الحديث ٣٤٢٠.



أحق أن يقضى) مما يدل على تعدد الواقعة، وأن حديث ابن عباس فرد من أفراد القاعدة العامة التي دل عليها حديث عائشة رضي الله عنها، وأنه في كل صيام وجب على الميت وتمكن في حياته من قضائه ولم يصمه، فهذه الأفراد صور مستقلة سأل عنها من وقعت له، وفي كل صورة يأتي بالأمر بالقضاء.

قال النووي رحمه الله: "الصوم الجزم بجواز صوم الولي عن الميت سواء صوم رمضان والنذر وغيره من لصوم الواجب، للأحاديث الصحيحة ولا معارض لها" (١).

وأما من خصّ حديث عائشة رضي الله عنها بالنذر، لحديث ابن عباس (وعليها صوم نذر) ففيه نظر ظاهر؛ إذ لا تعارض بين الحديثين حتى يحمل أحدهما على الآخر؛ لأن حديث عائشة في تقرير قاعدة عامة، وحديث ابن عباس في فرد من أفراد هذه القاعدة، بل إن في حديث ابن عباس ما يدل على دخوله في عموم حديث عائشة، وهو قوله: (فَدَيْنُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى) (٢).

واعلم أن حديث عائشة - رضي الله عنها - مراد به: ما إذا تمكن الإنسان من الصيام الواجب عليه، بأن صحّ من مرضه، أو قدم من سفره ولم يصم حتى مات، لأنه صوم وجب عليه فيقضى عنه، كما يقضى الدين.

أما إذا لم يتمكن من القضاء بأن استمر به المرض أو استمر بها الحيض أو النفاس إلى الموت، أو لم يقدم من سفره حتى مات، فهذا لا يقضى عنه، ولا يلزم في تركته إطعام في قول أكثر أهل العلم؛ لسقوطه عنه بعدم التمكن من القضاء، فلم

(١) المجموع شرح المذهب (٦/٣٧٠)، وانظر: شرح النووي على مسلم رقم الحديث ١١٤٧، ١١٤٨.

(٢) ورد عن بعض الصحابة رضي الله عنهم كابن عباس وعائشة آثار تفيد أنه لا يصام عن الميت إلا النذر وأما رمضان فيطعم عنه، وهذه الآثار لا تقدم على المرفوع، والعبرة بما رواه الراوي لا بما رآه، لا احتمال أن يخالف ذلك الاجتهاد، ومستنده فيه لم يتحقق، ولا يلزم من ذلك ضعف الحديث عنه، وإذ ثبت صحة الحديث لم يترك المحقق للمظنون، كما هو مقرر في الأصول (انظر: فتح الباري ٤/١٩٤)، نيل الأوطار (٤/٢٣٦).

يكن داخلياً في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [سورة: البقرة: آية: ١٨٤].

والمراد بالولي في الحديث: وارثه أو قريبه، والوارث أولى القرابة وهذا الأمر استحباب، إذ لو قلنا بالإيجاب للزم أن يأثم الولي بعدم صيامه عن الميت، وهذا غير صحيح؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [سورة: فاطر، آية: ١٨]. ويؤيد ذلك أن الرسول ﷺ قاسه على الدين، ومن المعلوم أن الإنسان ليس مطالباً بقضاء دين غيره إلا من باب البر والصلة والإحسان، لأن الأصل براءة الذمم، فينبغي للقريب أن يصوم عن قريبه.

ولو صام عدد من الأشخاص بعدد الأيام أجزاء، قال البخاري: قال الحسن: (إِنْ صَامَ عَنْهُ ثَلَاثُونَ رَجُلًا يَوْمًا وَاحِدًا جَازٌ)<sup>(١)</sup>.

وإذا لم يصم القريب عن الميت فإنه يطعم عنه من تركته عن كل يوم مسكيناً، لكل مسكين مدّ برّ من البرّ الجيد، ومقداره (٥٦٣) جراماً تقريباً، لأنه دين تعلق بتركته، ودين الله أحق أن يقضى.

وإن جمع الولي مساكين بعدد الأيام التي على الميت وأشبعهم جاز، لما ورد عن أنس رضي الله عنه أنه ضعف عن الصوم عاماً فصنع جفنة ثريد ودعا ثلاثين مسكيناً فأشبعهم<sup>(٢)</sup>، فإن لم يكن له تركة وتبرع أحد بالإطعام عنه أجزاء، وإن لم يتبرع أحد عنه فأمره إلى الله تعالى.

\*\*\*\*

(١) صحيح البخاري: ٢/٦٩٠، وانظر: فتح الباري (٤/١٩٢)، وانظر: شرح المذهب (٦/٣٧١).

(٢) سنن الدارقطني: ٢/٢٠٧.

## المبحث الرابع صيام الست من شوال

إن من توفيق الله لعباده الصالحين مواصلة العمل الصالح بعد رمضان، فو الله ما أجمل الطاعة إذا اتبعت بطاعة، ولا أجمل من الحسنة تتلوها الحسنة، فتلكم من الباقيات الصالحات، وقال الحسن البصري: «لا يكون لعمل المؤمن أجلّ دون الموت»، ثم قرأ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [سورة: الحجر، آية: ٩٩] (١).

ومن العبادات المشروعة: اتباع رمضان بصيام ست من شهر شوال، فيستحب للمسلم صيام ستة أيام من شوال، وفي ذلك فضل عظيم، وأجر كبير، لما رواه مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ) (٢).

وإنما كان صيام رمضان وإتباعه بست من شوال يعدل صيام الدهر؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها، وقد جاء ذلك مفسراً في حديث ثوبان -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: (صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ بِعَشْرَةِ أَشْهُرٍ، وَصِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ بِشَهْرَيْنِ، فَذَلِكَ صِيَامُ سَنَةٍ) (٣).

وتستحب المبادرة بصيام الست من شوال، بحيث يبدأ بها من اليوم الثاني من الشهر؛ لأن في ذلك مسارعة إلى فعل الخير، ولا حرج في تأخيرها إلى وسط الشهر أو آخره.

والأفضل: صيام هذه الأيام الستة متوالية، ويجوز تفريقها وصيامها في أثناء الشهر.

(١) انظر: لطائف المعارف: ص ٢٢٣.

(٢) صحيح البخاري: ٨٢٢/٢.

(٣) صحيح ابن خزيمة: ٣/٢٩٨، سنن النسائي: ٢/١٦٦، مسند أحمد بن حنبل: ٥/٢٨٠.

أما من كان عليه قضاء من رمضان فإنه يبدأ به، ثم يصوم هذه الأيام؛ لقول النبي ﷺ: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ)، ومن كان عليه شيء من رمضان فلا يصدق عليه أنه صام رمضان حتى ينهي قضاءه، ثم يصوم الست من شوال.

وفي معاودة الصيام بعد رمضان فوائده جمة منها:

أولاً: أن صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام الدهر كله.

ثانياً: أن صيام ستة أيام من شوال كالصلاة النافلة بعد المفروضة، فيكمل بذلك ما حصل في الفرض من خلل ونقص، فإن الفرائض تكمل بالنوافل يوم القيامة.

ثالثاً: أن ذلك علامة على قبول صيام رمضان؛ فإن الله تعالى إذا تقبّل عمل العبد وفقه لعمل صالح بعده.

رابعاً: أن صوم النفل يهيبه المسلم للترقي في درجات القرب من الله تعالى، وفي الحديث القدسي: (وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ) (١).

خامساً: أن صيام رمضان يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب، وأن الصائمين لرمضان يوفون أجورهم في يوم الفطر، وهو يوم الجوائز، فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكراً لهذه النعمة، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب.

كان النبي ﷺ يقوم ليصلي حتى تنفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: (أَفَلَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا) (٢) (٣).

\*\*\*

(١) صحيح البخاري: ٢٣٨٤/٥.

(٢) تقدم تحريجه.

(٣) دروس العام (ص ٦٧٩-٦٨٠).

## المبحث الخامس الاجتهاد في النوافل

كالمحافظة على صيام النفل والتطوع لما فيه من الأجر والثواب، وتربية النفس على محبوبات الله وصرافها عن مكروهاته من الأمور التي ينبغي على المسلم المحافظة عليها، وهي مهمة من عدة وجوه، أهمها: تعود الصيام وإتقانه في رمضان، وأنها علامة على قبول صيام رمضان، لأن العمل الصالح علامة لقبول العمل الصالح قبله والتوفيق للعمل الصالح بعده، كما أن النوافل تجبر ما قد ينقص من الفروض كما سلف.

ومن هذه النوافل: صيام العشر الأول من ذي الحجة، لحديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ) - يعني أيام العشر -، قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله؟! قال: (وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ) (١).

وكذلك صيام يوم عرفة ويوم عاشوراء وتاسوعاء، فعن أبي قتادة - رضي الله عنه - قال: سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة؟ قال: (يُكْفَرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ) (٢).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه، متفق عليه (٣).

(١) صحيح البخاري: ١/٣٢٩.

(٢) صحيح مسلم: ٢/٨١٩.

(٣) صحيح البخاري: ٢/٧٠٤، صحيح مسلم: ٢/٧٩٦.

وكذلك يستحب صيام الاثنين والخميس من كل أسبوع لما رواه أبو قتادة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: (ذَكَرَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ - أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ - فِيهِ) <sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: (تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْأَثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ) <sup>(٢)</sup>.

وكذلك صيام أيام البيض، لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكَعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ) <sup>(٣)</sup>.

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: (أَوْصَانِي حَسْبِي ﷺ بِثَلَاثٍ لَنْ أَدْعَهُنَّ مَا عِشْتُ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةِ الضُّحَى، وَبِأَنْ لَا أَنَامَ حَتَّى أُوتِرَ) <sup>(٤)</sup>.

وعن معاذة العدوية أنها سألت عائشة - رضي الله عنها -: (أَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ؟) قالت: نعم. فقلت لها: من أيّ أيام الشهر كان يصوم؟ قالت: لم يكن يُبَالِي من أيّ أيام الشهر يصوم <sup>(٥)</sup>.

وعن قتادة بن ملحان - رضي الله عنه - قال: (كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا أَنْ نَصُومَ الْبَيْضَ: ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ) <sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح مسلم: ٨١٩/٢.

(٢) صحيح مسلم: ١٩٨٧/٤ بنحوه دون ذكر الصوم، سنن الترمذي: ١٢٢/٣.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) صحيح مسلم: ٨١٨/٢.

(٦) سنن أبي داود: ٣٢٨/٢، سنن النسائي: ٢٢٤/٤، سنن ابن ماجه: ٥٤٤/١، وفي الباب عن غيره من الصحابة.

وأفضل التطوع صوم يوم وإفطار يوم، لحديث عبد الله بن عمرو في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: (صُمْ مِنْ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ)، قال: أطيق أكثر من ذلك، فما زال حتى قال: (صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا) <sup>(١)</sup>.

قال الشاه ولي الله الدهلوي: «واختلفت سنن الأنبياء عليهم السلام في الصوم، فكان نوح عليه السلام يصوم الدهر، وكان داود عليه السلام يصوم يومًا ويفطر يومًا، وكان عيسى عليه السلام يصوم يومًا ويفطر يومين أو أيامًا، وكان النبي ﷺ في خاصة نفسه يصوم حتى يُقال: لا يفطر، ويفطر حتى يُقال: لا يصوم، ولم يكن يستكمل صيام شهر إلا رمضان، وذلك أن الصيام تريقاً، والتريق لا يستعمل إلا بقدر المرض، وكان قوم نوح عليه السلام شديدي الأمزجة، حتى رُوي عنهم ما رُوي، وكان داود عليه السلام ذا قوة ورزانة، وهو قوله ﷺ: (وَكَانَ لَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى) <sup>(٢)</sup>، وكان عيسى عليه السلام ضعيفاً في بدنه، فارغاً لا أهل له ولا مال، فاختر كل واحد ما يناسب الأحوال، وكان نبينا ﷺ عارفاً بفوائد الصوم والإفطار، مطلعاً على مزاجه وما يناسبه، فاختر بحسب مصلحة الوقت ما شاء» <sup>(٣)</sup>.

ومن مواصلة الأعمال الصالحة: عدم الانصراف عن الأعمال الصالحة التي تربي عليها الصائم خلال أيام وليالي شهر رمضان، من قراءة القرآن، ومداومة على الذكر وقيام الليل، وملازمة المساجد والتعلق بها، فلئن كانت الحسنات يذهبن السيئات فإن السيئات قد يجبطن صالح الأعمال، فإذا كنا مؤمنين بهذا فما لي أرى بعد أن مضى رمضان المبارك كأنه طيف خيال أخذ الكثير ينصرفون عن صالح

(١) صحيح البخاري: ٦٩٧/٢، صحيح مسلم: ٨١٢/٢.

(٢) صحيح البخاري: ٦٩٨/٢، صحيح مسلم: ٨١٤/٢.

(٣) حجة الله البالغة (ص: ٥٣١-٥٣٢).

الأعمال، فبالأمس المساجد مكتظة بالمصلين والأصوات مدوية بتلاوة الكتاب المبين، بالأمس أنفقت آلاف المثمن على ذوى القربي والمساكين، بالأمس أنفقت وجل التفكير مقصور على ما ينفع أمام رب العالمين، بالأمس والنفوس محلقة مع عالم السماء الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، واليوم -رحمك يا رب- بعد أن كنا مرغمين الشيطان بكثرة النوافل أخذ يهتز طربًا من تركنا لها، ويتصارع مع النفوس في ترك الواجبات: ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [سورة: فاطر، آية: ٦٦]، وإن تلکم لمأساة كبرى وخسارة عظمی أن یبني الإنسان ثم یهدم، وأن یستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

فأین تلکم القلوب الخاشعة في رمضان، والعيون الدامعة، والألسن التالئة، والأیدی المنفقة؟ أين تلکم الأرواح المقبلة على الله؟ أين ذلکم الشعور الفياض في رمضان، أفليس ربّ رمضان هو ربّ شوال وشعبان؟! أفليس هو الذي أخبر عن نفسه سبحانه وتعالى بأنه مع المتقين والمحسنين في كل زمان؟ أفليس هو الذي أخبر عنه رسوله ﷺ بأنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر وذلکم نزول حقيقي يليق بجلاله وعظمته، فيقول سبحانه: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِبْ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»<sup>(١)</sup>، فما هذا الانصراف؟ وما هذه الرغبة عن الله الذي يجب من عباده المداومة على تقواه؟ فحذار يا مَنْ سمت نفوسهم في رمضان إلى درجات الصالحين، ونعمت بلذة المناجاة، وانخرطت في سلك الطائعين حذار أن تهدموا ما بنيتم وتبددوا ما جمعتم، حذار فما أقبح النكوص على الأعقاب، والالتفات عن الله بعد أن أقبلت عليه تائبًا من ذلك، راغبًا في رحمته، خائفًا من نقمته، حذار بعد أن كنت في عداد الطائعين وحزب الرحمن، وأسبل عليك لباس العفو والغفران أن تخلعه بالمعصية فتكون



من حزب الشيطان، حذار أن توقع نفسك في المعاصي فإنها شهوة قصيرة عاجلة  
تعقبها حسرة دائمة ونار حامية.

فاتقوا الله -أيها الصائمون- وواصلوا السير إلى الله، فمن زرع وتعاهد  
زرعه بالسقي حصد.

وَمَنْ زَرَعَ الْحُبُوبَ وَمَا سَقَاهَا تَأْوَهُ نَادِمًا يَوْمَ الْحَصَادِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*

(١) لطائف المعارف: ص ١٤٨، وأحاديث الجمعة، للشيخ: عبد الله بن حسن القعود: ص ٤٢٩-٤٣٠.

## المبحث الخامس الاستقامة بعد رمضان

إذا كان المسلم قد عاش رمضان فعمر نهاره بالصيام وليله بالقيام، وعود نفسه على فعل الخير، فعليه أن يلازم طاعة الله تعالى على الدوام، فهذا شأن العبد، فإن رب الشهور واحد، وهو مطلع على العباد وشاهد، فعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ﷺ: (قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ) قَالَ ﷺ: (قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِم) (١).

فالعبد مأمور بالاستقامة على الطاعة، بفعل الأمور واجتناب المحظور، وذلك بملازمة سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم، من غير تعويج عنه يمينة ولا يسرة.

وإن استقامة المسلم بعد رمضان وصلاح أقواله وأفعاله لأكبر دليل على استفادته من رمضان، ورغبته في الطاعة، وهذا عنوان القبول وعلامة الفلاح. وعمل المؤمن لا ينتهي بخروج شهر ودخول آخر، بل هو ممتد إلى الممات، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [سورة: الحجر، آية: ٩٩] ولئن انقضى قيام رمضان فالسنة كلها ظرف للقيام، ولئن انتهى وقت زكاة الفطر، فأوقات الزكاة المفروضة وصدقة التطوع تمتد طوال العام، وقراءة القرآن وتدبره وكل عمل صالح مطلوب في كل زمان.

وإن من فضل الله على عباده كثرة أبواب الطاعات وتنوع سبل الخيرات، ليدوم نشاط المسلم ويبقى ملازماً لخدمة مولاه.

ومما يؤسف عليه أن بعض الناس يتعبدون في رمضان بأنواع الطاعات، فيحافظون على الصلوات الخمس في المساجد، ويكثرون من تلاوة القرآن،

ويتصدقون من أموالهم، فإذا انقضى رمضان تكاسلوا عن الطاعة، بل ربما تركوا الواجبات، كصلاة الجماعة عموماً أو الفجر خصوصاً، وارتكبوا المحرمات، من النوم عن الصلاة، والعكوف على آلات اللهو والطرب، والاستعانة بنعم الله على معاصيه، فهدموا ما بنوه، ونقضوا ما أبرموه، وهذا دليل الحرمان وعلامة الخسران، نسأل الله السلامة والثبات.

إن مثل هؤلاء يعتبرون التوبة والإقلاع عن المعاصي أمراً مؤقتاً بشهر رمضان، ينتهي بانتهائه، وكأنهم تركوا الذنوب لأجل رمضان لا خوفاً من الله تعالى، وبئس القوم الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان.

إن توفيق الله عبده لصيام رمضان، وإعانتته عليه نعمة عظيمة، تستدعي من العبد شكر ربه والثناء عليه، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى بعد تمام نعمة رمضان: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٨٥] (١).

ومن شكره أن يصوم عقبه، ويعمل الصالحات، فأما مقابلة نعمة التوفيق لصيام شهر رمضان بارتكاب المعاصي بعده، والتكاسل عن صلاة الجماعة، فهذا من تبديل نعمة الله كفوفاً، ومن فعل ذلك فهو على خطر عظيم.

إن منهج المسلم الحق أن يحمده ربه ويشكره على نعمة الصيام والقيام، وأن تكون حاله بعد رمضان أحسن من حاله قبل رمضان، إقبالاً على الطاعة، ورغبة في الخير، ومسارة للواجب، مستفيداً من هذه المدرسة المتميزة، وأن يخاف ألا يقبل منه صيامه؛ لأن الله تعالى إنما يتقبل من المتقين.

لقد كان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه، ثم يهتمون بعد ذلك لقبوله ويخافون رده، ومن مأثور علي رضي الله عنه: (كونوا

(١) أحكام الصيام وآدابه: ص ١١٥.

لقبول العمل أشدّ اهتماماً منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة: المائدة، آية ٢٧] <sup>(١)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [سورة: المؤمنون، آية: ٦٠]. قالت عائشة رضي الله عنها: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: (لَا يَا بِنْتَ الصَّديقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ. أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) <sup>(٢)</sup>.

فالحذر الحذر من الانتكاسة بعد الهداية، والاعوجاج بعد الاستقامة، والله الله بالمداومة على العمل الصالح، والاستمرار على فعل الخير، وسؤال الله تعالى حسن الخاتمة.

\*\*\*\*

(١) انظر: حلية الأولياء: ١/ ٧٥.

(٢) سنن الترمذي: ٣٢٧/٥، وقوله: ﴿أولئك الذين﴾ هكذا في رواية الترمذي، وفي القرآن ﴿أولئك يسارعون﴾ والحديث صححه الألباني صحيح الترمذي: ٣/ ٧٩، ٨٠.

## المبحث السادس الدعاء بقبول الصيام

فمما ينبغي للمسلم أن يتحلى به: دعاء الله تبارك وتعالى أن يتقبل منه صيامه وقيامه وأعمال البر الأخرى التي قدمها، وهذا هو هدي الرسول ﷺ، وهدي السلف من بعده، لما رواه الطبراني عن عبدالعزيز بن أبي رواد قال: «كان المسلمون يدعون عند حضرة شهر رمضان: اللهم أظل شهر رمضان وحضر، فسلمه لي وسلمني فيه وتسلمه مني، اللهم ارزقني صيامه وقيامه صبراً واحتساباً، وارزقني فيه الجهد والاجتهاد، والقوة والنشاط، وأعدني فيه من السامة والفترة والكسل والنعاس، ووقفني فيه لليلة القدر، واجعلها خيرًا لي من ألف شهر»<sup>(١)</sup>.

وقال مُعَلَّى بن الفضل: «كانوا يدعون الله -عز وجل- ستة أشهر أن يبلغهم شهر رمضان، ويدعون الله ستة أشهر أن يتقبل منهم»<sup>(٢)</sup>، وقال الأوزاعي: «كان يحيى بن أبي كثير يدعو حضرة شهر رمضان: اللهم سلمني لرمضان، وسلم لي رمضان، وتسلمه مني مُتَقَبَّلًا»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*\*

(١) رواه الطبراني في الدعاء (رقم: ٩١٤).

(٢) رواه الأصبهاني كما في الدر المنثور للسيوطي (١/٤٥٤).

(٣) حلية الأولياء (٣/٦٩).

## قائمة المراجع

- ١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثالثة: ١٣٨٨.
- ٢- الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ.
- ٣- تفسير القرآن العظيم، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ.
- ٤- الدر المنثور في التفسير المأثور، للإمام عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ضبط النص والتصحيح وإسناد الآيات ووضع الحواشي والفهارس بإشراف دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ.
- ٥- فتح القدير، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٣٩٣هـ.
- ٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ.
- ٧- تفسير السعدي عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، تحقيق العثيمين: ١٤٢١هـ.
- ٨- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق الدكتور مصطفى ديبالبغا، دار ابن كثير واليامة، بيروت، طبعة: ١٤٠٧هـ.
- ٩- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد

عبدالباقي، بيروت، لبنان.

- ١٠- المسند المستخرج على صحيح مسلم لأبي نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة: ١٤١٧هـ.
- ١١- سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٢- سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي تحقيق الدكتور عبدالغفار سليمان البندراني، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة: ١٤١١هـ.
- ١٣- سنن النسائي (المجتبى) أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، طبعة: ١٤٠٦هـ.
- ١٤- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر.
- ١٥- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر.
- ١٦- مسند الإمام أحمد، لأبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر.
- ١٧- موطأ الإمام مالك، أبو عبدالله مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.

- ١٨- سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى.
- ١٩- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ.
- ٢٠- مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، دار الكتاب، القاهرة، بيروت، طبعة: ١٤٠٧هـ.
- ٢١- الترغيب والترهيب، عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري أبو محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ.
- ٢٢- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي المثني أبو يعلى الموصلي التميمي، دار المأمون للتراث، دمشق، تحقيق حسين سليم أسد، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ.
- ٢٣- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، المكتب الإسلامي، بيروت، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي: ١٣٩٠هـ.
- ٢٤- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز، مكة، تحقيق عبدالقادر عطا: ١٤١٤هـ.
- ٢٥- سنن البيهقي الصغرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر، مكتبة الدار، المدينة المنورة ن تحقيق محمد ضياء الرحمان الأعظمي، الطبعة الأولى:



١٤١٠هـ.

- ٢٦- سنن الدراقطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، دار المعرفة، بيروت، تحقيق السيد عبدالله هاشم يمانى المدني.
- ٢٧- المسند المستخرج على صحيح مسلم، أبي نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الهرازي الأصبهاني تحقيق محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ.
- ٢٨- الجمع بين الصحيحين، محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق علي حسين البواب، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، طبعة: ١٤٢٣هـ.
- ٢٩- تخريج الأحاديث الضعاف من سنن الدارقطني، عبدالله يحيى بن أبي بكر الغساني، دار عالم الكتب الرياض، تحقيق أشرف عبدالمقصود عبدالرحيم، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ.
- ٣٠- مسند أبي عوانة، الإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الأسفرائني، دار المعرفة، بيروت.
- ٣١- مسند الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٣٢- مسند الطيالسي، سليمان بن داود أبو داود الطيالسي الفارسي البصري الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.
- ٣٣- نصب الراية، عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي، دار الحديث، مصر، تحقيق محمد يوسف البنوري: ١٣٥٧.
- ٣٤- مجموعة الحديث، محمد بن عبدالوهاب، مطابع الرياض، الرياض، تحقيق:

عبدالعزیز بن زید الرومی والدكتور محمد بلتاجی والدكتور سید حجاب،  
الطبعة الأولى.

- ٣٥- صحیح الجامع الصغیر للألبانی، المكتب الإسلامی، الطبعة الثانية: ١٣٩٩.
- ٣٦- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد أيوب الطبراني، مكتبة الزهراء،  
الموصل، العراق، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الطبعة الثانية:  
١٤٠٤هـ.
- ٣٧- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين، القاهرة،  
تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني:  
١٤١٥هـ.
- ٣٨- المعجم الصغير، أبو القاسم الطبراني، المكتب الإسلامی، دار عمار عمان،  
تحقيق محمد شكور ومحمود الحاج أمير بن الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ.
- ٣٩- شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، المكتب الإسلامی، دمشق، تحقيق:  
شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ.
- ٤٠- مصنف عبدالرزاق، أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، المكتب  
الإسلامی، بيروت، تحقيق حبيب الرحمان الأعظمي، الطبعة الثانية:  
١٤٠٣هـ.
- ٤١- مصنف ابن أبي شيبة، للإمام الحافظ أبي بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم ابن  
أبي شيبة، تقديم فضيلة الشيخ الدكتور/ سعد بن عبدالله آل حميد، تحقيق حمد  
بن عبدالله الجمعة، ومحمد بن إبراهيم اللحيان، مكتبة الرشد الطبعة الأولى:

١٤٢٥هـ.

- ٤٢- قواعد التحديث، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت،  
الطبعة الأولى: ١٣٩٩هـ.
- ٤٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل  
العسقلاني الشافعي، تحقيق محب الدين الخطيب.
- ٤٤- شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي،  
دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٢.
- ٤٥- عمدة القارئ، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي،  
بيروت.
- ٤٦- تحفة الأحوزي، شرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٤٧- تهذيب المسند والآثار (مسند ابن عباس) للطبري، مطبعة المدني، مصر،  
القاهرة، تحقيق محمود محمد شاكر.
- ٤٨- تلخيص الحبير، أحمد بن حجر العسقلاني، المدينة المنورة، تحقيق السيد عبدالله  
هاشم اليماني المدني: ١٣٨٤.
- ٤٩- الدراية في تخريج أحاديث الهداية، أحمد بن حجر العسقلاني ن دار المعرفة،  
بيروت، تحقيق السيد عبدالله هاشم اليماني المدني.
- ٥٠- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين  
الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى: ١٣٩٩هـ.
- ٥١- سبل السلام، شرح بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير، دار إحياء

التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد عبدالعزيز الخولي، الطبعة الرابعة: ١٣٧٩.

- ٥٢- نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، دار الجليل، بيروت: ١٩٧٣.
- ٥٣- معرفة الرجال، يحيى بن معين رواية أحمد بن محمد القاسم بن محرز، تحقيق محمد مطيع الحافظ، غزوة بدير، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- ٥٤- إحكام الأحكام، شرح عمدة الأحكام، لتقي الدين أبي الفتح، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥٥- شرح فتح القدير للإمام كمال الدين محمد بن عبدالواحد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ٥٦- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، للإمام القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الحفيد، تعليق وتحقيق وتخريج محمد صبحي حلاق، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ومكتبة العلم، جدة، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ.
- ٥٧- الإجماع لأبي بكر بن محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق وتقديم وتخريج أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ.
- ٥٨- المجموع شرح المهذب، للنووي، تحقيق وتعليق محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد جدة.
- ٥٩- شرح العمدة لابن تيمية، دراسة وتحقيق صالح بن محمد الحسن، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ.

- ٦٠- موسوعة الإجماع لابن تيمية، جمع وترتيب عبدالله بن مبارك الوصي، مكتبة دار البيان الحديثة، الطائف، الطبعة الثانية: ١٤٢١هـ.
- ٦١- الإنصاف الفروع لابن مفلح، عالم الكتب، الطبعة الرابعة: ١٤٠٥هـ.
- ٦٢- الإفصاح عن معاني الصحاح، الوزير عون الدين أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة، المؤسسة السعيدية بالرياض.
- ٦٣- المغني لابن قدامة، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي والدكتور عبدالفتاح محمد الحلو، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ.
- ٦٤- الشرح الممتع على زاد المستقنع، شرح محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب وتصويب وتوثيق وإشراف الدكتور سليمان بن عبدالله بن حمود أبا الخيل والدكتور خالد بن علي بن محمد المشيقح، مؤسسة آسام، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ.
- ٦٥- كشف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، طبعة الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، مطبعة الحكومة، مكة: ١٣٩٤هـ.
- ٦٦- مجموع فتاوى ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكتبة ابن تيمية، تحقيق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، الطبعة الثانية.
- ٦٧- المبدع، إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن مفلح الحنبلي أبو إسحاق، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٠هـ.
- ٦٨- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، للشيخ البسام، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة.

- ٦٩- مفتاح دار السعادة، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٧٠- صفة الصفوة، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، دار المعرفة، بيروت، تحقيق محمود فاخوري، محمد رواس قلعه جي، الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ.
- ٧١- إعلام الموقعين، ابن القيم، دار الجيل، بيروت، تحقيق طه عبدالرؤوف سعيد، طبعة: ١٩٧٣م.
- ٧٢- حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة: ١٤٠٥هـ.
- ٧٣- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبدالرزاق الدويش.
- ٧٤- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر.
- ٧٥- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، تحقيق السيد هاشم الندوي.
- ٧٦- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ.
- ٧٧- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٧٨- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار، دار الدعوة، مجمع اللغة العربية.
- ٧٩- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

- ٨٠- الإقناع ابن المنذر.
- ٨١- الأذكار النووي.
- ٨٢- المناهل الحسان للشيخ عبد العزيز السلطان.
- ٨٣- منهاج المسلم الجزائري.
- ٨٤- المختار للحديث في شهر رمضان (مجموعة من طلبة العلم) فهد القاضي.
- ٨٥- تحفة الأخوان للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- ٨٦- فتاوى أركان الإسلام، للشيخ محمد بن صالح العثيمين.
- ٨٧- محرقات القلوب، صلاح عبد المقصود.
- ٨٨- الفتح الرباني، الساعاتي.
- ٨٩- أحاديث الجمعة، للشيخ ابن قعود.
- ٩٠- مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة.
- ٩١- زاد المعاد، لابن القيم.
- ٩٢- مدارج السالكين، لابن القيم.
- ٩٣- توضيح الأحكام، للشيخ البسام.
- ٩٤- فقه الصوم، د/ سيد حسين.
- ٩٥- الرياض النضرة، لابن سعدي.
- ٩٦- لطائف المعارف، لابن رجب.
- ٩٧- أربعون درسًا لمن أدرك رمضان، عبد الملك القاسم.
- ٩٨- السواك والعناية بالأسنان، د/ عبد الله السعيد.
- ٩٩- مجالس شهر رمضان، لابن عثيمين.
- ١٠٠- دروس العام، عبد الملك القاسم.

- ١٠١- العبادات القلبية وأثرها في حياة المؤمنين، د/ محمد حسين بن عقيل الشريف.
- ١٠٢- حاجة البشر إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الشيخ عبد الله بن جبرين.
- ١٠٣- الدروس الرمضانية، مركز البحث العلمي بمؤسسة الحرمين.
- ١٠٤- أخطاء شائعة واعتقادات باطلة، تتعلق بشهر رمضان وزكاة الفطر والعيدين أحمد عبد الله السلمي.
- ١٠٥- الضوء المنير على التفسير، على الحمد الضالحي.
- ١٠٦- الدرر الحسان في أحاديث ومواعظ رمضان، أحمد بن صالح الطويان.
- ١٠٧- رسالة إلى أصحاب القلوب النيرة، عبد الخالق السندي.
- ١٠٨- الطب النبوي، لابن القيم الجوزية
- ١٠٩- شعاع من المحراب، سليمان بن حمد العودة.
- ١١٠- الأحاديث البهية في المسائل الرمضانية، الشيخ بن جبرين.
- ١١١- المنظار في بيان كثير من الأخطاء الشائعة، صالح آل الشيخ.
- ١١٢- القول المفيد، ابن عثيمين.
- ١١٣- وظائف رمضان، الشيخ / العلامة سليمان بن عبد الرحمن العمري.



## فهرس الموضوعات

- المقدمة..... ٥
- الفصل الأول: ما يتعلق بصيام رمضان واستعداد المسلم له، وفيه  
عدة مباحث..... ١٣
- المبحث الأول: فرضية صيام شهر رمضان..... ١٤
- المبحث الثاني: فضائل الصيام..... ١٨
- المبحث الثالث: حكم الصيام..... ٢٨
- المبحث الرابع: خصوصية الصيام..... ٣٢
- المبحث الخامس: التوبة..... ٣٤
- المبحث السادس: الدعاء ببلوغ شهر رمضان..... ٣٨
- المبحث السابع: شكر الله على بلوغ الشهر..... ٣٩
- المبحث الثامن: سؤال الله العون على الصيام..... ٤٠
- المبحث التاسع: العزم على اغتنام شهر الصيام..... ٤١
- المبحث العاشر: الاعتقاد بأن صيام رمضان أداء لفريضة عظيمة..... ٤٥
- المبحث الحادي عشر: تعظيم شعيرة صوم رمضان..... ٤٧
- المبحث الثاني عشر: تعلم أحكام الصيام..... ٤٨
- المبحث الثالث عشر: الإكثار من الصيام في شهر شعبان..... ٥٠
- المبحث الرابع عشر: عدم تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين..... ٥٤
- المبحث الخامس عشر: ترائي هلال رمضان..... ٥٥
- المبحث السادس عشر: البشارة بقدم شهر رمضان..... ٥٧
- الفصل الثاني: أخلاق الصائم القولية، وفيه مباحث..... ٦١
- المبحث الأول: تلاوة القرآن الكريم..... ٦٢
- المبحث الثاني: الإكثار من الذكر والتسبيح..... ٦٨
- المبحث الثالث: القيام بواجب الدعوة..... ٧٢
- المبحث الرابع: التحصن من الشياطين..... ٧٨

- المبحث الرابع: الإكثار من الدعاء..... ٨٢
- الفصل الثالث: أخلاق الصائم القلبية، وفيه مباحث..... ٩١
- المبحث الأول: إخلاص نية الصوم لله..... ٩٢
- المبحث الثاني: تبييت النية..... ٩٥
- المبحث الثالث: التلبس بلباس التقوى..... ٩٨
- المبحث الرابع: مراعاة حِكم الصيام ومقاصده..... ١٠٤
- المبحث الخامس: رقة القلب..... ١٠٨
- المبحث السادس: شكر النعم..... ١١١
- المبحث السابع: التحلي بالصبر..... ١١٤
- المبحث الثامن: الحلم وكظم الغيظ..... ١٢٠
- المبحث التاسع: تعلق القلب بالمساجد..... ١٢٣
- المبحث العاشر: التفكر في نعم الله..... ١٢٦
- المبحث الحادي عشر: الحذر من الفتن وتقلب القلوب..... ١٢٩
- المبحث الثاني عشر: الزهد في الدنيا..... ١٣٣
- المبحث الثالث عشر: الحذر من الظلم..... ١٣٥
- المبحث الرابع عشر: تذكر الموت..... ١٣٩
- المبحث الخامس عشر: تحقيق التوكل..... ١٤٥
- الفصل الرابع: أخلاق الصائم العملية، وفيه مباحث:..... ١٥١
- المبحث الأول: السحور..... ١٥٣
- المبحث الثاني: تعجيل الفطور..... ١٥٧
- المبحث الثالث: الفطر على رطبات..... ١٦٠
- المبحث الرابع: قيام الليل..... ١٦٣
- المبحث الخامس: الجلوس في المسجد حتى طلوع الشمس..... ١٦٨
- المبحث السادس: حفظ الجوارح عن الآثام..... ١٦٩
- المبحث السابع: حسن المعاملة..... ١٧٢

- المبحث الثامن: الإكثار من البر والصدقة..... ١٧٤
- المبحث التاسع: السواك..... ١٨١
- المبحث العاشر: تفتير الصائمين..... ١٨٥
- المبحث الحادي عشر: نفع المسلمين..... ١٨٩
- المبحث الثاني عشر: المحافظة على الصلاة والخشوع فيها..... ١٩٠
- المبحث الثالث عشر: الاقتصاد وعدم الإسراف..... ١٩٦
- المبحث الرابع عشر: التخلي عن فضول المخالطة..... ٢٠١
- المبحث الخامس عشر: غض البصر..... ٢٠٦
- المبحث السادس عشر: احترام الوقت..... ٢١٠
- المبحث السابع عشر: الزهد والتواضع..... ٢١٤
- المبحث الثامن عشر: الأخذ بالرخص الشرعية المتعلقة بالصيام..... ٢١٧
- المبحث التاسع عشر: الابتعاد عما يفسد الصوم أو يجرحه..... ٢١٩
- المبحث العشرون: تربية الأولاد على الصلاة والصيام..... ٢٢١
- المبحث الحادي والعشرون: الجمع بين الصيام وغيره من الفضائل..... ٢٢٣
- المبحث الثاني والعشرون: الحرص على البقاء على طهارة..... ٢٢٤
- المبحث الثالث والعشرون: الاجتهاد في السنن..... ٢٢٩
- المبحث الرابع والعشرون: البر بالوالدين..... ٢٣٣
- المبحث الخامس والعشرون: العدل والإنصاف..... ٢٣٥
- المبحث السادس والعشرون: العمرة في رمضان..... ٢٤٠
- المبحث السابع والعشرون: المسارعة إلى الخير..... ٢٤٤
- المبحث الثامن والعشرون: صلة الأرحام..... ٢٥٠
- المبحث التاسع والعشرون: ترك المحرمات..... ٢٥٦
- المبحث الثلاثون: إخفاء الطاعات ما أمكن..... ٢٥٨
- المبحث الحادي والثلاثون: الحذر من استصغار الذنوب..... ٢٦١
- المبحث الثاني والثلاثون: تزكية النفس..... ٢٦٥

- الفصل الخامس: ما يتعلق بالعاشر الأواخر، وفيه مباحث..... ٢٦٧
- المبحث الأول: إحياء العاشر الأواخر من رمضان..... ٢٦٨
- المبحث الثاني: الاعتكاف..... ٢٧٩
- المبحث الثالث: تحري ليلة القدر..... ٢٨٨
- المبحث الرابع: أداء زكاة الفطر..... ٢٩٨
- المبحث الخامس: أداء سنن وصلاة العيد..... ٣٠٣
- المبحث السادس: التكبير في عيد الفطر..... ٣١٢
- الفصل السادس: ما بعد رمضان، وفيه مقدمة ومباحث..... ٣١٥
- المقدمة: وداع شهر رمضان..... ٣١٦
- المبحث الأول: كثرة الاستغفار..... ٣١٩
- المبحث الثاني: قضاء رمضان لمن لم يصمه..... ٣٢٣
- المبحث الثالث: الصيام عن من مات وعليه صيام..... ٣٢٦
- المبحث الرابع: صيام الست من شوال..... ٣٢٩
- المبحث الخامس: الاجتهاد في النوافل..... ٣٣١
- المبحث السادس: الاستقامة بعد رمضان..... ٣٣٦
- المبحث السابع: الدعاء بقبول الصيام..... ٣٣٩
- قائمة المراجع..... ٣٤٠
- فهرس الموضوعات..... ٣٥١

رَفَعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

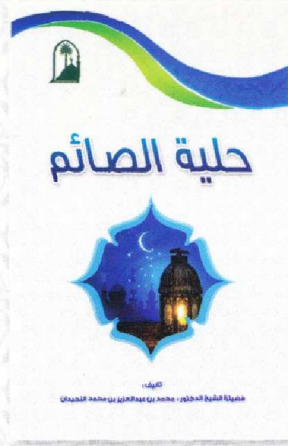
رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)



هذا الكتاب طبع تحت إشراف

المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالمعذر و أم الحمام

## ساهم معنا ليرى مشاريع المكتب

$$100 = 10 \times 10$$

جولات نور الرسالة الدعوية

الوقف

دورات للمسلمين الجدد

ملتقى حجة وهداية الدعوي

شراء حافلة للأنشطة

طباعة وتوزيع الكتيبات

الدعوة النسائية

هدية المسلمين الجدد

مصرفات إدارية

كلمات هداية الطريق

عدد المسلمين الجدد لعام 1435 هـ 1,613 شخص

المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد بالمعذر و أم الحمام  
تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

الفرع الرئيسي ت: ٤٨٤٤٩٦ - ف: ٤٨٢٧٤٨٩ ص.ب ٣١٠٢١ الرياض ١١٤٩٧

فرع الجاليات الأفريقية ت: ٤٨٠٧٣٣٧ فرع القسم النسائي ت: ٤٨٢٦٤٦٦

حساب العام الراجحي : SA 2180000251608010075881

حساب العام ساميا : SA 984000000009907243310

حساب بنك البلاد : SA 1315000999114255080005

E-mail : mather\_dawa@hotmail.com